بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت

كلية الدراسات الفقهية والقانونية

قسم العقيدة والدعوة

موقف الإمام محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية " ت ٧٥١هـ - ١٣٥٠م " من التصوف والصوفية

إعداد الطالب

خلدون مثقال سليمان

إشراف الدكتور

شريف الخطيب

موقف الإمام محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية "ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م". من التصوف والصوفية

THE ATTITUDE OF IMAM IBN QAYYIM AL-JAWZIYA TOWARDS SUFISM AND SUFISTS

إعداد الطالب

خلدون مثقال سليمان سليمان

(الرقم الجامعي : ٩٤٢٠١٠٣٠٠٧)

باشراف الدكتور :**شريف الخطيب**

لجنة المناقشة	التوقيع
د. شريف الخطيب/ مشرفا ورئيسا	....
د. الجيلي محمد يوسف/ عضوا	....
د. عزمي طه السيد/ عضوا	
د. راجح الكردي/ عضوا	....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص (العقيدة والدعوة) في كلية الدراسات الفقهية والقانونية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ : / /١٤٢٠هـ

الموافق: / /٢٠٠٠م

إهـــــداء

إلى أمّي الحبيبـــــــة •••

وإلى والدي الحبيـــــب •••

وإلى كلّ من له حـــقٌّ علَيَّ

أهـــدي هذا العمــــل •

المحتويات

ملخص البحث

يبين هذا البحث موقف إمام جليل – هو ابن قيم الجوزية – من قضية خطيرة وهامة هي (التصوف والصوفية) .

ولذلك كان لابد لنا أن نمهد لهذا البحث بتمهيدين :

الأول : التعريف بالإمام ابن القيم .

الثاني : لمحة موجزة عن التصوف الإسلامي.

ثم بعد ذلك ندخل في صلب الموضوع لنبين موقف ابن القيم من التصوف (المنهج و الطريق) و الصوفية (الرجال) .

أما الإمام ابن قيم الجوزية فهو محمد بن أبي بكر بن سعد بن حريز .

ولد سنة ٦٩١هـ وتوفي سنة ٧٥١هـ .

نشأ ابن القيم في دمشق في كنف والدٍ كريم ، عالم ، عابدٍ ؛ فأخذ عنه . ثم أقبل على علماء عصره يدرس على أيديهم حتى صار من كبار العلماء الأجلاء .

وكان من شيوخه متصوفون ، و آخرون مهتمون بالتصوف .

أحب ابن القيم جمع الكتب ، فقرأ كثيراً منها وميّز صحيحها من سقيمها ، ولاسيما كتب الصوفية . التي قرأها – فيما يبدو لنا – بعناية . وعرف ما تضمنته من حق وباطل .

وبهذا أحاط ابن القيم بالتصوف من الناحية النظرية .

أما الناحية العلمية فقد تميزت شخصية ابن القيم بالروحانية الواضحة فكان من أسلم الناس صدراً ، وأكثرهم عبادة وتلاوة للقرآن الكريم حتى وصفه بعض أصحابه وتلاميذه بأوصاف لا تكاد تعرف إلاّ لكبار الصوفية الصالحين وخيار أئمتهم .

وصار ابن القيم بهذا متحققاً بالتصوف الإسلامي الصحيح علماً وحالاً. وإن لم يصرح هو بذلك .

وبذلك استطاع ابن القيم أن يكوّن موقفه الدقيق من التصوف والصوفية . علماً بأنه عاش في عصر انتشر فيه التصوف . وسأبين موقفه هذا بعد قليل بعد أن أعطي لمحة موجزة ملخصة عن التصوف الإسلامي :

فقد أطلقت كلمة (التصوف) – في حدود القرن الثاني الهجري – نسبة إلى الصوف الدال على الزهد .

ثم أضيف إلى هذا المعنى معانٍ سامية أخرى أهمها الخلق وتصفية القلب ، و الإخــلاص لله تعالى .

ومع مرور الزمن و اتساع الرقعة الإسلامية وتداخل ثقافتها بالثقافات العالمية الأخرى تطور أمر التصوف، حيث ظهرت في دائرته بعض النظريات الغريبة عن الإسلام ، المستوحاة مــن المسيحية تارة ومن الثقافات والأديان الشرقية تارة أخرى .

وبهذا تميزت مناهج التصوف في منهجين :

الأول : منهج التصوف الإسلامي الأصيل ، الذي اقتصر على مكوناته الإســـلامية ومعانيــه القرآنية والنبوية .

الثاني : منهج الانحراف و الفلسفات الغريبة الذي ابتعد أصحابه عن تعاليم الكتاب والســـنة ، في التعبيرات النظرية عند بعضهم ، وفي السلوكيات العملية عند بعضهم الأخر .

والآن و بعد ذلك التعريف الموجز بالإمام ابن القيم وهذا التعريــف المختصــر بــالتصوف الإسلامي يمكننا أن نبيّن موقف ابن القيم من التصوف والصوفية ونفهمه بشكل صحيح إن شــاء الله .

ولنبدأ ببيان خلاصة موقفه من (التصوف) ــ أعني المنهج والطريق ــ وهو يتلخص ــ فـي رأيي ــ في ثلاث نقاط :

الأولى : أصول التصوف الإسلامي الصحيح عند ابن القيم وهي :

١ــ القران الكريم .

٢ــ السنة الشريفة .

٣ــ تحكيم العلم الشرعي على الحال الصوفي.

٤ــ العبادة .

٥ــ الهداية الإلهية.

٥٢٨٠٢٧

الثانية : آراؤه المتميزة في منازل التصوف (الأحوال والمقامات).

الثالثة : أهم (مزالق) التصوف في نظره. وهي :

١ــ (الفناء) وما أوصل إليه من القول بوحدة الوجود .

٢ــ عقيدة (الجبر) وما ارتبط بها من إسقاط التكاليف .

٣ــ القول بالحلول عند بعض الصوفية وما ارتبط به من انحرافات.

أما موقف ابن القيم من أبرز الشخصيات الصوفية فإنهم عنده ـ حسبما رأيت ـ ثلاثة أصناف :

١- أهل الاستقامة . وقد أثنى عليهم خيراً وشكر طريقتهم في التصوف . وأكد أنها الطريقة الصحيحة .

٢- متفلسفة الصوفية وأهل وحدة الوجود. وقد شرح عقائدهم الفاسدة وأنكرها وحذّر منها.

٣- من عُرف بصلاح السيرة والعقيدة وصدرت عنه كلمات وأعمال ظاهرها منكر وضلال (شطحات). وهؤلاء تميز موقف ابن القيم بإنصافهم حيث أثنى على صلاحهم وحسن سيرتهم وعقيدتهم ، وفي نفس الوقت بيّن أخطاءهم ورجا لهم العذر والمغفرة.

مُقدّمة

تمهيد :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد :

فهذا بحث تكميلي لمتطلبات نيل درجة الماجستير في تخصص العقيدة والدعوة، وهو بعنوان :

موقف الإمام ابن قيم الجوزية (شمس الدين، محمد بن أبي بكر، المتوفى سنة ٧٥١هـ - ١٣٥٠م) من التصوف والصوفية

وأعتقد أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان، إذ أنه يقدم دراسة لمشكلة علمية في جانب هام من جوانب الشخصية العلمية والسلوكية والتربوية للإمام ابن القيم رحمه الله، ألا وهو الجانب الصوفي في شخصيته، ومنهجُهُ في التصوف، وموقفُهُ من الصوفية .

ولقد وجدت في نفسي رغبة ملحة للكتابة في هذا الموضوع ؛ حيث إنه – حسب اطلاعي – لم ينل من الباحثين قبلي اهتماما يذكر، فأردت أن أسلط الضوء على هذا الموضوع، وأجمع شتاته، وأضم متفرقه ، وأقدمه بصورة واضحة متكاملة .

ولقد رأيت أن عدم القيام بهذا البحث يعني استمرار بعض جوانب النقص في المادة المكتوبة عن الإمام ابن القيم من ناحية، وعن منهج التصوف ورجاله من ناحية أخرى، ويعني أيضا بقاء كثير من الغموض يكتنف هذا الجانب الهام من شخصية الإمام ابن القيم، وموقفه من موضوع هام وكبير ألا وهو موضوع (التصوف والصوفية) .

مبررات اختيار الموضوع :

أما الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، فهي عديدة، أهمها:

١- قناعتي الشخصية بأننا - طلاب قسم العقيدة والدعوة - ينبغي لنا أن نغطي في أبحاثنا مجالات المساقات الرئيسة التي درسناها. وقد علمت أن معظم زملائي قد اتجهوا للكتابة في مجالات : العقائد، والفرق، والأديان . أما التصوف فلم أعلم أحداً منهم قد التفت إلى الكتابة فيه؛ فدفعني ذلك إلى الكتابة في هذا المجال، لا سيما أنني قد وجدت في نفسي ميلاً نحوه وشغفاً للبحث فيه .

٢- من خلال قراءاتي في مجال التصوف وجدت أنه لا يزال هناك فراغ في هذا المجال : حيث إننا لا زلنا نفتقر إلى دراسة علمية موضوعية لموضوع التصوف، بحيث تضبطه بضوابط الشرع، وتُحكّم فيه نصوص الكتاب والسنة، وفقه سلف الأمة ـ رضي الله عنهم ـ، وقد رأيت أنني بهذا البحث أغطي شيئا من ذلك الفراغ .إن شاء الله تعالى .

٣- من خلال اطلاعي على كتابات الإمام ابن القيم وجدت أنه قد كتب في التصوف، بل إن له موقفا متميزاً من التصوف، وله آراء هامة في الصوفية، لكن موقفه ذلك وآراءه تلك تحتاج إلى جمع وترتيب، وقد حاولت في بحثي هذا أن أقدمها في صورة موقف متكامل، واضح المعالم، في بحثٍ مستوعبٍ لجزئيات الموضوع جامع لمفرداته وأطرافه .

٤- وحسب اطلاعي فإن هذا الموضوع لم يُبحث من قبل بصورة متخصصة متكاملة ، وهذا ما سأحاول تقديمه في هذه الرسالة إن شاء الله.

وإنني أعتقد أن لهذه الدراسة أهمية كبيرة في مجال الدراسات الصوفية، وفي مجال معرفة شخصية الإمام ابن القيم، لا سيما وأنها تسلط الضوء على هذه الشخصية من زاوية منهجها الصوفي، ونظرتها إلى التصوف والصوفية، تلك الزاوية الهامة التي أهملها دارسوا هذه الشخصية الفذة .

أدبيات الدراسة :

من خلال اطلاعي لم أجد أحداً قد كتب في هذا الموضوع بتخصص واستيعاب، ولكنني وجدت شذرات متفرقة في بعض الكتب وأهمها :

١- **ابـن قيـم الجوزيـة : عصـره ومنهجـه وآراؤه فـي الفقـه والعقـائد والتصـوف.** للدكتـور عبـد العظيـم عبـد السـلام شـرف الديـن. وأصـل الكتـاب رسالة ماجستير مقدمة بـدار العلـوم بجامعـة القـاهرة ، وقـد تكلـم المؤلـف فـي هـذا الكتـاب عـن (ابـن القيـم والتصـوف) فـي جـزء يسـير مـن كتابـه، وهـو الفصـل الثاني من الباب الثـالث مـن الكتـاب .

وقد كان كلامه مختصراً إلى حـد كبـير، كمـا أنـه أكـثر مـن المقارنـة بيـن كـلام ابن القيم وغيره مـن الأئمـة، ممـا أفقـد بحثـه التركـيز والعمـق فـي آراء ابـن القيـم وموقفه . وقـد لاحظـت أيضـا أن المؤلـف قـد اقتصـر علـى جزئيـات متفرقـة مـن آراء ابن القيم فـي التصـوف، كمـا أنـه لـم يتطـرق لموقفـه مـن أبـرز الشـخصيات الصوفية والتي تمثـل منـاهج الصوفيـة المتباينـة .

أمـا البحـث الـذي أقدمـه فـهو – إن شـاء الله – بحـث متخصـص مسـتوعب – قـدر الإمكـان – لموقـف ابـن القيـم مـن التصـوف والصوفيـة، بحيـث يتـدارك النقص الحـاصل فـي ذلـك الكتـاب، النـاتج عـن عـدم تخصيـص البحـث لـه مـن ناحية، وعن الاقتطاف الجزئـي مـن ناحيـة أخـرى.

٢- **ابن القيـم مـن آثـاره العلميـة .** للدكتـور: أحمـد مـاهر البقـري، وهـو عبـارة عن رسـالة دكتـوراه مقدمـة بجامعـة الإسـكندرية سـنة ١٩٧٨م .

ولم يتعرض صاحب هـذا الكتـاب إلـى جـانب التصـوف عنـد الإمـام ابـن القيـم وموقفه فيه إلا في وريقـات قليلـة تَعَـرَّض فـي بعضـها لموقـف ابـن القيـم مـع أبـي إسماعيل الـهروي الصوفـي، ثـم تعـرض فـي بعضـها الآخـر إلـى مؤلفـات الإمـام ابن القيم فـي مجـال التصـوف .

ولا يخفـى أن هـذا الموضـوع أكـبر مـن أن يبحـث فـي بضـع ورقـات كجـزء يسير مـن دراسـة لـم تخصـص لـه، كمـا أن هنـاك جوانـب أخـرى للموضـوع لـم يتطـرق إليـها المؤلـف، وذلـك لعـدم تخصيـص رسـالته فـي هـذه الناحيـة مـن شخصية ابن القيـم، الأمـر الـذي أنـوي تداركـه واسـتكمال جوانبـه، وإعطـاءه حقـه من البحـث، قـدر اسـتطاعتي.إن شـاء الله .

هذا ما تحصّل لديّ من دراسـات تَمَـسُّ هـذا الموضـوع ولـو بشـيء يسـير .

وهناك كتب أخرى اطلعت عليها كتبت عن ابن القيم، لكنها كانت بعيدة عن موضوع بحثي، إلا أنني استفدت منها . لا سيما في الفصل الأول من الرسالة . وأهم تلك الكتب:

١- **ابن قيم الجوزية : حياته آثاره** ، لبكر بن عبد الله أبو زيد . وهو يتحدث عن حياة ابن القيم بشيء من التفصيل، وعن مؤلفاته : المطبوعة والمخطوطة والمفقودة.

٢- **موارد ابن القيم في كتبه** : لبكر بن عبد الله أبو زيد أيضا وهو أشبه ما يكون بفهرس للكتب التي ذكرها ابن القيم أو أشار إليها في مؤلفاته وقد أفدت منه معرفة كتب التصوف والصوفية التي اطلع عليها ابن القيّم.

٣-**حياة ابن قيم الجوزية** : لمحمد مسلم الغنيمي. وأبرز ما تميز به التفصيل عن عصر ابن القيم.

المشكلة التي تعالجها الدراسة :

تعالج هذه الدراسة مشكلة تحديد موقف الإمام ابن القيم من التصوف والصوفية، من خلال تقديم الإجابة على كل من التساؤلات التالية :

ـ من هو الإمام ابن القيم ؟ وما أهم معالم نشأته وحياته ؟ وما مكانته العلمية؟

ـ ما أبرز معالم عصر هذا الإمام ؟ وما موقف صوفية عصره منه ؟

ـ ما التصوف ؟ وما أهم مناهجه ؟ ومن أبرز رجاله ؟

ـ هل كان الإمام ابن القيم ـ بالإضافة إلى كونه فقيها ومفسرا ـ سالكا للتصوف وعالما فيه ؟

ـ هل كان لابن القيم موقف متميز في التصوف ؟ وما أهم معالم هذا الموقف؟

ـ ما رأي ابن القيم في أهم الموضوعات والقضايا التي بحثها المتصوفون ؟

ـ ما أصول التصوف عند الإمام ابن القيم ؟

ـ ما أخطر مزالق الصوفية في نظر ابن القيم ؟

ـ ما رأي ابن القيم في الصوفية الأوائل، وأئمة التصوف الثقات ؟

ـ ما رأي ابن القيم في الصوفية المتأخرين، ومتفلسفة الصوفية ؟

حدود المشكلة :

هذه الدراسة ستقتصر على تحديد موقف الإمام ابن القيم من التصوف والصوفية، معتبرةً شخصية الإمام ابن القيم شخصية علمية مستقلة .

ذلك أن ذكر الإمام ابن القيم قد اقترن بذكر أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رحمه الله ... ومما لا يُنكر أن ابن القيم قد تأثر بأستاذه الإمام ابن تيمية، لكنني في هذه الدراسة لن أفصّل في مدى تأثر ابن القيم بأستاذه في موقفه من التصوف، وسوف لن أتعرض لموقف الإمام ابن تيمية من التصوف، وذلك لأن موقف الإمام ابن تيمية من التصوف قد كتب فيه بعض الباحثين بشكل جيد، ولا نحتاج إلى تكرار ما كتبوه .

ثم إن قضية تأثر ابن القيم بشيخه ابن تيمية، ومدى هذا التأثر، وأوجه الاتفاق والاختلاف بين الشخصيتين موضوع يطول بحثه، وليس له متسع في هذه الدراسة، لا سيما وأنها لم تخصص لهذا الجانب .

فهذه الرسالة إذن محدودة متخصصة، تركز على موقف شخصية محدّدة، هي شخصية الإمام ابن القيم، من قضية محدّدة هي (التصوف والصوفية) .

---

(١) هو الإمام العلامة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني، أبو العباس، تقي الدين، ابن تيمية، ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وسجن بسبب بعض فتاواه التي خالف بها علماء السلطان في عصره، ومات معتقلا بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان داعية إصلاح في الدين. وقيل أنه أفتى ودرّس وهو دون العشرين. أما تصانيفه فقيل أنها بلغت ثلاث مائة مجلد. انظر :خير الدين الزركلي، **الأعلام**،ط١٠ ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص١٤٤. وتراجم شيخ الإسلام بن تيمية في المكتبة الإسلامية كثيرة، انظر ترجمته على سبيل المثال في : إسماعيل بن كثير الدمشقي ،ت٧٧٤ ه ،**البداية والنهاية**،ط٧،مكتبة المعارف،بيروت ،١٩٨٨م ، ج١٤ ، ص ص١٣٥-١٤١ . وانظر أيضا أخباره المتفرقة المبثوثة في هذا الجزء من **البداية والنهاية** (أعني الجزء الرابع عشر) . وانظر أيضا: ابراهيم محمد بن مفلح،ت٨٨٤ه ، **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام احمد**، تحقيق د.عبد الرحمن العثيمين، ط١،مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٠م، ج١، ص ص١٣٢-١٣٩. وانظر من الكتب التي استقلت بترجمته وتحدثت عن حياته وشخصيته على سبيل المثال : محمد أبو زهرة، **ابن تيمية : حياته وعصره وآراؤه وفقهه**، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط٢ ، ١٩٥٨م . وعبد الرحمن الشرقاوي، **ابن تيمية : الفقيه المعذب**، القاهرة ، دار الشروق ، ط بدون ، سنة ١٩٩٠م.

الفرضيات :

١ــ كان ابن القيم سالكا للتصوف وعالما فيه .

٢ــ كان لابن القيم موقف متميز من التصوف . أهم معالمه الالتزام بالكتاب والسنة .

٣ــ أنصف ابن القيم الصوفية على اختلاف مناهجهم .

المنهجية :

تتمثل منهجية الدراسة في هذا البحث في أسلوب الاستقراء والتقصي لجزئيات موضوع (التصوف والصوفية) في كتب الإمام ابن القيم، ثم جمعها وترتيبها وعرضها بالشكل المناسب، ملتزما في ذلك كله نزاهة البحث، والموضوعية في الكتابة، والأمانة في النقل والتوثيق.

أما خطتي في معالجة مشكلة البحث فإنها تتكون من مقدمة، وبابين في كل باب منهما فصلين، ثم الخاتمة.

أما المقدمة فقد جعلتها لبيان أهمية البحث، والمشكلة التي يعالجها، وخلاصة الدراسات السابقة في الموضوع، مع عرض مجمل لخطة البحث .

وأما الباب الأول فهو يتكون من فصلين تمهيديين :

الفصل الأول وقد جعلته للتعريف بالإمام ابن القيم من حيث : اسمه، ونشأته، ومكانته، وعصره .

والفصل الثاني وفيه لمحة موجزة عن التصوف الإسلامي من حيث : تعريفه، نشأته وتطوره، أهم مدارسه ومناهجه.

وأما الباب الثاني فهو يتكون من فصلين أعالج فيهما جوهر مشكلة البحث، ولب موضوعه :

فالفصل الأول منهما خصصته لمعالجة الجزء الأول من جوهر البحث وهو : موقف الإمام ابن القيم من التصوف، حيث أبين فيه أصول التصوف الصحيح عند الإمام ابن القيم، ومنازل التصوف أو الأحوال والمقامات عنده وأهم مزالق التصوف في نظره رحمه الله .

والفصل الثاني منهما خصصته لمعالجة الجزء الثاني من مشكلة البحث وهو : موقف الإمام ابن القيم من أبرز الشخصيات الصوفية : حيث أبحث فيه موقفه من أئمة التصوف ، أهل الاستقامة ، وموقفه من متفلسفة الصوفية،

وموقفه من شخصيات صوفية أخرى جمعت بين صلاح السيرة و(الشطحات)[1] المنكرة.

وأما الخاتمة فالخص فيها أبرز نتائج البحث على شكل نقاط محددة واضحة إن شاء الله.

الهيكل التنظيمي للبحث :

وهو على النحو التالي :

مقدمة

---

(١) الشطح باللغة العربية : التباعد والاسترسال (في السير أو القول). وفي الاصطلاح الصوفي : الشطح – وجمعه شطحات – كلام ينطق به الصوفي، وتبدو فيه رعونة وانحراف عن القصد، وهو من زلات الصوفية. انظر : أحمد عطية الله، **القاموس الإسلامي**، ج٤، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

- تحكيم (العلم)[١] على (الحال) [٢] .
- العبادة .
- الهداية الإلهية.

المبحث الثاني : منازل التصوف (الأحوال والمقامات) عند ابن القيم.

المبحث الثالث : أهم مزالق التصوف في نظر الإمام ابن القيم .

الفصل الثاني : موقف الإمام ابن القيم من أبرز الشخصيات الصوفية .

المبحث الأول : موقفه من أئمة التصوف ، أهل الاستقامة .

المبحث الثاني : موقفه من متفلسفة الصوفية . وأهل (وحدة الوجود)[٣].

المبحث الثالث : موقفه من شخصيات صوفية أخرى .

---

(١)المقصود العلم الشرعي المستنبط من الكتاب والسنة.

(٢)(الحال) مصطلح صوفي يراد به ما يرد على القلب الآخذ في السير الى الله من معان من غير تعمد من الصوفي ولا اجتلاب ولا اكتساب. انظر: عبد الكريم بن هوازن القشيري، **الرسالة القشيرية**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط وسنة بدون، ص٣٢ . وعبد الرزاق الكاشاني، **رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال**، تحقيق سعيد عبد الفتاح، ط بدون، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٤٥.

(٣) مذهب (وحدة الوجود): مذهب الذين يزعمون أن كل شئ هو الله... ومن المتصوفين من يتأول هذا المذهب فيقول : إن الله هو الحق وليس هناك إلا موجود واحد وهو الموجود المطلق، أما العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الالهية، وليس له وجود في ذاته، لأنه صادر عن الله (أي موجود بايجاده). وعند بعض الفلاسفة : هي القول ان العالم هو الموجود الحق، وليس الله سوى مجموع الأشياء الموجودة في العالم. انظر : جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج٢، ط بدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٥٦٩.

تحليل المراجع والمصادر

أولا: المراجـــع :

١. أبـو العـلا عفيفـي، التصـوف : **الثـورة الروحيـة فـي الإسـلام**، ط١، دار المعارف، مكـان النشـر :بـدون، ١٩٦٣.

يقع هـذا الكتـاب فـي ٣٣٥ صفحـة . تحـدث فيـه عـن أصـل كلمتـي صوفـي ومتصـوف وتعريفـهما، وعـن نشـأة التصـوف الإسـلامي وتطـوره، ثـم عـن مـدارس التصـوف الإسـلامي، ثـم تحـدث عـن ثـورة الصوفيـة علـى علـم الكـلام والفلسـفة، وثورتـهم فـي مجـال التوحيـد، ثـم بيـن بعـض النظريـات الفلسـفية الصوفية . وغـير ذلـك .

٢. بكـر بـن عبـد الله أبـو زيـد، **ابـن قيـم الجوزيـة : حياتـه وآثـاره**، ط٢، مكتبـة المعـارف، الريـاض، ١٩٨٥م .

يقع الكتاب فـي ١٩٩ صفحـة . حقـق فيـه اسـم ابـن القيـم وجـر نسـبه وسـبب شهرته بـابن قيـم الجوزيـة، ثـم ترجـم لآل ابـن القيـم: والـده وأخيـه وأبنائـه . ثـم تحدث عـن عبادتـه وزهـده وطلبـه للعلـم، ثـم عـن عملـه فـي التدريـس والإفتـاء والتأليف . ثـم أخـذ ببيـان خصـائص تأليفـه، ثـم تكلـم عـن ملازمتـه لابـن تيميـة ومدى تأثره به والمسـائل التـي خالفـه فيـها . ثـم وضـع ثلاثـة أثبـات هامـة : ثبـت شـيوخه، وثبـت تلامذتـه، وثبـت تفصيلـي محقـق لمؤلفاتـه . وختـم الكتـاب بذكـر وفاته وما رؤي لـه مـن المرائـي .

٣. عبـد الحفيـظ بـن ملـك المكـي، **موقـف أئمـة الحركـة السـلفية مـن التصـوف والصوفيـة**، ط١، دار السـلام، القـاهرة، ١٩٨٨م .

كتاب متوسـط تحـدث فيـه عـن موقـف أئمـة الحركـة السـلفيه: الإمـام أحمـد، ابن تيمية، الذهبـي، ابـن القيـم، ابـن رجـب، ومحمـد بـن عبـد الوهـابمن التصـوف والصوفيـة . وقـد اقتصـر علـى نقـل تراجـم مختصـرة لـهؤلاء الأعـلام ثـم إيـراد مقتطفـات مـن مؤلفاتـهم بمـا فيـه ذكـر للتصـوف والصوفيـة بشـيء مـن الإقـرار والثناء الحسن علـى التصـوف الصحيـح والصوفيـة الصـالحين أهـل الإسـتقامة .

٤. أحمـد شـلبي، **الحـروب الصليبيـة**، ط بـدون، المجلـس الأعلـى للشـؤون الإسـلامية، القـاهرة، ١٩٦٦ .

كتاب من القطع المتوسط تحدث فيه عن مرحلة الحروب الصليبية في تاريخ الأمة الإسلامية، والتي نشأ ابن القيم في أواخرها، وهو كتاب يعطي فكرة مختصرة شاملة عن ذلك العصر، والوضع السياسي، ـ لا سيما من الناحية الخارجية ـ عن عصر ابن القيم وما كان فيه من أخطار خارجية تهدد المسلمين .

٥. عوض الله حجازي، **ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي**، ط٣، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٩ .

كتاب متوسط هام في موضوعه، وهو عبارة عن بحث مقدم لنيل درجة الأستاذية . ركز فيه على استقلال شخصية ابن القيم والموضوعات التي كان له فيها رأي مستقل متميز .

٦. محمد مسلم الغنيمي، **حياة ابن قيم الجوزية**، ط بدون، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٧٧م .

كتاب مفصل عن حياة ابن القيم وعصره، وقد بدأ بالحديث عن عصر ابن القيم من مرحلة مبكرة جدا، من أوائل الحروب الصليبية (حوالي سنة ٥٠٠هـ) وفصل في ذلك كثيرا حتى وصل إلى الفترة التي عاشها ابن القيم ثم تحدث عن ابن القيم : اسمه، مولده، نشأته، حياته العلمية، .... الخ .

٧. محمد بن ربيع هادي المدخلي، **حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة**، ط بدون، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م .

رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة، ركز فيها على سلبيات الصوفية وانحرافاتهم وقد كان متحاملا في مواضع كثيرة . يغفر الله لا .

٨. أنور الجندي، **نوابغ الفكر الإسلامي**، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

وهو عبارة عن موسوعة متوسطة الحجم شملت مجموعة من أعلام الفكر الإسلامي النوابغ ذوي الإنجازات الكبيرة ، ومنهم ابن القيم . تحدث فيه عن أبرز إنجازاته ومؤلفاته وآرائه، ودعوته الإصلاحية .

٩. عبد المنعم الهاشمي، **من أعلام السلف**، ط٢، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٣م .

كتاب متوسط الحجم، تحدث فيه عن أربع شخصيات كبيرة : ابن الجوزي، ابن القيم، الذهبي، ابن رجب . حيث ترجم لكل منهم وذكر أبرز معالم منهجهم وآرائهم ومميزات كل منهم . وقد تحدث عن ابن القيم وفصل في منهجه في التأليف، وحياته العلمية، وعلاقته بابن تيمية وأوجه الاختلاف بين شخصيته وشخصية ابن تيمية . وغير ذلك .

ثانيا : المصادر :

١. إسماعيل بن عمرو، ابن كثير، ت٧٧٤ هـ، **البداية والنهاية**، ط٧، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨م .

كتاب كبير في التاريخ والتراجم، يقع في سبعة مجلدات ومجلد ثامن للفهارس، مرتب على ترتيب السنين . منهجه في الكتابة : يبدأ بذكر السنة التي يتحدث عنها ثم يذكر الخليفة والسلطان والأمراء اللذين كانوا في تلك السنة ثم بيان ما وقع فيها من حوادث ثم ذكر من توفي فيها من الأعيان، ويترجم لبعضهم .

وقد اعتمدت عليه كثيرا في معرفة عصر ابن القيم، وأخذت عنه كثيرا من تراجم الأعلام الذين ورد ذكرهم في رسالتي .

٢. عبد الرحمن بن أحمد، ابن رجب الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، **الذيل على طبقات الحنابلة**، تحقيق ابو حازم أسامة بن حسن وأبو الزهراء حازم علي بهجت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م .

كتاب هام من كتب تراجم الحنابلة، يقع في مجلدين، وقد استفدت منه كثيرا في معرفة جوانب مضيئة من حياة ابن القيم رحمه الله .

٣. عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت٥٩٧ هـ، **تلبيس إبليس**، تحقيق السيد العربي، ط بدون، مكتبة الإيمان، المنصورة، سنة بدون .

من أشهر كتب ابن الجوزي وأهمها، يقع في مجلد متوسط (٤٣٠ صفحة) بدأه بأمر بلزوم السنة والجماعة ثم ذكر تلبيس إبليس على طوائف الناس، وقد فصل في تلبيسه على الصوفية في أكثر من مائتي صفحة . وقد هاجم الصوفية وجمع شيئا كثيرا مما يروى عن انحرافاتهم وبدعهم . وقل أن تجد فيه ثناء حتى على أئمة الهدى من الصوفية المتقدمين.

٨. محمد ابن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار إحياء الكتب العربية، ط وسنة بدون. وهو كتاب كبير من جزاين، في مجلد واحد. تحدث في الجزء الأول منه عن أنواع القلوب وأمراضها وأدويتها. وبين أن أحسن دواء للقلب محبته لله سبحانه وتعالى وفصل في هذه المحبة، ثم تحدث عن كيد الشيطان في الوسوسة في الطهارة والصلاة. ثم عن كيده في سماع الغناء وكيده في الطلاق والمحلل والمحلل له وغير ذلك. وفي الجزء الثاني تحدث عن كيد الشيطان وتلاعبه بالنصارى واليهود وغيرهم.

٩. محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، تحقيق أبي علي مسلم الحسيني، ط٢، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٦م. وهو من كتبه في التصوف الإسلامي الصحيح ـ إذا جاز لنا التعبير ـ. بدأه ببيان ضرورة هجرة القلب المؤمن إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، إشارة إلى أ، التصوف لا بد فيه من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تحدث عن مقام (الفقر) ومقام (الغنى) ثم تكلم على مقامات أخرى كثيرة من مقامات السير إلى الله تعالى شارحا ومعلقا على أقوال أبي العباس، ابن العريف في كتابه (**محاسن المجالس**) في علل المقامات.

١٠- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، عالم الكتب، بيروت، ط وسنة بدون. وهو مجلد متوسط، خصصه لمقام الصبر، فتحدث عن الصبر في اللغة والاصطلاح وأقسام الصبر، وما ورد فيه من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وحقق مسألة : اختلاق الناس في الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل وغير ذلك من الفوائد الجليلة في هذا الموضوع.

الباب الأول

التعريف بالإمام ابن القيم
والتعريف بالتصوف

ويشمل :

الفصل التمهيدي الأول

التعريف بالإمام ابن قيم الجوزية عصره وحياته الشخصية والعلمية.

الفصل التمهيدي الثاني

لمحة موجزة عن التصوف الإسلامي

الفصل التمهيدي الأول

التعريف بالإمام ابن قيم الجوزية عصره وحياته الشخصية والعلمية.

ويشمل

المبحث الأول: عصر ابن القيم.

المبحث الثاني : اسمه ونسبه.

المبحث الثالث : مولده ونشأته.

المبحث الرابع : حياته العلمية.

الفصل التمهيدي الأول

التعريف بالإمام ابن قيم الجوزية : عصره وحياته الشخصية والعلمية

المبحـــث الأول

عصر ابن القيم

مما لاشك فيه أن الإنسان ابن عصره ، قد يؤثر فيه قليلا – وليس دائما – ، لكنه يتأثر به شاء أم أبى فتارة يكون تأثره سلبيا بانطباعه بسلبيات عصره ، وتارة يكون إيجابيا ، بردة فعل عكسية ، تجاه تلك السلبيات . كما هو الحال عند ابن القيم تجاه عصره كما سنرى .

و لذلك كان لا بد من إلقاء الضوء على أهم الجوانب في عصر ابن القيم ، لتتم لنا المعرفة بشخصيته ، و عوامل تكوينها . و كذلك فإننا إذا تأملنا تلك الجوانب يظهر لنا – فيما أعتقد – بعض عوامل اهتمام ابن القيم بالتصوف . و من هنا يتبين لنا أهمية هذا المبحث ، و علاقته بموضوع هذه الرسالة (موقف ابن القيم من التصوف و الصوفية) .

ولعل أبرز جوانب عصر ابن القيم ذات الأثر والعلاقة بموضوع هذه الرسالة أربعة جوانب : الجانب السياسي ، الجانب العلمي ، الجانب الاجتماعي ، و أخيرا الصوفية في ذلك العصر .

وسأتحدث في هذا المبحث عن الجوانب الثلاثة الأولى: السياسي والعلمي والاجتماعي، كل منها في مطلب. أما الصوفية في عصر ابن القيم فسيأتي الحديث عنها في وضعه المناسب في الفصل الثاني من هذه الرسالة عند حديثي عن تطور التصوف إنشاء الله .

المطلـــب الأول

الحالة السياسية في عصر ابن القيم

أولا : السياســة الخارجيـــة :

يهدد العالم الإسلامي في هذا العصر خطران خارجيان : خطر التتار من الشرق ، و خطر الصليبيين (الفرنج) من الشرق و الشمال .

و قد ذكرت كتب التاريخ أحداثا كثيرة توثق ما عاناه المسلمون من هذين الخطرين ، و الناظر في تلك الكتب يرى ذلك بوضوح : المسلمون بين

فكي كماشة و ما أن تهدأ جبهة حتى تشتعل أخرى ، و ما أن تحرر بلدة حتى تحتل أخرى .

(وقد واجه المسلمون هذه الأزمة الضخمة في تاريخ الإسلام بعملين كبيرين هما : الوحدة و القوة) [١] وقبل ذلك بالعودة الصادقة إلى الدين . فهزموا الصليبيين وأوقفوا زحف التتار .

أما الصليبيون (الفرنج) فقد ضعف خطرهم بعد هزيمتهم في حطين (٥٨٣هـ) وكاد ينتهي تماما بفتح بيت المقدس في نفس السنة على يد صلاح الدين [٢] .

وأما أسطورة التتار فقد هوت ـ قبيل ولادة ابن القيم ـ بهزيمتهم في عين جالوت(٦٥٩هـ) [٣] . و مع ذلك فقد استمرت المناوشات بين المسلمين و بين هذين العدوين الكبيرين من حين لآخر ، و قد أكرم الله المسلمين بالنصر في مرات عديدة.

ويبدو للمطالع في كتب التاريخ أن الصليبيين (الفرنج) لم يعد لهم هيبة أو خطر في الفترة التي عاشها ابن القيم . و كانت معارك المسلمين معهم تتخذ شكل الفتوح، و التحرير لأراض سلبوها أيام قوتهم .

فمن أشهر تلك المعارك : فتح عكا سنة ٦٩٠هـ و كذلك بقية السواحل في هذه السنة أيضا [٤] . ثم فتح (قلعة الروم) الواقعة بعد حلب شمالا سنة

(١) أنور الجندي، **الإسلام في أربعة عشر قرنا**، دار الاعتصام، القاهرة، ط و سنة بدون، ص٤١. وانظر ما كتبه عن هذه الفترة من تاريخ المسلمين: ص ص٩-١٠ و ص ص٢٧-٢٨. وانظر أيضا: أحمد شلبي، **الحروب الصليبية**، ص ص ٧٨-٨٣ .

(٢) هو يوسف بن أيوب بن شادي، أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام . تفقه وتأدب وروى الحديث .وله فتوحات وأعمال جليلة .أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٨، ص ٢٢٠. وترجمته في: ابن كثير، **البداية و النهاية** ، جـ١٣ ، ص ص٢-٦ و في ضمنها كلام مختصر عن فتوحاته وانتصاراته و أهمها انتصاره في حطين ثم فتحه لبيت المقدس . و انظر تفاصيل (فتح بيت المقدس بهمة صلاح الدين) في كتاب: محمد مسلم الغنيمي، **حياة ابن قيم الجوزية**، ص ص٣٧-٤٥ .

(٣) انظر تفاصيل هذه المعركة الكبرى في:ابن كثير، **البداية و النهاية**، جـ١٣، ص٢٢٠ و ما بعدها. وانظر: أحمد شلبي ، **الحروب الصليبية**، ص٧٩ .

(٤)أنظر تفاصيل هذه الفتوح في: ابن كثير، **البداية و النهاية**، ج١٣ص٣٢٠.

٦٩١هـ[١] ثم فتح (تل حمدون)[٢] و بلاد (مرعش)[٣] و (حموص)[٤] ثلاثتها سنة ٦٩٧هـ[٥] ثم فتح جزيرة أرواد[٦] سنة ٧٠٢هـ[٧] . و مما يدل على استعلاء المسلمين على الصليبيين (الفرنج) و استخفافهم بهم في تلك الفترة ما ذكره ابن كثير أنه في جمادى الأخرة من سنة ٧٣٠هـ (قدم على السلطان رسل من الفرنج يطلبون منه بعض البلاد الساحلية . فقال لهم: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم . ثم سيرهم إلى بلادهم خاسئين)[٨] . أما التتار في هذه الفترة فقد دخل كثير منهم في الإسلام ، حتى إن ملكهم قازان الذي تولى الملك سنة ٦٩٤هـ أظهر الإسلام على يد الأمير توزون (أو نوروز) رحمه الله ، و تسمى بمحمود ، و شهد الجمعة و الخطبة[٩] . إلا أنه سرعان ما تغير موقفه فقتل الأمير توزون (أو نوروز) الذي كان إسلامه على يديه ، و كان هذا الأمير من خيار أمراء التتار و كان ذا عبادة وصدق في إسلامه ، و قد أسلم على يديه من التتار خلق كثير[١٠] .

---

(١)أنظر: المصدر ذاته، جـ١٣، ص٣٢٧.

(٢)،(٤) لم أجد لها ذكرا في مراجع البلدان التي تيسرت لي.

(٣)(مرعش): مدينة في الثغور بين الشام والروم، لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني بناه مروان بن محمد الشهير بمروان الحمار .ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة . أنظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، دار صادر، بيروت، ط و سنة بدون. وقد أفاد صاحب **الروض المعطار في خبر الأقطار** بأنها من ثغور أرمينية وأنها مدينة حصينة، فتحها خالد بن الوليد رضي الله عنه، وجهه إليها أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وقد استولى عليها الروم غير مرة أواخر أيام الأمويين ثم استردها المهدي سنة ١٦٢هـ .

أنظر : محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، ص٥٤١.

(٥) أنظر: ابن كثير، **البداية والنهاية**، مصدر سابق، جـ١٣، ص٣٥٢ .

(٦) أنظر المصدر ذاته ، جـ١٤، ص٢١ .

(٧) المصدر ذاته ، جـ١٤ أيضا ، ص١٤٨ .

(٨) المصدر ذاته ، جـ١٣ ، ص٣٤٠ .

(٩)،(١٠) المصدر ذاته ، جـ١٣ أيضا ، ص٣٥١ .

و بـدأ تـهديد التتـار للمسـلمين مـن جديـد ، و عـادت أيـام (جنكـيز خـان)[١] و (هولاكـو)[٢] .

ففي سنة ٦٩٩هـ تواتـرت الأخبـار بقصـد التتـار بـلاد الشـام ، و قـد خـاف النـاس من ذلك خوفـا شـديدا ، و جفـل النـاس مـن بـلاد حلـب و حمـاة ، و التقـى التتـار بقيـادة (قـازان) بجيـش سـلطان المسـلمين (المنصـور لاجيـن) فكسـروهم و ولـى السلطان هاربا ثم دخـل التتـار دمشـق و عـاثوا فيـها

فسـادا عظيمـا و تخريبـا إلا قلعتـها التـي صمـدت فـي وجهـهم حتـى رحلـوا عـن دمشـق[٣] .

لكـن يـأبى الله إلا أن ينصـر عبـاده المؤمنيـن الصـادقين : ففـي سـنة ٧٠٢هـ أعد المسلمون جيشهم ، و قـام الإمـام ابـن تيميـة ببـث الـروح الجهاديـة فـي نفـوس الأمـراء و الجيـوش و العامـة ، و التقـى المسـلمون بالتتـار فـي معركـة (شـقحب) و قد كتب الله تعـالى فيـها النصـر للمسـلمين[٤] . و لله الحمـد .

و فـي سـنة ٧٠٩هـ أظـهر ملـك التتـار الجديـد (خربنـدا) (الرفـض) فـي بلاده، و قد أصاب أهل السنة فـي تلـك البـلاد بسـببه محـن كثـيرة[٥] .

و مما يرثـى لـه أن بعـض أمـراء الدولـة الإسـلامية (دولـة الممـاليك) فـي الشـام و مصر كانوا يلجأون إلى التتار إذا مـا اختلفـوا مـع السـلطان أو مـع غـيرهم مـن

---

(١) أنظـر ترجمتـه فـي المصـدر ذاتـه، جـ١٣، ص ص١١٧-١٢١. و أنظـر مـا فعلـه بـأهل خوارزم من المسلمين مـن التقتيـل و الإرهـاب غـير المعـهودين سـنة٦١٦ هـ ص٨٣ منـه .

(٢) أنظـر ترجمتـه فـي، المصـدر ذاتـه، جـ١٣، ص٢٤٨. و انظـر صفـة دخولـه بغـداد و تخريبه إياهـا سـنة ٦٥٦هـ ص ص٢٠٠-٢٠٢ بنفـس الجـزء منـه .

(٣) انظـر: المصـدر ذاتـه، جـ١٤، ص ص٦-٩ .

(٤) انظـر: المصـدر ذاتـه، ج ١٤، ص ص٢٥-٢٦ .

(٥) انظـر: المصـدر ذاتـه، ج ١٤، ص٥٦ .

الأمـراء أصحـاب النفـوذ ، و خـافوا بذلـك البقـاء فـي الدولـة الإسـلامية [١] . و لا حول و لا قـوة إلا بـالله .

و قـد وصـل هـؤلاء التتـار المتشـيعون (الروافـض) سـنة ٧١٢هـ إلـى (الرحبـة) وحاصروهـا حتـى نـزل أهلـها إلـى سـلطان التتـار (خربنـدا) بهديـة و طلبوا العفو فقبل و رجـع إلـى بـلاده [٢] .

ثم كشف الله سبحانه هـذه الغمـة فانتـهى خطـر التتـار ، بـل انقلـب قـوة جديـدة للإسـلام و المسـلمين

و ذلـك بظـهور ملكـهم الجديـد (أبـي سـعيد) الـذي أظـهر الإسـلام صادقـا و أراق الخمور ببلاده و لم يعـد يـهاجم دولـة الممـاليك ، رحمـه الله [٣] .

و عندمـا توفـي هـذا الملـك (أبـو سـعيد) سـنة ٧٣٦هـ انتـهى أمـر التتـار فتفرقوا شذر مذر و لـم تقـم لدولتـهم بعـده قائمـة [٤] .

ثانيا : السياسـة الداخليـة :

تمـيزت السياسـة الداخليـة فـي عصـر ابـن القيـم بشـكل عـام بـالتقلب و الاضطـراب فـي شـؤونها كافـة . و قبـل إلقـاء الضـوء علـى أبـرز مظـاهر تلـك السياسة لا بـد مـن معرفـة هيكلـة نظـام الحكـم فـي تلـك الفـترة ؛ فإنـه مـن أهـم معالم السياسـة الداخليـة .

فقد بينت كتـب التـاريخ أن نظـام الحكـم فـي ذلـك العصـر كـانت علـى النحـو التـالي: خليفـة عباسـي ذو منصـب رمـزي فـي القـاهرة ـ بعدمـا قضـي علـى الخلافـة العباسـية فـي بغـداد علـى أيـدي التتـار سـنة ٦٥٦هـ – و تحتـه فـي المنصـب ، و فوقـه فـي الصلاحيـات و الحكـم النـافذ: سـلطان المسـلمين ، و هـو من المماليك ، و مقره القـاهرة ، و سـلطانه ممتـد فـوق كافـة الديـار المصريـة و

---

(١) من أمثلة ذلك ما ذكره ابن كثـير عـن (سـيف الديـن قبجـق) أنـه قفـز إلـى التتـار خوفـا مـن لاجين جـ١٤ ص٦٠ و قوله عـن الأمـير (قراسـنقر) أنـه (سـار إلـى التتـار) جـ١٤ ص٦٣.

(٢) المصـدر ذاتـه، جـ١٤، ص٦٦ .

(٣) انظـر: المصـدر ذاتـه، جـ١٤، ص٩٧ . و انظـر بعـض أعمالـه الإصلاحيـة ص٩٩ .

(٤) انظـر المصـدر ذاتـه، ج١٤، ص ١٧٣ .

بلاد الشام و حتى الحجاز . و له نائب في مصر ، و نائب في الشام ، و عنده وزير ، و له قضاة على المذاهب الأربعة في الأمصار [(١)] .

هذا بالنسبة لهيكلة نظام الحكم في ذلك العصر . أما أبرز المظاهر في السياسة الداخلية في ذلك العصر فهي :

١ــ ضعف مكانة الخليفة و اقتصار دوره على الأمور و الوظائف الشكلية . و في هذا يقول ابن القيم في معرض ذمّه لطائفة من أهل العلم في عصره : (أنزلوا النصوص منزلة الخليفة في هذا الزمان : له السكة و الخطبة ، و ما له حكم نافذ و لا سلطان) [(٢)] .

و قد وصل الأمر إلى أن يعتقل السلطانُ الخليفةَ و يتحكم فيه كيفما أراد فقد ذكر ابن كثير في البداية و النهاية أنه في سنة ٧٣٦هـ رسم السلطان باعتقال الخليفة المستكفي و أهله و أن يمنعوا من الاجتماع بالناس [(٣)] ثم نفاه و أهله إلى بلاد (قوص) [(٤)] .

٢ــ كثرة الخلافات بين الأمراء المماليك و تنازعهم على المناصب ،خصوصاً منصب السلطنة . فقد تبدل على هذا المنصب (أربعة عشر سلطاناً من المماليك في نحو ستين عاماً (٦٨٩هـ ــ ٧٥٢هـ) أو تزيد قليلاً ، كان نصيب الناصر محمد منها نحو أربعين سنة ، يتولى السلطنة ثم تتولى عنه ثم يعود إليها ، ....) [(٥)] .

---

(٢)انظر : المصدر ذاته، جـ١٣، ص٣٢٦ .

(٢) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، جـ١، ص٥. و قريب من هذا الكلام ص٣٤٩ منه.

(٣)ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، جـ١٤، ص١٧٦ .

(٤) المصدر ذاته، ج١٤، ص١٧٨، و (قوص) مدينة كبيرة في صعيد مصر قريبة من البلاد البلاد الجنوبية، وهي شرقي النيل. أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج٤، ص٤١٣.

(٥) أحمد ماهرالبقري، ابن القيم من آثاره العلمية، ط بدون، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٦م، ص٦ .

و من الأمثلة التي تذكر على تنازع الأمراء و خلافاتهم و تنازعهم على منصب السلطنة : محاولة قتل الملك الأشرفالتي قام بهاثلاثة من أمراء المماليك. إلا أن الملك الأشرف قبض عليهم و أفشل محاولتهم التي اعترفوا بها [١] .

و من أوضح الصور التي تمثل هذه الظاهرة التي تكاد تكون متأصلة في الأمراء في ذلك العصر ما رواه ابن كثير عن قصة قتل الملك الأشرف سابق الذكر و ما تلاها و ذلك سنة ٦٩٣هـ ، قال ابن كثير: (في أولها كان مقتل الأشرف ، و ذلك أنه خرج إلى الصيد في ثالث المحرم ، فلما كان بارض بروجة بالقرب من الإسكندرية في عشر المحرم حمل عليه جماعة من الأمراء الذين اتفقوا على قتله حين انفرد عن جمهور الجيش)ثم ذكر تمام القصة وان هؤلاء الأمراء اتفقوا على تمليك أحدهم وسموه الملك القاهر أو الأوحد ثم قال : (فلم يتم له ذلك فقتل في اليوم التالي) [٢] .

٣ـ فساد بعض الأمراء و ظهور ظلمهم . و من ذلك ما ذكره ابن كثير عن الأمير (سيف الدين سلار) المتوفى سنة أنه (قد استأثر لنفسه طائفة كبيرة من بيت المال ، و أموال المسلمين تجري إليه ...) [٣] . و ما ذكره أيضا عن نائب حلب (سيف الدين قطلبشاه) ت أنه (كان يحتاط على التركة وإن كان فيها ولد ذكر أم غيره ، و يأخذ من أموال المسلمين جهرة ، حتى حصل له منها شيء كثير) [٤] .

والمطالع في كتب ابن القيم يجده يشير إلى مثل هذه الظواهر . فمن ذلك ـ على سبيل المثال_قوله في الفوائد): (اقشعرت الأرض و أظلمت السماء و ظهز الفساد في البر و البحر من ظلم الفجرة ، وذهبت البركات و قلت الخيرات و هزلت الوحوش و تكدرت الحياة من فسق الظلمة)[٥].

٥٢٨٠٢٧

---

(٢)انظر: ابن كثير، البداية و النهاية، مصدر سابق، جـ١٣،ص٣٣٠،٣٣١ .

(٢)؛ (٣) المصدر ذاته، جـ١٣، ص٣٣٤ .

(٣)المصدر ذاته، جـ١٤ ، ص٥٩ .

(٥) ابن قيم الجوزية، الفوائد، المكتبة القيمة، القاهرة،ط وسنة بدون، ص٤٣ .

المطلب الثـــاني

الحالة العلمية في عصر ابن القيم :

تعتــبر الحالــة العلميــة فــي عصــر ابــن القيــم ضعيفــة ، جــامدة ، بالمقارنــــة بــالعصور الســابقة التــي بــرز فيــها الفقــهاء و المحدثــون و دُوِّنــت فيـــها أمـــهات الكتب فـــي مختلــف العلــوم . فقــد قــل الإنتــاج العلمــي فــي هــذا العصــر و ركــدت الأذهان و حُرِّم الاجتـــهاد و غلبــت علـــى العلمـــاء نزعـــة التقليــد [١] .

و مـــن المظــاهر الســلبية الســيئة بيــن العلمــاء فــي ذلـــك العصـــر : التبــاغض والتنازع علـــى المنــاصب [٢] . و الاختــلاف و الــنزاع فــي العقــائد [٣] و غيرهــا .

وقــد كــان لــهذه الظواهــر الســلبية المتفشــية فــي علمــاء ذلــك الزمــان رد فعــل واضــح فــي نفــس ابــن القيــم ، فقــام (يدعوهــم للوحــدة ونبــذ الخــلاف المذهبــــي والرجوع إلـــى الكتــاب والســنة النبويــة الصحيحــة) [٤] .

و قد قـــام ابـــن القيــم رحمـــه الله بواجبـــه تجــاه هــؤلاء العلمــاء بــالأمر بــالمعروف و النـــهي عـــن المنكــر ، فــتراه ينكــر عليــهم جمودهــم و تقليدهــم و غــير ذلــك فـــي مواضع كثيرة من كتبه [٥] . و قـــد ألـــف كتابـــه العظيـــم (إعـــلام الموقعيـــن

---

(١) انظـــر : عـــوض الله حجـــازي ، ابـــن القيـــم و منهجـــه مـــن التفكـــير الإســـلامي ، ص٢٨.

(٢) انظر أمثلة علـــى ذلــك فــي: ابــن كثــير، البدايــة والنهايــة، جــــ١٤، ص٥٧.حيــث ذكــر أنــه فــي أول ســنة ٧١٠هـــ باشــر الشــيخ (ســالم بــن أبــي الدريــن) تدريــس الشــامية (الجوانيــة) ، و الشــيخ (ســليمان الكــردي) تدريــس (العذراويــة) ، كلاهمــا انتزعــها مــن (ابــن الوكيـــل) بســـبب إقامته في مصـــر . و فـــي ص٥٨ ذكــر وقــوع منازعـــه بيـــن (صــدر الديــن بــن المرحــل) و بيــن (سليمان الكــردي) . و فـــي ص٥٩ ذكــر أن الشــيخ (كمـــال الديـــن بـــن الزملكـــاني) باشـــر التدريس في (مشــيخة دار الحديــث) ثــم لــم يســتمر بــها ســوى خمســة عشــر يومــا حتــى انتزعــها منه (كمال الديــن بــن الشــريش).

(٣) انظـــر مثـــالا علـــى ذلــك مـــا ذكـــره ابـــن كثـــير، البدايـــة و النهايـــة، جـــ١٤، ص٧٥،٧٦ حيـــث ذكر وقوع فتنة بيـــن الحنابلـــة و الشـــافعية بســـبب العقـــائد.

(٤) عـــوض الله حجـــازي، ابـــن القيـــم و موقفـــه مـــن التفكـــير الإســـلامي ، ص٢٧.

(٥) انظـــر علـــى ســـبيل المثـــال وصفـــه لعلمـــاء الســـوء و تحذيـــره منـــهم فـــــي، الفوائــــد، ص٥٥ تحت عنـــوان: (علمـــاء الســـوء).

عن رب العالمين) نصحاً لهؤلاء العلماء و رداً على بدع أهل البدع و شبهات أتباع الهوى ممن ينسب إلى العلم ، قال في مقدمته في وصف كثير من المنتسبين إلى العلم بل المعدودين من العلماء في عصره : (جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون و رؤوس أموالهم التي بها يتجرون ، و آخرون منهم قنعوا بمحض التقليد ، و قالوا : "إنا وجدنا آباءنا على أمة و إنا على آثارهم مقتدون"[١] . والفريقان بمعزل عما ينبغي اتباعه من الصواب).

١- إعلام الموقعين جـ١ص١٦، دار الحديث ، ط ٣ ، ١٩٩٧م-١٤١٧هـ ، القاهرة ، بتحقيق عصام الدين الصبابطي .

وعلى الرغم من الظواهر السلبية السابقة في الحياة العلمية في عصر ابن القيم إلا أنه وجدت بعض الظواهر الإيجابية و التي أهمها انتشار المدارس في شتى أنحاء البلاد الإسلامية ، فإن القارئ لكتب تاريخ ذلك العصر لا تكاد تمر به بضع صفحات منها إلا ويجد فيها ذكر مدرسة من تلك المدارس ، أو ذكر من درّس بها أو أمّ بها[٢] .وقد ذكرنا أن ابن القيم كان إمام المدرسة الجوزية ، وأنه درّس بالمدرسة الصدرية ، و قد كان يحضر الدروس في تلك المدارس ـ لا سيما الدرس الأول للمدرّس الجديد ـ العلماء و القضاة و الأعيان[٣] .

(١) الزخرف ٢٣.

(٢) أنظر على سبيل المثال : ابن كثير، البداية و النهاية، جـ١٤، ص٧٤ حيث يقول: "درّس ابن صصري بالأتابكية عوضا عن الشيخ صفي الدين الهندي" و قال:"حضر ابن الزملكاني درس الظاهرية الجوانية عوضا عن الهندي أيضا بحكم وفاته" ثم قال: "درس بالعادلية الصغيرة الفقيه الإمام فخر الدين محمد بن علي المصري المعروف بابن كاتب قطلوبك ، بمقتضى نزول مدرسها كمال الدين بن الزملكاني له عنها" . و مثل هذا كثير في غالب صفحات ذلك الكتاب.

(٣) أنظر مثلا: ابن كثير، البداية و النهاية، جـ١٤، ص٢٢٥. حيث ذكر أنه درّس عوضاً عن الذهبي بعد وفاته بتربة أم الصالح و حضر عنده جماعة من أعيان الفقهاء و القضاة . و ص٢٣٠ منه حيث ذكر أنه (باشر تقي الدين بن رافع المحدث مشيخة دار الحديث النورية ، و حضر عنده جماعة من الفضلاء و القضاة و الأعيان).

و برغم شيوع السلبية و التقليد و التعصب عند كثير ممن ينسب إلى العلم في ذلك الزمان إلا أنه لم يخل من علماء كبار في شتى مجالات العلوم ، و قد ألف هؤلاء العلماء في هذه الفترة مؤلفات تعد من أمهات الكتب و أهم المراجع في اللغة و التاريخ و الحديث و الفقه [(١)] . و يمكن للقارئ الكريم أن يعتبر من ذكرتُ من شيوخ و تلاميذ ابن القيم [(٢)] أمثلة على هذه الحقيقة .

ومما يشهد لهذه الحقيقة ما ذكره ابن كثير أنه في سنة ٧٣١ خرج هو وابن القيم إلى الحج وقد كان في ركب الحجاج الشامي عدد كبير من العلماء حتى كان أحد الشيوخ من علماء ذلك الركب يقول: "اجتمع في ركبنا هذا أربعمائة فقيه وأربع مدارس، وخانقاه، ودار حديث" [(٣)] .

المطلب الثالث

الحالة الاجتماعية في عصر ابن القيم :

ماذا تتوقع أيها القارئ الكريم من مجتمع قد فسد أغلب أمرائه ، واشتغلوا بالدنيا ، واقتتلوا على المناصب ، وضل كبار علمائه ــ لا سيما المتنفذين منهم ــ واتبعوا أهواءهم .

لقد كان من المنطقي أن تنتشر في ذلك المجتمع أيضاً أمراض اجتماعية كثيرة كالطلاق، ثلاثاً بلفظ واحد خلافاً لهدي الكتاب والسنة[(٤)]، ولجوء المطلق ثلاثاً إلى ما يسمى بالمحلل [(٥)] ،وأن تنتشر أيضاً المنكرات والمعاصي والفواحش .

---

(١) أنظر ابرز هؤلاء العلماء و شيئا من تراجمهم و مؤلفاتهم في: عوض الله حجازي، **ابن القيم و موقفه من التفكير الإسلامي**، ص١٦.

(٢) أنظر ابرز هؤلاء الأعلام و طرفا من تراجمهم في مبحثه (حياته العلمية) لاحقا، مطلبا : شيوخه ، و مطلب : تلاميذه ، من هذه الرسالة .

(٣) ابن كثير، **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج١٤، ص١٥٤ .

(٤) أنظر الحيز الكبير الذي شغلته هذه القضية في كتاب ابن القيم : **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، جـ١، ص ص٣٠٥ــ٣٥٨.

(٥) أنظر: المصدر ذاته، جـ١، ص ص٢٩٣ــ٣٠٠.

استمع إلى ابن القيم وهو يصف تلك الحال ،يقول: (بكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة ، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش ، وغلبة المنكرات والقبائح ،وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ، ومؤذن بليل بلاء قد ادلهم ظلامه.فاعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح،ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح) [١].

ومع ذلك كله لم يخل ذلك المجتمع من بقية خير ودين ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ..."[٢]، وعلى رأس هؤلاء العلماء العاملون[٣] ، ثم بعض الأمراء الناصحين[٤] والتجار الخيريين[٥]، وبعض الصوفية الصالحين[٦].

---

(١) ابن قيم الجوزية، **الفوائد**، مصدر سابق، ص٤٣.

(٢) رواه مسلم كتاب ٣٣ باب ٥٣ حديث رقم ١٧٠ . طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ١٤١٥هـ.

(٣) أشهرهم شيوخ ابن القيم وتلاميذه الذين سأعرف بهم في المطلبين الخاصين بهم لاحقا

(٤) منهم (الملك الأوحد نجم الدين يوسف ناظر القدس ، ... ، وكان من خيار أبناء الملوك دينا وفضيلة وإحسانا إلى الضعفاء ت ٦٩٨هـ) ابن كثير، **البداية والنهاية**، جـ١٤، ص٥ .(والأمير الكبير المرابط المجاهد علم الدين أرجواش بن عبد الله المنصوري ، نائب القلعة بالشام وكان ذا هيبة وهمة وشهامة وقصد صالح ، قدر الله على يديه حفظ معقل المسلمين لما ملكه التتار الشام أيام قازان ، وعصمت عليهم القلعة ومنعها الله منهم على يدي هذا الرجل ، فإنه التزم ألا يسلمها إليهم ما دام بها عين تطرف ت٧٠١هـ) **المصدر ذاته**، جـ١٤، ص٢٠ (والأمير الكبير محمد بن عيسى بن مهنا...كان حسن السيرة عاملا عارفا ت٧٢٤هـ) **المصدر ذاته**، جـ١٤، ص١١٦.

(٥) منهم (خطاب بن محمود بن رتقش العراقي . وقد عمل الخان المشهور به بعد موته،وقد حصل الكثير من المسافرين به رفق) **المصدر ذاته**، جـ١٤، ص١٢١ .و(ركن الدين خطاب بن الصاحب كمال الدين ، ...، له خانقاه في بلده بسيواس ، عليها أوقاف كثيرة وبر وصدقة)**المصدر ذاته**، جـ١٤،ص١٢١ أيضا . و (الشيخ الأجل التاجر بدر الدين ... وكان رجلا حسنا ... وله بر وصدقة ومعروف) **المصدر ذاته**، جـ١٤، ص١٦٧ .

(٦) أنظر المبحث الخاص بصوفية هذا العصر لاحقا إن شاء الله .

وأما أثر هذه الظروف في التصوف والصوفية في هذا العصر فإنه اتخذ مظهرين :

الأول : مظهر إيجابي مشرف ، تمثل في سلوك منهج التصوف الملتزم – إلى حد كبير – بالكتاب والسنة ، كسبيل للنجاة والسلامة من تلك الفتن ، بل والوقوف في وجهها أحيانا [(١)] .

الثاني : مظهر سلبي منحرف ، تمثل في سلوك منهج التصوف (المنحرف) البعيد كل البعد عن الكتاب والسنة كمهرب من مواجهة تلك الظروف العاتية ، حيث اشتغل أصحاب هذا المنهج بالبدع والانحرافات المختلفة [(٢)] ، ولم يقف الأمر بهم عند هذا الحد فقد لاقى الفساد السياسي قبولا في نفوسهم ، فركبوا موجته ، وكانوا سببا رئيسا للأذى والظلم الذي أصاب طائفة من خيرة علماء ذلك الوقت [(٣)] بينما كانوا أمام التتار أول الخانعين المسالمين لهم ، بل المقربين عندهم ، حتى قال قائلهم : (نحن ما ينفق حالنا إلا عند التتار ، وأما عند الشرع فلا) [(٤)] .

---

(١) أنظر أمثلة لأهل هذا المنهج في مبحث : الصوفية في عصر ابن القيم لاحقا.

(٢) ، (٣)أنظر مبحث : الصوفية في عصر ابن القيم .

(٤)القائل هو الشيخ (صالح الأحمدي الرفاعي) المتوفى سنة ٧٠٧هـ . أنظر ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية،مصدر سابق، جـ١٤، ص٤٧ . وانظر المبحث القادم : الصوفية في عصر ابن القيم .

وأما أثر هذه الظروف في التصوف والصوفية في هذا العصر فإنه اتخذ مظهرين :

الأول : مظهر إيجابي مشرف ، تمثل في سلوك منهج التصوف الملتزم ــ إلى حد كبير ــ بالكتاب والسنة ، كسبيل للنجاة والسلامة من تلك الفتن ، بل والوقوف في وجهها أحيانا [١] .

الثاني : مظهر سلبي منحرف ، تمثل في سلوك منهج التصوف (المنحرف) البعيد كل البعد عن الكتاب والسنة كمهرب من مواجهة تلك الظروف العاتية ، حيث اشتغل أصحاب هذا المنهج بالبدع والانحرافات المختلفة [٢] ، ولم يقف الأمر بهم عند هذا الحد فقد لاقى الفساد السياسي قبولا في نفوسهم ، فركبوا موجته ، وكانوا سببا رئيسا للأذى والظلم الذي أصاب طائفة من خيرة علماء ذلك الوقت [٣] بينما كانوا أمام التتار أول الخانعين المسالمين لهم ، بل المقربين عندهم ، حتى قال قائلهم : (نحن ما ينفق حالنا إلا عند التتار ، وأما عند الشرع فلا) [٤] .

---

(١) أنظر أمثلة لأهل هذا المنهج في مبحث : الصوفية في عصر ابن القيم لاحقا.

(٢) ، (٣)أنظر مبحث : الصوفية في عصر ابن القيم .

(٤)القائل هو الشيخ (صالح الأحمدي الرفاعي) المتوفى سنة ٧٠٧هـ . أنظر ترجمته في: ابن كثير، البداية والنهاية،مصدر سابق، جـ١٤، ص٤٧ . وانظر المبحث القادم : الصوفية في عصر ابن القيم .

بن حريز [١] بـــن مكـي[٢] الزرعـــي[٣].

---

(١) الصفـــدي ، **الوافـــي بالوفيـــات** ، ج٢ ، ص٢٧٠ . وابـــن نـــاصر ، **الـــرد الوافـــــر** ، ص١٢٤.و عبـد الحـي بـن أحمـد ، ابـن العمـاد ، (ت١٠٨٩هــ) ، **شـــذرات الذهــب فـــي أخبـــار مـــن ذهـــب**، ج٨ ، تحقيـــق محمـــود الأرنـــؤوط، ط١، دار ابـــن كثـــير، ١٩٩٢م، ص٢٨٧.

وخـالف محمـد بـن علـي الشـوكاني (ت ١٢٥٠هــ) فـي إعجامـــه ، فذكـــره باســـم (جريــر) علــى مثـل اسـم الشـاعر المشـهور . انظـر كتابـه: **البـدر الطـالع بمحاسـن مـن بعـد القـرن السـابع** ، ج٢، ط بـدون، دار المعرفـة، بـيروت، سـنة بـدون، ص١٤٣. ومـــن الغريـــب أني وجـدت اسـم هـذا الجـد عنـد ابـن رجـب ، **ذيـل طبقـات الحنابلـة** ، ج٢ ، ص٣٦٨ هكـذا : (جريز) بالجيم المعجمة ثم الـراء المهملـة ، ثـم اليـاء ثـم الـزاي !

(٢) اسم هذا الجد (مكـــي) لـم يذكـره أحـد ممـن ترجـم للإمـام ابـن القيـم فـي كتـب الـتراجم . وإنمـا تحصـل لنـا مـن ترجمـة أخيـه (عبـد الرحمـن) عنـد شـهاب الديـن أحمـد بـن حجـر العسقلاني ، **الـدرر الكامنـة فـي أعيـان المائـة الثامنـة**، ج٢، تحقيـق محمـد سـعيد جـاد الحـق، ط٢، دار الكتـب الحديثـة، مصـر، ١٩٦٦م، ص٤٣٤ . حيـث ذكـره باســمه ولقبـــه : (مكـــي، زين الديـــن) .

(٣) نسـبه إلـى (زرع) . قريـة صغـيرة مـن قـرى حـوران .وتسـمى فـي عصرنـــا هـــذا (إزرع) ، تقع جنـوب شـرقي دمشـق ، علـى بعـد حوالـي خمسـة وخمسـين ميـلا عنـها . انظـر مقدمـة تحقيـق (زاد المعـاد) لابـن القيـم . ج١ ، ص١٥ . للمحققيـن : شــعيب وعبـــد القـــادر الأرنـؤوط، ط٢، ٥ مجلـدات، مؤسسـة الرســالة، بـيروت ١٩٨٢م . وانظـــر أيضـــا مقدمـــة تحقيـق **(طريـق الـهجرتين وبـاب السـعادتين)** لابـن القيـم، ص٨ ، للمحقـــق يوســـف علـــى بديـوي، ط١، دار ابـن كثـير، دمشـق- بـيروت، ١٩٩٣م . وانظـر أيضـا: بكـر ابـن عبـــد الله أبـو زيـد ، **ابـن قيـم الجوزيـة حياتـه وآثـاره** ، ص٨،٩ . ط٢ (١٤٠٥هـــــ ١٩٨٥م) مكتبـــة المعـارف – الريـاض . حيـث نقـل تحقيـق الأسـتاذ أحمـد عبيـد ، محقـق **(روضـة المحبيـــن)** لابـن القيـم وأشـار بالـهامش : (مقدمـة **روضـة المحبيـن** ، ص/ب الطبعـة الأولـى ســـنة ٣٧٥ هـ مطبعة السعادة بمصـــر تحقيـق أحمـد عبيـد)

بن حريز [١] بــن مكــي[٢] الزرعــي[٣].

---

(١) الصفــدي ، **الوافــي بالوفيــات** ، ج٢ ، ص٢٧٠ . وابــن نــاصر ، **الــرد الوافــر** ، ص١٢٤.و عبد الحي بن أحمد ، ابن العماد ، (ت١٠٨٩هـ) ، **شــذرات الذهــب فــي أخبــار مــن ذهــب**، ج٨ ، تحقيــق محمــود الأرنــؤوط، ط١، دار ابــن كثــير، ١٩٩٢م، ص٢٨٧.

وخـالف محمد بـن علـي الشـوكاني (ت ١٢٥٠هـ) فـي إعجامـه ، فذكـره باسـم (جريـر) علـى مثـل اسم الشـاعر المشـهور . انظـر كتابـه: **البـدر الطـالع بمحاسـن مـن بعـد القـرن السـابع** ، ج٢، ط بـدون، دار المعرفـة، بـيروت، سـنة بـدون، ص١٤٣. ومـن الغريـب أني وجـدت اسـم هـذا الجـد عنـد ابـن رجـب ، **ذيـل طبقـات الحنابلـة** ، ج٢ ، ص٣٦٨ هكـذا : (جريز) بالجيم المعجمة ثم الـراء المهملـة ، ثـم اليـاء ثـم الـزاي !

(٢) اسم هذا الجد (مكــي) لـم يذكـره أحـد ممـن ترجـم للإمـام ابـن القيـم فـي كتـب الـتراجم . وإنمـا تحصـل لنـا مـن ترجمـة أخيـه (عبـد الرحمـن) عنـد شـهاب الديـن أحمـد بـن حجـر العسقلاني ، **الـدرر الكامنـة فـي أعيـان المائـة الثامنـة**، ج٢، تحقيـق محمـد سـعيد جـاد الحـق، ط٢، دار الكتـب الحديثـة، مصـر، ١٩٦٦م، ص٤٣٤ . حيـث ذكـره باسـمه ولقبـه : (مكـي، زين الديـن) .

(٣) نسـبه إلـى (زرع) . قريـة صغـيرة مـن قـرى حـوران .وتسـمى فـي عصرنـا هـذا (إزرع) ، تقع جنـوب شـرقي دمشـق ، علـى بعـد حوالـي خمسـة وخمسـين ميـلا عنـها . انظـر مقدمـة تحقيـق **(زاد المعـاد)** لابـن القيـم . ج١ ، ص١٥ . للمحققيـن : شـعيب وعبـد القـادر الأرنـؤوط، ط٢، ٥ مجلـدات، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت ١٩٨٢م . وانظـر أيضـا مقدمـة تحقيـق **(طريـق الـهجرتين وبـاب السـعادتين)** لابـن القيـم، ص٨ ، للمحقـق يوسـف علـى بديـوي، ط١، دار ابـن كثـير، دمشـق- بـيروت، ١٩٩٣م . وانظـر أيضـا: بكـر ابـن عبـد الله أبـو زيـد ، **ابـن قيـم الجوزيـة حياتـه وآثـاره** ، ص٨،٩ . ط٢ (١٤٠٥هـ ١٩٨٥م) مكتبـة المعـارف – الريـاض . حيـث نقـل تحقيـق الأسـتاذ أحمـد عبيـد ، محقـق **(روضـة المحبيـن)** لابـن القيـم وأشـار بالـهامش : (مقدمـة **روضـة المحبيـن** ، ص/ب الطبعـة الأولـى سـنة ٣٧٥ هـ مطبعة السعادة بمصـر تحقيـق أحمـد عبيـد)

المبحث الثـــالث

مـــولده ونشـــأته

المطلـــب الأول

مـــولـــده

ولد ابن القيـــم ســنة إحـــدى وتســعين وســتمائة[١] ، فـــي اليـــوم الســـابع مـــن صفـــر[٢] .

أمـــا مكـــان ولادتـــه فلـــم تذكـــر كتـــب الـــتراجم شـــيئا صريحـــا فيـــه . إلا أن بعضـــها يقـــول : "الزرعـــي ثـــم الدمشـــقي"[٣] والبعـــض الآخـــر يقـــول : "الزرعي الأصـــل ثـم الدمشـــقي"[٤] .

وهاتـــان العبارتـــان يمكـــن فهمـــهما علـــى معنييـــن : الأول : أنـــه ولـــد فـــي زرع ثـــم تحـــول إلـــى دمشـــق. والعبـــارة الأولـــى أقـــرب إلـــى هـــذا المعنـــى . والمعنى الثاني : أن آبائـــه وأجـــداده زرعيـــون ، ثـــم تحـــول والـــده إلـــى دمشـــق، وولد هو فيها . والعبارة الثانيـــة أقـــرب إلـــى هـــذا المعنـــى .

ولذلك تجـــد المـــترجمين المتـــأخرين قـــد اختلفـــوا فـــي تحديـــد مكـــان ولادتـــه بحسب فـــهم كـــل منـــهم للعبـــارتين الســـابقتين . فالشـــيخان شـــعيب وعبـــد القـــادر الأرنؤوط اعتـــبرا مولـــده فـــي قريـــة زرع [٥]. أمـــا الزركلـــي فقـــد اعتـــبر مولـــده في دمشق[٦] ، ووافقـــه الأســـتاذ عمـــر رضـــا كحالـــة[٧] .

---

(١) ابـــن كثـــير ، **المرجـــع ذاتـــه** ، ج١٤ ، ص٢٣٤. وابـــن رجـــــب ، **ذيـــل طبقـــات الحنابلـــة** ، ج٢، ص٣٦٨ . وابـــن نـــاصر ، **الـــرد الوافـــر** ، ص١٢٤ . وابـــن حجـــر ، **الـــدرر الكامنـــة** ، ج٤، ص٢١. وابـــن تغـــري بـــردي ، **النجـــوم الزاهـــرة** ، ج١٠، ص١٩٥ .

(٢) الصفـــدي ، **الوافـــي بالوفيـــات** ، ج٢، ص٢٧٠.

(٣) ابـــن رجـــب ، **ذيـــل طبقـــات الحنابلـــة** ، ج٢ ، ص٣٦٨. وابـــن مفلـــح ، **المقصـــد الأرشـــد** ، ج٢،ص٣٨٤ . والنعيمـــي ، **الـــدارس فـــي تـــاريخ المـــدارس** ،ج٢ ، ص٩٠ . والـــداوودي ، **طبقـــات المفســـرين** ، ص٩٣ . وابـــن العمـــاد ، **شـــذرات الذهـــب** ، ج٨،ص٢٨٧ .

(٤) ابـــن نـــاصر ، **الـــرد الوافـــر** ، ص١٢٤.

(٥) مقدمـــة تحقيـــق (**زاد المعـــاد**) ، ج١، ص١٥ .

(٦) الزركلـــي، **الأعـــلام** ، ج٦ ، ص٥٦ .

(٧) كحالـــة، **معجـــم المؤلفيـــن** ، ج٣ ، ص١٦٤ .

الكتـب[1] والله أعلـم.

وقد بذل ابن القيـم فـي هـذه المرحلـة ، مرحلـة النشـأة والطلـب ، جـهدا كبـيرا في تحصيل العلم . وقـد ظـهر هـذا الجـهد فـي مظـاهر واضحـة ذكرهـا مـترجموه. لعل أبرزها مـا يلـي :

أولا : حرصه على الأخـذ عـن شـيوخ كبـار فـي السـن ، وهـو لـم يـزل فـي سن مبكرة ، فقد أخـذ عـن شـيخه (الشـهاب العـابر)[2] المتوفـى سـنة سـبع وتسـعين وستمائة ، عن تسـع وسـتين

سنة بينما كان عمر بـن القيـم فـي ذلـك الحيـن ــ عنـد وفـاة هـذا الشـيخ ــ لا يتجاوز سـبع سـنين .

ويمكننـا أن نـرى مزيـدا مـن الأمثلـة الدالـة علـى هـذه النتيجـة فـي مبحـث شـيوخه لاحقـا والمقارنـة بيـن تـاريخ ولادتـه وتواريـخ وفيـات شـيوخه أو تواريـخ لقائه بـهم [3] .

ثانيا : حرصه علـى الأخـذ عـن عـدد كبـير مـن الشـيوخ . وقـد ذكـرت فـي مطلب شيوخه ـ لاحقا[4] – عشـرين شـيخا مـن شـيوخ ابـن القيـم.

ويظهر هذا الحـرص جليـا إذا علمنـا أن ابـن القيـم أنـه لـم يكتـف فـي المجـال الواحد بـالأخذ عـن شـيخ واحـد وإن كـان مـن الشـيوخ الكبـار ، بـل كـان يـدرس نفس المجال علـى شـيخ ثـان وثـالث . ولسـان حالـه يتـأول قـول الله تعـالى :"وقـل رب زدني علما "[5] ومن الأمثلة على هـذا أنـه أخـذ علـم الفرائـض عـن أبيـه

(١) هذا استنتاج مسـتفاد مـن قـول ابـن كثـير عـن ابـن القيـم أنـه (اقتنـى مـن الكتـب مـالا يتـهيأ لغـيره تحصيـل عشـره مـن كتـب السـلف والخلـف). البدايـة والنهايـة، ج١٤، ص٢٣٥. فلو لم تكن الكتب متوفرة فـي عصـره لمـا تـهيأ لـه اقتناؤهـا والله أعلـم .

(٢) هو احمـد بـن عبـد الرحمـن بـن نعمـة القدسـي، عـابر الرؤيـا. روى الحديـث، وكـان عجبـا فـي تفسـير المنامـات، ولـه فيـه اليـد الطولـى. ت ٦٩٧هـ.أنظـر: المصـدر ذاتـه، ج١٣، ص٣٥٣.

(٣) انظر مبحـث شـيوخ ابـن القيـم لاحقـا تجـد علـى سـبيل المثـال أنـه أخـذ عـن أبـي الفتـح البعلي، المتوفـى سـنة ٧٠٩هـ .أي أن هـذا الشـيخ توفـي وعمـر ابـن القيـم لـم يتجـاوز ثمـاني عشرة سـنة . ونجـد كذلـك أنـه بـدأ بملازمـة ابـن تيميـة سـنة ٧١٢هـ. أي وعمـره حينئـذ لـم يتجاوز الواحـدة والعشـرين .

(٤) انظر مبحـث شـيوخه لاحقـا.

(٥) طـه ١١٤.

ـ كما ذكرت آنفا ـ لكنه لم يكتف بذلك بل درسها بعد ذلك على شيخ الإسلام ابن تيمية ، ودرسها كذلك على المجد الحراني[١] ، كما سيتضح في مبحث شيوخه لاحقا. وكذلك نراه في علم الأصول : يدرسه على الصفي الهندي[٢] ، وعلى ابن تيمية ، وعلى المجد الحراني أيضا [٣] .

والذي يجعلني أقرر أن هذا كان في مرحلة النشأة : المقارنة بين سنة ولادة ابن القيم (٧٩١هـ) وبين سني وفيات مجموعة من شيوخه. فقد وجدنا أن سبعة من أكابر شيوخه الذين عرفناهم ممن أخذ عنهم وأتقن على أيديهم فنون متعددة من العلوم قد توفوا قبل بلوغه سن الخامسة والعشرين[٤]. أضف إلى ذلك أنه أخذ الفرائض عن والده[٥] في سن مبكرة على ما يبدو ، فإنه أول شيخ لقيه ابن القيم ، وكذلك كان لقاء بشيخ الإسلام ابن تيمية سنة ٧١٢هـ حيث بدأ بملازمته والأخذ عنه[٦] وهو لا يتجاوز الحادية والعشرين من عمره.

ثالثا : شغفه بجمع الكتب : فقد شغف بجمع الكتب[٧] واقتنى منها مالا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف[٨] ومن الواضح أن هذا

---

(١) إسماعيل بن محمد الفراء الحراني، شيخ الحنابلة بدمشق، سمع كالحديث وبرع في الفقه وكان كثير الصمت عند ما لا يعنيه ت ٧٢٩ هـ، انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٤٦.

(٢) محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الشافعي المتكلم، صنف في الأصول والكلام، وكان فيه بر وصلة، وتولى مشيخة الشيوم على الصوفية بطلبهم، بدمشق سنة ٧٠٢هـ ت ٧١٥ هـ. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٦، ثم ص٧٤.

(٣) انظر مطلب (شيوخه) لاحقا.

(٤) أعني شيوخه : الشهاب العابر ، ت ٦٩٧ . وأبو الفتح البعلي ، ت ٧٠٩ ، والواسطي ت٧١١ هـ . وفاطمة بنت جوهر ت ٧١١هـ . والحاكم سليمان ت ٧١٥ هـ . والصفي الهندي، ت ٧١٥هـ أيضا وابن مكتوم ت ٧١٦هـ . انظر تراجمهم في مبحث شيوخه بعد قليل، ص١٦-٢٠.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة ، مصدر سابق، ج٤، ص٢١ .

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية ، مصدر سابق، ج١٤، ص ٢٣٤ .

(٧) ابن حجر، الدرر الكامنة ، مصدر سابق، ج٤ ، ص ٢٢ .

(٨) ابن كثير، البداية والنهاية مصدر سابق، ج١ ، ص ٢٣٥ .

الحرص على اقتناء الكتب قد بدأ في مرحلة النشأة حيث أن طالب العلم يبدأ في هذه المرحلة باقتناء الكتب التي يقرأ منها على المشايخ ويحفظ منها المتون ويراجع فيها ما يدرسه على شيوخه .

ومن الجدير بالذكر هاهنا أن ابن القيم قد اطلع ـ فيما اطلع عليه ـ على كتب كثيرة من كتب التصوف على اختلاف مناهجها.

فمن كتب التصوف الإسلامي الملتزم بضوابط الشرع التي أشار إلى اطلاعه عليها : كتاب (الرعاية)[١] للإمام المحاسبي[٢]، وكتاب (التعرف لمذهب أهل التصوف)[٣] للكلاباذي[٤]،

ومن كتب التصوف الفلسفي: كتاب (فصوص الحكم)[٥] لابن عربي[٦]،

(١) أشار إليه في (مدارج السالكين)، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، ١٩٥٦م،ج١ ، ص٤٣٩ .

(٢) هو الحارث بن أسد المحاسبي، أبوعبدالله، أحد أئمة الصوفية وأستاذ الجنيد بن محمد. توفي سنة ٢٤٣هـ . انظر ترجمته في: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٠، ص٣٤٥. وابن الجوزي، **صفة الصفوة**، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ط وسنة بدون، ج١، ص٤٢١، وما بعدها .

(٣) ذكره في (**الصواعق المرسلة**) . انظر (مختصره) لمحمد الموصلي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط وسنة بدون، ج٢ ، ص٤٩٧ .

(٤) هو محمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري، أبو بكر ،من حفاظ الحديث، له كتاب (بحر الفوائد) جمع فيه ٥٩٢ حديثا . ت ٣٨٠هـ . انظر: زهير ظاظا، **ترتيب الأعلام على الأعوام** ،ج١، دار الأرقم ـ بيروت، ط وسنة بدون ،والزركلي، **الأعلام**، ج٥ ،ص٢٩٥ .

(٥) نقل عنه في (**حادي الأرواح**)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط وسنة بدون، ص١١٣. وأشار إليه في (مدارج السالكين) ، ج١ ، ص٣٥٦ .

(٦) محي الدين محمد بن علي بن عربي، أبو بكر. يلقبه أتباعه بالقطب والشيخ الأكبر . نشأ بالأندلس ورحل إلى مصر ثم إلى مكة ثم استقر في دمشق ثم عاد إلى فاس ومات بها سنة ٥٤٣هـ . يدور فكره حول مذهب وحدة الوجود . وقد لاقى معارضة شديدة من طائفة كبيرة من العلماء والفقهاء كابن تيمية والعز بن عبد السلام الذهبي وابن القيم وغيرهم . ومن أقواله التي تلخص مذهبه قوله " سبحان من خلق الأشياء وهو عينها ". له كتب كثيرة منها : (الفتوحات المكية)، (فصوص الحكم)، و(الديوان الأكبر) ديوانه الشعري المطبوع . انظر: احمد عطية الله، **القاموس الإسلامي**، ج٥ ، ص ص٣٣٠-٣٣٣ .

و (الإشارات)[1] لابن سينا[2] ، و (شرح منازل السائرين)[3] للعفيف التلمساني[4] .

وهناك طائفة أخرى من الكتب الصوفية التي اطلع عليها ابن القيم واهتم بها تلك الكتب التي جعلت (الفناء)[5] محورا لها، فكانت عباراتها غامضة في كثير من الأحيان، تقترب تارة من نصوص الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة في السلوك ، وتبتعد تارة أخرى عنها لتقترب من كلام أصحاب فلسفة (وحدة الوجود) . ومن أبرز هذه الكتب : كتاب (منازل السائرين)[6] لأبي إسماعيل الهروي، الذي شرحه ابن القيم في كتابه الكبير

---

(١) نقل عنه في (**شفاء العليل**)، تحقيق صلاح عويضة، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٦م، ص٢٧ .

(٢) هو الحسن بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الطبيب الفيلسوف، يقال إن له نحو مائة مصنف . وقد كفره الغزالي لقوله بقدم العالم، وقوله بعدم المعاد الجسماني، وقوله إن الله لا يعلم الجزئيات . ويقال إنه تاب عند الموت .توفي سنة ٤٢٨هـ.انظر ترجمته في: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٢، ص٤٢ .

(٣) أشار إليه ونسبه إلى طريقة الاتحاد في (**مدارج السالكين**) ، ج١، ص٢٦٤ .

(٤) سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، تنقل في بلاد الروم وسكن دمشق، كان يتصوف ويتكلم بالتصوف على طريقة ابن عربي . وقد اتهم برقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية (فرقة من غلاة الشيعة). من كتبه : "شرح الفصوص " لابن عربي، وشرح "منازل السائرين للهروي" وله ديوان شعر . ت ٦١٠ هـ . أنظر:الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص ١٣٠ .

(٥) حالة يصل إليها الصوفي باستغراقه التفكير في عظمة الله وذكره وتوجه القلب إليه وفي هذه الحالة ينعدم شعور الشخص بنفسه ولوازمها، فلا يرى (بقلبه) إلا الله ولا يعلم إلا الله وعندها يقول :

"ليس في الوجود إلا الله ". وهي الحالة التي أوجبت للصوفية شطحاتهم المنكرة ويعتقد بعضهم بوحدة الوجود . أنظر د.أنور فؤاد أبو خزام، **معجم المصطلحات الصوفية**، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٣م. ص١٣٧.

(٦) ذكره في (**شفاء العليل**) ص٢٩ . وشرحه في كتابه الكبير (**مدارج السالكين**) .

(مدارج السالكين) ، وكتاب (محاسن المجالس)[١] في علل المقامات ، لأبي العباس ، ابن العريف[٢] الذي شرح ابن القيم بعضا من عباراته في كتاب (طريق الهجرتين) .

وقد اطلع ابن القيم على هذه الكتب وغيرها[٣] ، بنظرة ناقدة بصيرة ، فميز صحيحها من سقيمها؛ بفضل الله تعالى ، ثم بفضل تربيته العلمية السلفية[٤] على أيدي العلماء الثقات الذين أخذ عنهم العقيدة وعلوم القرآن والسنة ، تلك العلوم التي جعلها حكما عدلا فيما يقرؤه في كتب الصوفية من آرائهم وخواطرهم .

---

(١) ذكره في: **طريق الهجرتين**، تحقيق مسلم الحسيني، ط١، مكتبة الإيمان ، المنصورة،١٩٩٦م، ص٢٧١، وص٢٧٣ . وشرح شيئا لا بأس به من عباراته في هذا الكتاب، أنظره: ص ص٢٣٨ –٣٨١ .

(٢) أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي، فاضل شهير بالصلاح. ت٥٣٦ هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١ ،ص ٢١٥ .

(٣) يراجع : بكر أبو زيد ، **موارد ابن القيم في كتبه** ،ط٢،مكتبة المعارف،الرياض،١٩٨٥م. حيث استقصى الكتب التي اطلع عليها ابن القيم وذكرها في كتبه ، وأشار إلى مواضع ورود كل منها في كتب ابن القيم .

(٤) أعني بتربيته السلفية :تربيته على منهج السلف الصالح، وانتسابه إليهم اتباعا ومحبة وولاء . وفي القاموس الإسلامي : (السلف الصالح : الصحابة وخيار التابعين. والسلفي : نسبة إلى السلف . والسلفي في الاصطلاح الفقهي : الذي يرجع في الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة ويهدر ما دونهما).

أنظر : أحمد عطية الله، **القاموس الإسلامي**، ج٣، ص ٤٣٨ .

وفي (**المنجد في اللغة والأعلام**) : (السلفية : نزعة إصلاحية نادت بالرجوع إلى مناهج السلف والتمسك بالسنة) .**المنجد في اللغة والأعلام**، ط٣٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢م، ص٣٠٥ . قلت: ولا شك أن ابن القيم من تلامذة السلفية ودعاتها بهذا المعنى .والله أعلم.

المبحـــث الرابــــع

حياته العلمية

وهذا المبحث قد يطول قليـــلا عمـــا قبلـــه وعمـــا بعـــده مـــن مبـــاحث هـــذا الفصـــل، ذلـــك أن فيـــه جوهـــر التعريـــف بشـــخصية الإمـــام ابـــن القيـــم ــ رحمـــــه الله ــ ولا عجب ، فإننا إنما نعرف بعالم كبـــير ، شـــغل العلـــم لبـــه ، ومـــلأ حياتـــه .

ولا نريد أن نطيـــل ، فلنبـــدأ بمطـــالب هـــذا المبحـــث :

المطلـــب الأول

شيوخ ابن القيم

أشرت آنفا إلـــى كـــثرة شـــيوخ ابـــن القيـــم ، وفـــي هـــذا المطلـــب أعـــرف باشـــهر هؤلاء الشيوخ ، ليتبين مـــن خـــلال هـــذا العـــرض ــ المختصـــر إلـــى حـــد مـــا ــ شـــدة حـــرص ابـــن القيـــم علـــى لقـــاء العلمـــاء والأخـــذ عنـــهم ، وســـعة اطلاعـــه ــ رحمـــه الله ــ وغـــزارة روافـــده العلميـــة .

وقـــد أثبـــت فـــي هـــذا المطلـــب مـــن الشـــيوخ مـــن ثبتـــت مشـــيخته لابـــن القيـــم ووقفت علـــى ترجمـــة لـــه و رتبـــت تراجمـــي المختصـــرة لـــهم حســـب تـــاريخ الوفـــاة، توثيقا لتبكير ابـــن القيـــم فـــي طلـــب العلـــم، وبيانـــا لحرصـــه علـــى الأخـــذ عـــن عـــدد كبير من الشـــيوخ فـــي ســـن مبكـــرة كمـــا أشـــرت فـــي مطلـــب نشـــأته الســـابق ولنبـــدأ بذكر هـــؤلاء الشـــيوخ الأفـــاضل :

١ – **الشهاب العـــابر**. وقـــد ســـبقت ترجمتـــه .

ذكـــره فـــي شـــيوخ ابـــن القيـــم كـــل مـــن : الصفـــــدي[٢] ، وابـــــن رجـــــب[٣] ، والـــداوودي[٤] ، وابـــن العمـــاد[٥] .

---

(١) انظر ترجمتـــه فـــي: ابـــن كثـــير، البدايـــة والنهايـــة، مرجـــع ســـابق، ج١٣،ص٣٥٣.

(٢) **الوافـــي بالوفيـــات**، مرجـــع ســـابق، ج٢،ص٢٦١.

(٣) **ذيـــل طبقـــات الحنابلـــة** ، مرجـــع ســـابق، ج٢، ص٣٦٨ .

(٤) **طبقـــات المفســـرين**، مرجـــع ســـابق، ص٩٤.

(٥) **شـــذرات الذهـــب**، مرجـــع ســـابق، ج٨، ص٢٨٧.

وقد ذكر ابن القيم عنه بعض ما حدثه في تفسير بعض المرائي ، ثم قال: (وهذه كانت حال شيخنا هذا ورسوخه في علم التعبير ، وسمعت عليه عدة أجزاء ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه لصغر السن، واخترام المنية له، رحمه الله تعالى) [١].

٢. ابن أبي الفتح البعلي ، محمد ، شمس الدين ، أبو عبد الله ، ابن أبي الفتح بن أبي الفضل ، الحنبلي ، الفقيه ، اللغوي ، النحوي . المتوفى سنة ٧٠٩هـ [٢].

ذكره في شيوخ ابن القيم : الصفدي، وذكر أن ابن القيم أخذ عنه الفقه والعربية [٣]، ثم فصل فذكر مجموعة من الكتب اللغوية التي قرأها عليه [٤] . وذكره في شيوخه أيضا : ابن حجر [٥] والسيوطي [٦] و الداوودي [٧] .

٣. الواسطي ، أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود ، الزاهد القدوة العارف ، عماد الدين أبو العباس . المتوفى سنة ٧١١هـ [٨] .

قال ابن رجب: " كان أبوه شيخ الطائفة الأحمدية [٩]، ونشأ الشيخ عماد الدين

(١) زاد المعاد ، طبعة المكتبة القيمة، ج٣ ، ص ص٥٢ -٥٣.

(٢)أنظر ترجمته في: ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة ،جـ ٢ ،ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٣)الوافي بالوفيات،مرجع سابق،جـ٢ ،ص ٢٧١ .

(٤)المرجع ذاته، بنفس الجزء والصفحة. وانظر: بكر أبو زيد، ابن قيم الجوزية حياته وآثاره، ص ص١٠٥-١٠٦ حيث ذكر تلك الكتب وعرف بها وبين المطبوع منها .

(٤)الدرر الكامنة، مرجع سابق، جـ٤، ص٢١.

(٥)بغية الوعاة، مرجع سابق، جـ١، ص٦٢.

(٧)طبقات المفسرين، مرجع سابق، ص٩٤.

(٨)انظر ترجمته في:ابن رجب، ذيل طبقات الحنابلة، جـ٢،ص ٢٩٦، ٢٩٧ .وانظر أيضا: عبد الحفيظ المكي، موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية، ط١، دار السلام،القاهرة،١٩٨٨م، ص١٤٢ . ثم: ص ص١٧٩- ١٨٦ .

(٩) (الأحمدية)أو(الرفاعية) : طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ أحمد بن علي بن احمد الرفاعي، وهو صوفي معروف توفي سنة ٥٧٨هـ . عرف بالزهد وشدة العطف على الناس والحيوان، حتى إنه كان يعف عن قتل الحشرة، ولا يذب البعوضة... ومن ثم ارتبط اسم (الأحمدية) بالقيام بأعمال خارقة للطبيعة مثل أكل الزجاج والولوج في النيران .وهي أعمال لم تنسب للشيخ أحمد الرفاعي إلا بعد وفاته بأمد بعيد. انظر: احمد عطية الله، القاموس الإسلامي، مرجع سابق،ج٢، ص٥٥٢ .

بينهم ، وألهمه الله من صغره طلب الحق ومحبته ، والنفور عن البدع وأهلها.

واجتمع بالإسكندرية بالطائفة الشاذلية[١] ، فوجد عندهم ما يطلبه من لوايح المعرفة والمحبة والسلوك ، فأخذ ذلك عنهم ، وانتفع بهم ، واقتفى طريقتهم وهديهم .

ثم قدم دمشق فرأى الشيخ تقي الدين وصاحبه [٢] ، فدله على مطالعة السيرة النبوية ... ، وأقبل على مطالعة كتب الحديث والسنة والآثار ، ... ، واعتنى بأمر السنة أصولا وفروعا ، وشرع في الرد على طوائف المبتدعة الذين خالطهم وعرفهم من الاتحادية وغيرهم ، ...، وألف تاليفا كثيرا في[التصوف الصحيح، وكتبه][٣] من أنفع كتب الصوفية للمريدين ، انتفع بها خلق من متصوفة أهل الحديث متعبديها .

وكان شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية يعظمه ويجله ، ويقول عنه : هو جنيد وقته .وكتب إليه كتابا من مصر أوله : إلى الشيخ الإمام العارف القدوة السالك. وسمع منه جماعة من شيوخنا وغيرهم".[٤]انتهى كلام ابن رجب.

وهذا الشيخ لم يذكره في شيوخ ابن القيم أحد ممن ترجم له أو كتب عنه ــ ممن اطلعت على كتاباتهم ــ قديما أو حديثا.وقد استفدت توثيق مشيخته لابن القيم من تصريح ابن القيم نفسه بذلك ،حيث قال في معرض شرحه لشيء من كلام (الهروي) في(منازل السائرين) :"والذي يليق به ما ذكره شيخنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي في شرحه ..." [٥].

---

(١) (الشاذلية): طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ . تنتشر هذه الطريقة في مصر والسودان . من أهم مبادئها :

١، التوبة المخلصة. ٢. العزلة فترة من الزمن للزوم الفكر والمراقبة والاستغفار ٣. جهاد النفس، وهو يستلزم الورع والزهد والتوكل . ٤. الأخذ بنصيب من متاع الدنيا، على الا يكون المريد عبدا لها . أنظر: أحمد عطية الله، **القاموس الإسلامي**، ج٤، ص٦ .

(٢) أغلب الظن أنه يعني شيخ الإسلام ابن تيمية، وصاحبه ابن قيم الجوزية .

(٣) ما بين الحاصرتين فيه اختصار وتصرف غير مخل بالمعنى.إن شاء الله.

(٤) **ذيل طبقات الحنابلة**، مرجع سابق، ج٢ ، ص ٢٩٦ وما بعدها .

(٥) **شفاء العليل**، ص ٣٠.

وقد أشار ابن رجب في ترجمته للواسطي إلى هذا الشرح حيث قال: "ومن تصانيفه (شرح منازل السائرين) ولم يتمه"[١].

وبمعرفتنا لهذا الشيخ وتوثيق مشيخته لابن القيم، يظهر لنا مصدر كبير من مصادر علم ابن القيم في التصوف ومعرفته فيه. وبالمقارنة بين ما نقله عنه في (شفاء العليل) وبين شرح ابن القيم نفسه لكلام الهروي- يظهر لنا بوضوح أثر هذا الشيخ في موقف ابن القيم من الصوفية والتصوف، ومن الشيخ الهروي وكلامه في التصوف على الأخص[٢] .

٤ . فاطمة بنت جوهر، أم محمد ، بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي، البعلي، المسندة المحدّثة . توفيت سنة ٧١١هـ[٣].

ذكر سماعه منها : الذهبي[٤]، ذكرها باسم (بنت البطائحي) وابن رجب[٥]، وابن مفلح[٦]، والنعيمي[٧]، والداوودي[٨] جميعهم باسم فاطمة بنت جوهر .

٥ . الحاكم سليمان تقي الدين أبو الفضل بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، مسند الشام، وكبير قضاتها . توفي سنة ٧١٥هـ .

سمع من نحو مائة شيخ ، سمع الحديث الكثير وتفقه وبرع ، وولي الحكم وحدث وكان من خيار الناس وأحسنهم خلقاً ، وأكثرهم مروءة[٩] .

ذكره في شيوخ ابن القيم : الصفدي[١٠] باسم: (سليمان بن حمزة

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة، مصدر سابق، ج٢ص ٢٩٧.

(٢) سيأتي تفصيل لهذا الموقف في الباب الثاني -بفصليه- من هذه الرسالة إن شاء الله.

(٣) أنظر: ترجمتها في : ابن العماد، الشذرات، مصدر سابق، ج٨ ، ص٥٢.

(٤) معجم محدثي الذهبي، مصدر سابق، ص١٨٠.

(٥) ذيل طبقات الحنابلة،مصدر سابق،ج٢، ص٣٦٨.

(٦) المقصد الأرشد ، مصدر سابق،ج٢ ، ص٣٨٤.

(٧) الدارس في تاريخ المدارس، مصدر سابق، ج٢، ص٩٠.

(٨) طبقات المفسرين، مصدر سابق، ص٩٤ .

(٩) انظر ترجمته في : ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج١٤ ، ص ٧٥.

(١٠) الوافي بالوفيات ، مصدر سابق، ج٢ ، ص٢٧١.

الحاكم)، وابن رجب[١]، وابن حجر[٢]، والسيوطي[٣]، والداوودي[٤] جميعهم باسم (القاضي تقي الدين سليمان)، وابن ناصر[٥]، باسم:(القاضي سليمان بن حمزة).وذكر السيوطي أن ابن القيم أخذ عنه الحديث[٦].

٦. الصفيّ الهنديّ . وقد سبقت ترجمته.

ذكره في شيوخ ابن القيم : الصفدي ، حيث قال (وقرأ في أصول الدين على الشيخ صفي الدين الهندي ...)[٧]. وذكره ابن حجر ،حيث ذكر أن ابن القيم قرأ عليه الأصول[٨]. وذكره أيضا : السيوطي[٩] ، والداوودي[١٠]، وذكرا أن ابن القيم أخذ عنه الأصليين.

٧. علاء الدين الكندي ، علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد بن هبة الله الكندي . الشيخ الإمام المقرئ المحدّث النحوي الأديب . المتوفى سنة ٧١٦هـ . سمع الحديث على أزيد من مائتي شيخ، وقرأ القراءات السبع، وحصّل علوما جيدة ، وألف ، وأسمع الحديث ، وكان يلوذ بشيخ الإسلام ابن تيمية[١١] ، ذكره في شيوخ ابن القيم : الصفدي[١٢] .

٨. ابن مكتوم، صدر الدين، إسماعيل، أبو الفداء، ابن يوسف بن مكتوم، القيسي، الدمشقي، الشافعي، المتوفى سنة ٧١٦هـ. ذكره في شيوخ ابن القيم: الصفدي[١٣]، وابن حجر[١٤].

---

(١) **ذيل طبقات الحنابلة**، مصدر سابق، ج٢، ص٣٦٨.

(٢)،(٨) **الدرر الكامنة**، مصدر سابق، ج٤ ، ص ٢١ .

(٣) **بغية الوعاة**، مصدر سابق، ج١ ، ص ٦٢.

(٤) **طبقات المفسرين**، مصدر سابق، ص٩٤.

(٥) **الرد الوافر** ، مصدر سابق، ص١٢٤.

(٦) **بغية الوعاة**، مصدر سابق، ج١ ، ص ٦٢.

(٧) **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق،ج٢، ص ٢٧١.

(٩) **بغية الوعاة**، مصدر سابق، ج٤، ص ٦٢.

(١٠) **طبقات المفسرين** ، مصدر سابق، ص٩٤.

(١١) انظر: ترجمته في : ابن كثير،**البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج١٤ ، ص ٧٤.

(١٢) **الوافي بالوفيات** ، مصدر سابق، ج٢ ، ص ٢٧١.

(١٣) انظر: ترجمته في : الذهبي، **العبر**،ج٤ ،ص٤٤. و ابن العماد، **الشذرات** ، ج٨، ص٧٠. و **الوافي بالوفيات**، ج٢، ص ٢٧١.

(١٤) **الدرر الكامنة**، ج٤، ص٢١.

٩. ابن عبد الدائم ، أبو بكر بن المسنِد زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي، مُسْنِدُ الوقت المعمّر، توفي سنة ٧١٨ هـ [١]، ذكره في شيوخ ابن القيم : الصفدي[٢]، وابن رجب[٣]، وابن حجر[٤]، والسيوطي[٥]، وغيرهم. وذكر السيوطي أن ابن القيم أخذ عنه الحديث[٦].

١٠. مجد الدين التونسي، اللغوي الشافعي[٧]. توفي سنة ٧١٨ هـ، ذكره في شيوخ ابن القيم : ابن حجر[٩] ، والصفدي[١٠]، والسيوطي[١١]، والداوودي[١٢]، وقد ذكروا جميعا أن ابن القيم قد أخذ عنه العربية، وذكر الصفدي[١٣] بعض ما قرأ عليه من الكتب .

١١. المطعّم، عيسى، شرف الدين بن عبد الرحمن، المطعّم في الأشجار ثم السمسار في العقار، مسند الوقت، توفي سنة ٧١٩هـ [١٤]، ذكره في شيوخ ابن القيم : الصفدي[١٥]، وابن رجب[١٦]، وابن حجر[١٧]، وغيرهم.

---

(١) انظر ترجمته في : الذهبي، العبر، ج٤ ، ص٥٠ . وابن العماد، شذرات الذهب، ج٨، ص٨٧،٨٨.

(٢) الوافي بالوفيات ، ج٢ ، ص٢٧١ .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٣٦٢ .

(٤) الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص٢١ .

(٥) بغية الوعاة ، ج١ ، ص٦٢ .

(٦) المرجع ذاته، بنفس الجزء والصفحة .

(٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤،ص٣٤ . وله أخبار في ص٥٣ ، و ص٦٢ من نفس الجزء.

(٨) المرجع السابق ، ج١٤ ، ص٨٨ ، ولم يذكر عنه غير ذلك .

(٩) الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص٢١ .

(١٠) الوافي بالوفيات ، ج٢ ، ص٢٧١ .

(١١) بغية الوعاة ، ج١ ، ص٦٢ .

(١٢) طبقات المفسرين ، ص٩٤ .

(١٣) الوافي بالوفيات ،ج٢ ، ص٢٧١ .

(١٤) انظر ترجمته في : ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤ ، ص٩٥ ، والذهبي، العبر، ج٤ ، ص٥٥ وابن العماد، شذرات الذهب، ج٨ ، ص٩٤ .

(١٥) الوافي بالوفيات ، ج٢ ، ص٢٧١ .

(١٦) ذيل طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٢٧١ .

(١٧) الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص٢١ .

١٢. البهاء بن عساكر، بهاء الدين أبو القاسم بن الشيخ بدر الدين أبي غالب المظفر، ابن نجم الدين بن عساكر، المتوفى سنة ٧٢٣هـ.

سمع حضورا وسماعا على الكثير من المشايخ. وكان قد اشتغل بالطب، وكان يعالج الناس بغير أجرة، وكان يحفظ كثيرا من الأحاديث والحكايات والأشعار، وخدم الكتابة من عدة جهات، ثم ترك ذلك ولزم بيته وإسماع الحديث[١]. ذكره في شيوخ ابن القيم : الصفدي[٢].

١٣. ابن الشيرازي، شمس الدين أبو نصر، محمد بن عماد الدين أبي الفضل محمد بن شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيي بن بندار بن مميل الشيرازي، المتوفى سنة ٧٢٣ هـ .

سمع الكثير وأسمع وأفاد. وقرأ على المزي عدة أجزاء. وكان شيخا حسنا خيرا مباركا متواضعا، ولم يتدنس بشيء من الولايات إلى أن توفي في يوم عرفة، رحمه الله[٣].

ذكره في شيوخ ابن القيم : الصفدي باسم(أبي نصر محمد ابن عماد الدين الشيرازي)[٤]، وابن حجر باسم (ابن الشيرازي)[٥]، والسيوطي[٦]، والداوودي[٧] كلاهما باسم (أبي نصر ابن الشيرازي) .

١٤. قيم الجوزية ، والده، أبو بكر بن أيوب. وقد سبقت الإشارة إلى علمه وفضله في مطلب :(نشأة ابن القيم) وأن ابن القيم أخذ عنه الفرائض. توفي سنة ٧٢٣هـ[٨].

---

(١) انظر :ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤ ، ص١٠٨ .

(٢) الوافي بالوفيات ، ج٢ ، ص ٢٧١ .

(٣) انظر : ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص ١٠٩،١١٠ .

(٤) الوافي بالوفيات ، ج٢ ، ص ٢٧١ .

(٥) الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ٢١ .

(٦) بغية الوعاة ، ج١ ، ص ٦٢ .

(٧) طبقات المفسرين ، ص ٩٤ .

(٨) انظر ترجمته في:ابن كثير،البداية والنهاية ، ج١٤، ص١١٠. وابن حجر، الدرر الكامنة، ج١،ص٤٧٢.

ذكره شيخا لولده ابن القيم : الصفدي[١]، حيث قال : (أخذ الفرائض أولا عن والده ، وكان له فيها يد). وابن حجر بعبارة قريبة من عبارة الصفدي[٢].

١٥. شرف الدين بن تيمية ، عبد الله ، أبو محمد ، بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية النميري ، أخو شيخ الإسلام بن تيمية ، رحمهما الله . كان بارعا في فنون عديدة ، وكان أخوه شيخ الإسلام يكرمه ويعظمه ، توفي سنة ٧٢٧هـ[٣] .

ذكره في شيوخ ابن القيم : الصفدي[٤] ، وذكر أن ابن القيم أخذ عنه الفقه[٥] .

١٦. شيخ الإسلام بن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية النميري ، المتوفى سنة ٧٢٨هـ[٦] . رحمه الله . أخذ عنه ابن القيم الفقه والفرائض والأصول[٧] ، وقد ذكر الصفدي مجموعة من الكتب التي قرأها عليه[٨] . ومن المعروف أن ابن القيم قد أطال ملازمة شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية[٩] ، وتأثر به[١٠] ، ولذلك فإنني سأفرد بعد هذا المطلب مطلبا خاصا بهذه الملازمة وهذا التأثر ، إذ لا مفر من ذلك . والله أعلم .

---

(١) الوافي بالوفيات ، ج٢ ، ص٢٧١ .

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص٢١.

(٣) انظر ترجمته في: الذهبي، العبر، ج٤ ، ص٨١، و ابن العماد، الشذرات، ج٨ ، ص١٣٦ ، ١٣٧ .

(٤)، (٥) الوافي بالوفيات ، ج٢ ، ص٢٧١ .

(٦) سبقت ترجمته .

(٧)الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٢ ، ص٢٧١ . وابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص٢١. و السيوطي، بغية الوعاة ، ج١ ، ص٦٢ والداوودي ، طبقات المفسرين ، ص٩٤ .

(٨) انظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٢ ، ص٢٧١ .

(٩) انظر : البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٢٣٤ . وابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص٢١.

(١٠) انظر : ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص٢١ ، والشوكاني ، البدر الطالع ، ج٢، ص١٤٣.

١٧. المجد الحراني. وقد سبقت ترجمته. ذكره في شيوخ ابن القيم : الصفدي[١]، وذكر أن ابن القيم أخذ عنه الفقه والأصول . وذكر بعض الكتب التي قرأها عليه في ذلك[٢]، وابن حجر[٣]، وذكر أن ابن القيم أخذ عنه الفقه[٤].

١٨. الكحال، أيوب، زين الدين بن نعمة النابلسي ثم الدمشقي، المتوفى سنة ٧٣٠هـ[٥] . ذكره في شيوخ ابن القيم : الصفدي[٦] .

١٩. البدر بن جماعة، محمد، القاضي بدر الدين ابن إبراهيم ابن جماعة، الكناني، الحموي، الشافعي، الإمام المشهور، جمع مع العلم الصيانة والديانة والورع وكف الأذى[٧] . تولى مشيخة الشيوخ[٨] بطلب الصوفية له بذلك ورغبتهم فيه سنة ٧٠١هـ[٩] ثم سنة ٧٠٩هـ[١٠] . ذكره في شيوخ ابن القيم: الصفدي[١١] .

---

(١)،(٢) **الوافي بالوفيات**،ج٢،ص٢٧١.

(٣،٤) **الدرر الكامنة**، ج٤، ص٢١ .

(٥) انظر ترجمته في :الذهبي، **العبر**، ج٤، ص٨٩، وابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨،ص١٦٢.

(٦) **الوافي بالوفيات**، ج٢، ص٢٧١.

(٧) انظر ترجمته الحافلة في :ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٤، ص١٦٣ .

(٨) (مشيخة الشيوخ) من المناصب الرسمية للصوفية في عصر المماليك، ويقصد بشيخ الشيوخ رئيس الشيوخ وكبيرهم، والمقصود بذلك شيوخ الخوانق (جمع خانقاه وهي من مباني الوقف المخصصة للصوفية). وقد كان شيخ الشيوخ في مصر في عصر المماليك (عصر ابن القيم) مقدما على جميع شيوخ الخوانق بما في ذلك بلاد الشام . وكان من حقوقه أن يحصل على نصيب بيت المال من مواريث الصوفية . كما كان لا ينتسب أحد إلى الصوفية إلا بإذنه . انظر: أحمد عطية الله، **القاموس الإسلامي**، ج٤، ص٢٠١.

(٩)المرجع ذاته ج١٤، ص١٧.

(١٠) المرجع ذاته ج١٤،ص٥٠ وما بعدها .

(١١) **الوافي بالوفيات**، ج٢، ص٢٧١ .

٢٠. الحافظ المزي، أبو الحجاج، يوسف، جمال الدين بن زكي الدين عبد الرحمن، القضاعي، ثم الكلبي، الدمشقي، الشافعي، إمام المحدثين وخاتمة الحفاظ. توفي سنة ٧٤٢هـ[١] . لم يذكره في شيوخ ابن القيم أي من المترجمين الذين نقلت عنهم، وقد نبه لمشيخته الشيخ بكر أبو زيد في كتابه : ابن القيم الجوزية حياته وآثاره[٢] وقد رأيت ابن القيم رحمه الله ينقل أقواله له وإجاباته على بعض أسئلته في مواضع منها : في كتابه (حادي الأرواح)[٣]، ص٢١٠ حيث قال : "وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ .." وفي ص٢٢٤ منه قال :" وسألت شيخنا أبا الحجاج المزي... " وفي كتابه (تحفة المودود) حيث قال:" وسمعت شيخنا أبا الحجاج الحافظ المزي يقول ..."[٤].

هؤلاء بعض شيوخ ابن القيم رحمه الله . ليس فيهم صاحب بدعة ولا متبع هوى ولا فيهم مطعون فيه أو مقدوح في علمه أو عدالته .

وقد حاولت – كما تلاحظ – أن أذكر طرفا عن فضل كل منهم في جانبين هما أبرز جوانب شخصية العالم الحق : العلم النافع والعمل الصالح. وهما الجانبان المؤثران في بناء شخصية ابن القيم رحمه الله وفي تكوين موقفه من التصوف و الصوفية.والله أعلم.

ويبدو لنا أن ابن القيم كان في اختياره لشيوخه موفقا حريصا على الاتصال بالثقات دون غيرهم والله أعلم، كما يبدو لنا أنه كان حريصا كل الحرص على الأخذ عنهم والإفادة منهم ما استطاع، رحمه الله .

وقد ذكرت أنه أطال ملازمة شيخ الإسلام ابن تيمية وأخذ عنه الكثير وتأثر به علما وحالا . ولا بد من إلقاء الضوء على هذه الملازمة وهذا التأثر في المطلب التالي .

---

(١) انظر :البداية والنهاية، ج١٤، ص١٩١، وانظر ترجمته أيضا في: ابن عماد،شذرات الذهب، ج٨، ص ص٢٣٦-٢٣٨.

(٢) ص ١٠٧ .

(٣) طبعة دار إحياء الكتب العربية ط، وسنة بدون تحقيق طه عبد الرؤوف سعد .

(٤) ص ١٣٠ .

المطلب الثـــاني

ملازمته لشيخ الإسلام ابن تيمية وتأثره به

ابن تيميـــة وابـــن القيـــم علمـــان متلازمـــان، فـــلا يكـــاد يذكـــر أحدهمـــا إلا ويذكـــر الآخر معه. ويمكننا الحكـــم مـــن خـــلال النظـــر فـــي كتـــب ابـــن القيـــم وتراجمـــه بـــأن شيخ الإسلام ابن تيميـــة كـــان أكـــثر شـــيوخه تـــأثيرا فيـــه . وهـــذا – فيمـــا أرى –عـــائد لأمريـــن :

الأول : ســـعة علـــم ابـــن تيميـــة رحمـــه الله، وجلالـــة قـــدره، فـــهو (الإمـــام العـــالم، العلـــم العلامـــة، الفقيـــه الحـــافظ، الزاهـــد العـــابد، المجـــاهد القـــدوة)[١] ، (وقـــد كان إماما في التفسير ومـــا يتعلـــق بـــه عارفـــا بالفقـــه، فيقـــال إنـــه كـــان أعـــرف بفقـــه المذاهـــب مـــن أهلـــها الذيـــن كـــانوا فـــي زمانـــه وغـــيره، وكـــان عالمـــا بـــاختلاف العلمـــاء، عالمـــا فـــي الأصـــول والفـــروع والنحـــو واللغـــة، وغـــير ذلـــك مـــن العلـــوم النقلية والعقلية، وما قطـــع فـــي مجلـــس ولا تكلـــم معـــه فـــاضل فـــي فـــن مـــن الفنـــون إلا ظن أن ذلك الفـــن فنـــه، ورآه عارفـــا بـــه متقنـــا لـــه، وأمـــا الحديـــث فكـــان حـــامل رايته . حافظا له مميزا صحيحـــه وســـقيمه، عارفـــا برجالـــه متضلعـــا مـــن ذلـــك،

[وقيل]: اجتمعـــت فيـــه شـــروط الاجتـــهاد علـــى وجهـــها ...)[٢] .

و(كان عالمـــا متفننـــا متقلـــلا مـــن الدنيـــا معرضـــا عنـــها، متمكنـــا مـــن إقامـــة الأدلـــة علـــى الخصـــوم، حافظـــا للســـنة عارفـــا بطرقـــها، عالمـــا بـــالأصلين : أصـــول الديـــن، وأصول الفقه، ...، لا تـــأخذه فـــي الحـــق لومـــة لائـــم، قائمـــا علـــى أهـــل البـــدع)[٣]، ولهذا كله فقد أعجب به ابـــن القيـــم، وأخـــذ عنـــه علومـــا شـــتى[٤] .

الثاني : طـــول ملازمـــة ابـــن القيـــم لشـــيخ الإســـلام، ابـــن تيميـــة، (فقـــد لازمـــه منـــذ أن عـــاد مـــن مصـــر ســـنة ٧١٢هـــ، إلـــى أن توفـــي شـــيخ الإســـلام رحمـــه الله سنة ٧٢٨هـ)[٥] أي حوالي ســـت عشـــرة ســـنة، وهـــي مـــدة طويلـــة، وفرصـــة

(١) ابـن كثـير : البدايـة والنهايـــة، ج١٤، ص ١٣٥ .

(٢) ابـن كثـير : البدايـة والنهايـة، ج١٤، ص١٣٧ . ومـا بيـــن الحـــاصرتين فيـــه تصـــرف يسـير.

(٣) ابـن نـاصر : الـرد الوافـر، ص٢٥٤ .

(٤) انظـر : النعيمـي : الـدارس فـي تـاريخ المـــدارس، ج٢، ص٩٠ .

(٥) ابـن كثـير : البدايـــة والنهايـــة، ج١٤، ص٢٣٤. وابـــن حجـــر : الـــدرر الكامنـــة، ج٤، ص٢١.

كبيرة، أتاحت لابن القيم أن يأخذ فيها عن شيخه، شيخ الإسلام، علما جما[١].
وقد غلب على ابن القيم حب شيخه ابن تيمية[٢] ، وأدام ملازمته طوال تلك المدة. وكل ظني أنه ما برح في ذلك ينافس أقرانه من طلاب ابن تيمية في ملازمته والأخذ عنه، حتى برز فيمن برز منهم، ولذلك ذكر الحسيني : أنه " تفقه بشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وكان من عيون أصحابه ..."[٣].

ثم إنه فاق جميع هؤلاء الأصحاب حتى وصف بأنه : (رئيس أصحاب ابن تيمية)[٤].

وقد تابع ابن القيم شيخه ابن تيمية في (دعوته إلى الأخذ بكتاب الله تعالى الكريم، وسنة رسوله الصحيحة، والاعتصام بهما،وفهمهما على النحو الذي فهمه السلف الصالح)[٥] .

وقد كان يتابع شيخه في غالب آرائه وفتاواه واجتهاداته، حتى قيل : إنه (كان لا يخرج عن شيء من أقوال شيخه)[٦] .

والحقيقة التي يراها المنصف أنه إنما تابعه فيما رآه صوابا راجحا، ولذلك نجده قد خرج عن رأي شيخه في مجموعة من المسائل[٧]، فإنه كان كما قال الشوكاني:" ليس له على غير الدليل معول في الغالب ... وغالب أبحاثه الإنصاف والميل مع الدليل حيث مال"[٨] .

---

(١) انظر: ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج١٤، ص٢٣٤ . وابن ناصر: **الرد الوافر**، ص١٢٤.

(٢) ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج٤، ص٢١ .

(٣) **ذيول العبر**، ج٤، ص١٥٥ .

(٤) السخاوي : **الذيل على دول الإسلام**، ج١، ص٥٣ .

(٥) شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، : **مقدمة تحقيق : زاد المعاد**، ج١، ص١٦ .

(٦) ابن حجر : **الدرر الكامنة**، ج٤، ص ٢١ .

(٧) انظر بعض تلك المسائل في كتاب بكر أبو زيد : **ابن القيم حياته وآثاره** ، ص٩١-٩٦ .

(٨) **البدر الطالع** ، ج٢ ، ص١٤٥ .

وقد استفاد ابن القيم من آراء شيخه ابن تيمية في التصوف، وأعجب به، واستشهد بها في مواضع من كتبه، مثل قوله في (مدارج السالكين) في منزلة الزهد وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول : "الزهد ترك مالا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة. وهذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد والورع وأجمعها "[1] .

وقال في موضع آخر في معرض كلامه عن الورع : " وقال لي يوما شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – في شيء من المباح:هذا ينافي المراتب العالية،وإن لم يكن تركه شرطا في النجاة أو نحو هذا من الكلام"[2]. بل انه ذكر بعض أحوال شيخ الإسلام كشواهد لبعض المنازل ، كما في منزلة (القلق) ، حيث ذكر تعريف (الهروي) للدرجة الأولى من درجاته بأنه : (قلق يضيق الخلق ، ويبغض الخلق ، ويلذذ الموت)[3] قال ابن القيم:" يعني يضيق خلق صاحبه عن احتمال الأغيار ، فلا يبقى فيه اتساع لحملهم، فضلا على تقييدهم له وتعوقه بأنفاسهم، و" يبغض الخلق " يعني : لا شيء أبغض إلى صاحبه من اجتماعه بالخلق . لما في ذلك من التنافر بين حاله وبين خلطتهم .

وحدثني بعض أقارب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – قال : كان في بداية أمره يخرج أحيانا إلى الصحراء يخلو عن الناس ، لقوة ما يرد عليه ، فتبعته يوما ، فلما أصحر تنفس الصعداء ، ثم جعل يتمثل بقول الشاعر – وهو لمجنون ليلى من قصيدته الطويلة – :

وأخرج من بين البيوت لعلني   أحدث عنك النفس بالسر خاليا

وصاحب هذه الحال : إن لم يرده الله سبحانه إلى الخلق بتثبيت وقوة ، وإلا فإنه لا صبر له على مخالطتهم)[4] .

---

(١) مدارج السالكين، ج٢ ، ص ١٠ .

(٢) مدارج السالكين، ج٢ ، ص ٢٦ .

(٣) مدارج السالكين، ج٣ ، ص٥٩- ٦٠ .

(٤) مدارج السالكين، ج٣ ، ص٥٩- ٦٠ .

وعلى العموم فقد كان فضل (ابن تيمية) على تلميذه (ابن القيم) كبيرا ، حتى اعتبر (حسنة من حسناته)[١] .

وقريب من هذا ما قاله الشوكاني بعد ثنائه على أسلوب (ابن القيم) وإنصافه واتباعه للدليل : قال[٢] : " وأظنها سرت إليه بركة ملازمته لشيخه ابن تيمية في السراء والضراء والقيام معه في محنه ، ومؤاساته بنفسه " .

وقد شكر ابن القيم لشيخه ذلك الفضل بعظيم المحبة[٣] ، وصدق الإنتماء ، فكان ممن صدق فيهم القول المنسوب للشافعي رحمه الله : "الحر من راعى وداد لحظة ، أو انتمى لمن أفاده لفظة "[٤] . فكيف وقد أفاده علما جما كما ذكرنا ؟

فمن ذلك أنه (نصر مذهب شيخه ، وأوذي وامتحن لتصديه للإفتاء ببعض آرائه وفتاويه)[٥] ، ثم إنه (هذب كتبه ونشر علمه)[٦] وألف رسالة في ذكر مؤلفات ابن تيمية[٧] .

---

(٢) السخاوي : وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام ، ج١ ، ص٥٣ .

(٣) في كتابه : البدر الطالع ، ج٢ ، ص١٤٥.

(٤) سبق قول ابن حجر في هذا: " غلب عليه حب شيخه ابن تيمية " ، الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص٢١.

(٥) نسب هذا القول للشافعي : محمد أحمد الراشد ، في كتابه : العوائق، ط ١٢ص١١.

(٦) انظر : ابن كثير :البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٢٣٥ . وابن حجر : الدرر الكامنة، ج٤ ، ص٢١ .

(٧) ابن حجر : الدرر الكامنة، ج٤ ، ص٢١ .

(٨) وهي رسالة مطبوعة بعنوان (أسماء مؤلفات ابن تيمية) بتحقيق صلاح الدين المنجد ، طبع بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٧٦م . (ثلاثون صفحة) وقد ذكرها في مؤلفات ابن القيم كل من : بكر أبو زيد في كتابه (ابن قيم الجوزية : حياته وآثاره) ص١٢٦ وتوفيق شاهين في بحثه (ابن القيم حياته وآثاره) بمجلة (هدي الإسلام) ، المجلد ٣٣ ، العددان الخامس والسادس (بغلاف واحد) لسنة ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، ص٣٤ – ٣٨ .

المطلب الثالث

تلاميذه

تلاميذ ابن القيم – فيما يبدو من كلام مترجميه- كثيرون، وهذا واضح ومنطقي نظرا لاشتغاله بالتدريس والإفتاء[1]. وقد عبر مترجموه عن ذلك بعبارات متقاربة، تدل على مدى انتفاع الناس به ، وكثرة الذين أخذوا عنه. فمن ذلك : قول تلميذه ابن رجب[2]: (وأخذ عنه العلم خلق كثير، من حياة شيخه والى أن مات، وانتفعوا به، وكان الفضلاء يعظمونه، ويتتلمذون له...). وقول ابن تغري بردي[3]: (وانتفع به الناس قاطبة). وأكثر ما يكون به الانتفاع في زمانهم التلمذة والسماع .وقول السخاوي[4]:(انتفع به الأئمة). وما أروعها من شهادة. فتلامذة ابن القيم -كما يصفهم السخاوي- كانوا أئمة، وكانوا أيضا - كما وصفهم ابن رجب آنفا – فضلاء . أقول : فإذا كان التلاميذ أئمة فضلاء فما بالك بالاستاذ؟!.

أما معرفة مشاهير تلاميذ ابن القيم بأسمائهم فليس أمرا سهلا ميسورا، فان مترجميه لا يكادون يذكرون أيا منهم، وإنما اكتفوا بالإشارة المجملة كما هو واضح في عباراتهم المثبتة أعلاه.

وقد بذل الشيخ بكر أبو زيد جهدا طيبا مشكورا في استقصاء تلاميذ ابن القيم (بواسطة تتبع تراجم معاصريه)[5] . وقد بذلت جهدي في تتبع تراجم أولئك التلاميذ الذين ذكرهم[6] ، واستدركت عليه شيئا يسيرا : حيث أنني

---

(١) انظر مثلا : الحسيني : **ذيول العبر** ، ج٤، ص١٥٥، حيث قال : (وأفتى ودرس). وابن رجب ، **ذيل طبقات الحنابلة** ، ج٢ ، ص٣٦٩ حيث قال : (وتصدى للاشتغال ، وإقراء العلم ونشره ... ودرس بالصدرية) . وابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** ، ج١٠، ص١٩٥ حيث قال : (وتصدى للإقراء والإفتاء سنين) ، والسخاوي : **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام** ،ج١، ص٥٣ حيث قال : (ودرس بأماكن).

(٢) **ذيل طبقات الحنابلة** ، ج٢، ص٣٦٩ .

(٣) **النجوم الزاهرة** ، ج١٠، ص١٩٥ .

(٤) **الذيل على دول الإسلام** ، ج١، ص٥٣.

(٥) انظر كتابه : **ابن القيم حياته وآثاره**، ص٩٩.

(٦) انظر قائمة (ثبت) مشاهير تلاميذ ابن القيم في كتابه السابق الذكر ص١٠٧-١١١.

قال ابن رجب[١] في ترجمته لابن القيم : (كان الفضلاء يعظمونه ويتتلمذون له ، كابن عبد الهدي وغيره) .

٢. الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ، شمس الدين أبو عبد الله ، الشيخ الحافظ الكبير ، مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين ... وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه ، رحمه الله توفي سنة ٧٤٨هـ [٢] . ترجم لابن القيم في كتابه (المعجم المختص)[٣] بمحدثيه ، قال في مقدمته : (... وبعد فهذا " معجم مختص " بذكر من جالسته من المحدثين أو أجاز لي مروياته من طلبة الحديث ...) ومن هنا استفدنا أن ابن القيم من شيوخه أو محدثيه .

وللذهبي موقف منصف من أئمة الصوفية المتقدمين يشبه موقف ابن القيم الذي سيظهر لنا في الفصل الثالث من هذه الرسالة ، ومن أمثلة ذلك موقفه من الإمام الجنيد حيث أثنى عليه علما وحالا[٤] وهو قريب جدا من موقف ابن القيم منه (أعني الجنيد) حيث أثنى عليه في مواضع كثيرة في المدارج[٥] .

٣.السبكي ، علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام . تقي الدين أبو الحسن ، قاضي القضاة المصري الشافعي ، ت سنة ٧٥٦هـ [٦] .

---

(١) **ذيل طبقات الحنابلة** ، ج٢، ص٣٦٩ .

(٢) انظر ترجمته في :ابن كثير،**البداية والنهاية**،ج١٤ ، ص٢٢٥ .

(٣) ذكر الشيخ أبو زيد هذا الكتاب باسم : **المعجم المختص** لشيوخه ، وذكر أنه مخطوط ، كتاب أبو زيد : **ابن القيم حياته وآثاره** ص١٠٩ وذكرته بعض المراجع باسم : **المختصر** للذهبي وهو تصحيف واضح أو خطأ طباعي رأيته في : ابن رجب، **ذيل طبقات الحنابلة**،ج٢، ص٣٦٩. والشوكاني، **البدر الطالع**، ج٢ ، ص١٤٣ وقد وجدته باسم : **معجم محدثي الذهبي** بتحقيق د . روحية عبد الرحمن السويفي بيروت – دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

(٤) انظر : **سير أعلام النبلاء**، ج ١٤ ، ص٧٠ . مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٣هـ .

(٥) انظر مثلا : ج١ ، ص٢٤٩ ، وج٣ ، ص١٦ .

(٦) انظر ترجمته في : ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٤ ، ص٢٥٢ ، و :ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج٣ ، ص١٣٤ – ١٤٢ .

قال ابن كثير: (سمع الحديث ... وكتب وخرج ، وله تصانيف كثيرة الفائدة ، ... ، وكان كثير التلاوة ... رحمه الله)[١] ، وذكر ابن حجر في (الدرر الكامنة)[٢] أن السبكي رحل لطلب الحديث إلى الشام وأخذ فيها عن جماعة منهم ابن القيم ، ومع ذلك فقد كان بينه وبين ابن القيم خلافات لعل أشهرها خلافه معه في مسألة (الطلاق التي اختارها ابن تيمية)[٣] وهي مسألة الطلاق بالثلاث بلفظ واحد . قال ابن كثير : (وجرت [لابن القيم] بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره)[٤].

٤. جمال الدين ابن قيم الجوزية ، عبد الله بن محمد بن أبي بكر ، الحنبلي ، ابنه الأكبر . ت٧٥٦ هـ [٥] .

قال ابن كثير[٦] في وصفه : (الشيخ الشاب الفاضل المحصل ...) كانت لديه علوم جيدة ، وذهنه حاضر خارق ، أفتى ودرس وأعاد وناظر ، وحج مرات عديدة . رحمه الله ... (وكانت جنازته حافلة) . وقال ابن حجر[٧] : (اشتغل على أبيه وغيره) .

٥. المقري ، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي المقري التلمساني. ت سنة ٧٥٩هـ [٨] ، ذكره حفيده في (نفح الطيب)[٩] في مسرد شيوخ جده من ترجمته قوله : (ثم أخذت على الشام فلقيت بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب الفقيه ابن تيمية) .

٦. الصفدي ، صلاح الدين ، خليل بن إيبك . ت سنة ٧٦٤هـ [١٠] .

---

(١) البداية والنهاية، ج١٤ ، ص٢٥٢ .

(٢) ج٣ ، ص١٣٤ .

(٣،٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٢٣٥ .

(٥) انظر ترجمته في : ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤ ، ص٢٥٣ . وفي :ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢ ، ص٣٩٦ .

(٦) البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٢٥٣ .

(٧) الدرر الكامنة، ج٢ ، ص٣٩٦ .

(٨) بكر أبو زيد ، ابن القيم حياته وآثاره ، ص١١٠ حيث قال : انظر نفح الطيب ٥/٢٥٤ وما بعدها ، طبع دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ تحقيق إحسان عبد القدوس .

(٩) المصدر السابق نقلا عن نفح الطيب ٥/٢٥٤ .

(١٠) انظر ترجمته في :ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤ ، ص٣٠٣ . وابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢ ، ص١٧٦، ١٧٧ وابن العماد، شذرات الذهب، ج٨ ، ص٣٤٣ .

قال ابن كثير[١] : (وقد كتب الكثير من التاريخ واللغة والأدب ، وله الأشعار الفائقة ، والفنون المتنوعة ، ... ، وكتب ما يقارب مائتين من المجلدات) .

قال في آخر ترجمته لابن القيم في كتابه : (الوافي بالوفيات)[٢] :
(انشدني [أي ابن القيم] من لفظه لنفسه :

بني أبي بكر كثير ذنوبه فليس على من نال من عرضه إثم)

واورد عشرة أبيات أخرى من هذه القصيدة .

٧. برهان الدين ، إبراهيم ، بن شمس الدين بن قيم الجوزية . ابنه . ت سنة ٧٦٧هـ [٣] قال ابن كثير : (كان بارعا فاضلا في النحو والفقه وفنون أخر على طريقة والده رحمهما الله ...)[٤] .

٨. ابن كثير ، إسماعيل ، عماد الدين ، أبو الفداء بن عمر بن كثير القرشي الشافعي الإمام الحافظ المشهور . توفي سنة ٧٧٤هـ [٥] . قال الشيخ بكر أبو زيد[٦] : تتلمذ على ابن تيمية وابن القيم وأبي الحجاج المزي .

وقد ترجم لابن القيم ترجمة حافلة[٧] ، قال فيها : (وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه) . وهذا ليس صريحا في التلمذة ولكنه يشعر بها ، حيث أن الصاحب يستفيد من صاحبه الصالح ، ويسمع منه ، ويأخذ عنه . والله أعلم .

٩. ابن رجب ، عبد الرحمن ، زين الدين ، أبو الفرج بن أحمد بن عبد الرحمن ، الملقب برجب ، الحنبلي ، توفي سنة ٧٩٥هـ [٨] وهو صاحب

---

(١) البداية والنهاية، ج١٤ ، ص٣٠٣ .

(٢) البداية والنهاية، ج٢ ، ص٢٧٢ .

(٣) انظر ترجمته في :ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤ ، ص٣١٤ . ابن عماد، وشذرات الذهب ج٨ ، ص٣٥٧ . وابن حجر، الدرر الكامنة، ج١ ، ص٦٠ .

(٤) البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٣١٤ .

(٥) انظر ترجمته في الدرر، ج١ ، ص٣٩٩،٤٠٠ وابن عماد، شذرات الذهب، ج٨ ، ص٣٩٧-٣٩٩، والزركلي، الأعلام، ج١ ، ص٣٢٠ .

(٦) في كتابه ابن قيم الجوزية حياته وآثاره . ص١٠٨.

(٧) في البداية والنهاية، ج١٤ ، ص٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٨) انظر ترجمته في : ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٢٨ .

المؤلفات النافعة ، ومنها كتابه الهام : (ذيل طبقات الحنابلة) . وفيه ترجم لشيخه ابن القيم ترجمة حافلة ، وصفه في أولها[1] بأنه : (الفقيه الأصولي المفسر النحوي العارف ، شمس الدين ، أبو عبد الله بن قيم الجوزية ، شيخنا) .

ثم قال[2] : (ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة ، وسمعت عليه قصيدته (النونية) الطويلة في السنة ، وأشياء من تصانيفه ، وغيرها) .

ثم قال في ختام ترجمته[3] : (وقرئ على شيخنا الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب – وأنا أسمع – هذه القصيدة من نظمه في أول كتابه صفة الجنة[4] :

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها سوى كفؤها والرب بالخلق أعلم)

وأورد سبعة وثلاثين بيتا من هذه القصيدة .

١٠. النابلسي ، محمد ، شمس الدين ، أبو عبد الله ، بن عبد القادر بن محي الدين عثمان النابلسي الحنبلي . توفي سنة ٧٩٧هـ [1] .

قال ابن العماد[2] : (صحب ابن قيم الجوزية فقرأ عليه أكثر تصانيفه).

١١. الغزي ، محمد بن محمد بن محمد الخضر ، الشافعي . توفي سنة ٨٠٨هـ[3].

قال الشوكاني[4] : (دخل دمشق فأخذ بها عن ابن كثير والتقي السبكي وابن القيم وغيرهم) .

---

(١) ج٢ ، ص٣٦٨.

(٢) ص٣٦٨ منه .

(٣) ص٣٧٠ منه وبقية القصيدة وفي الصفحتين التاليتين لها .

(٤) وهو كتابه المطبوع المسمى : **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، وسيأتي ذكره في مبحث مؤلفاته . إن شاء الله .

(١) بكر بن عبد الله أبو زيد ، **ابن قيم الجوزية حياته وآثاره** ، ص١٠٩. حيث قال ترجمته في : **شذرات الذهب**، ٣٤٩/٦ .

(٢) المرجع ذاته ، ص١٠٩، نقلا عن ابن العماد، **شذرات الذهب**، ٣٤٩/٦ .

(٣) المرجع ذاته ، ص١١٠، حيث قال : ترجمته في **البدر الطالع** ٢/ ٢٥٤ و**شذرات الذهب** ٧٩/٧.

(٤) المرجع ذاته ، ص١١٠، نقلا عن : لشوكاني، **البدر الطالع**، ٢٥٤،٢.

هؤلاء بعض تلاميذ ابن القيم الأئمة الفضلاء . وإنني لأرجو أن يكون في ذكرهم مزيدا من التوضيح والتعريف بشخصية شيخهم ابن القيم ومكانته وبركته . والله ولي التوفيق .

المطلب الرابع

مؤلفاته

ألف ابن القيم رحمه الله كتبا كثيرة نافعة متميزة في شتى العلوم الإسلامية وما يرتبط بها .

وهذه الكثرة ، وهذا التميز في مؤلفاته إنما هو نتيجة مباركة لجهده الكبير ، وسعيه الدؤوب المتواصل في تحصيل العلم ، كما رأينا في مطلبي : (نشأته) و (شيوخه) .

وأود أن اشير هنا إلى أن تفاعل ابن القيم مع العصر الذي عاش فيه ، وحمله لهم المسلمين في ذلك العصر بصدق وإيجابية وإخلاص؛ أضفى على كلامه في كتبه قوة وحيوية ، وجمالا ، وتأثيرا عجيبا [(١)] ، حتى لكأنك تشعر ــ وأنت تقرأ في كتبه ــ كأنه قائم أمامك يحدثك مباشرة ، بحرقة وحرارة تارة ، وبرقة وهدوء تارة أخرى ، وفي الحالين يدعم كلامه بالحجة والدليل ما استطاع . رحمه الله تعالى .

وقد رأيت أن أسرد ــ وقبل عرض أشهر مؤلفاته التي اخترتها ــ كلام أشهر مترجميه من كبار العلماء في مؤلفاته وأسلوبه ورغبة الناس ــ بمختلف طوائفهم ــ فيها ، و انتفاعهم بها :

١ـ قال الحسيني في ذيول العبر: "ومصنفاته سائرة مشهورة" [(٢)] .

٢ــ وقال صاحبه ابن كثير: " وله من التصانيف الكبار و الصغار شيء كثير ، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا " [(٣)] .

---

(١) سيتبين ذلك أكثر من خلال مبحث (عصر ابن القيم) التالي ، حيث سأنقل هناك شيئا من نصوصه التي تحمل هم ذلك العصر ، وتشير إلى بعض ظواهره . إن شاء الله .

(٢) ذيول العبر ، جـ٤ ص١٥٥ .

(٣) البداية و النهاية، جـ١٤ ص٢٣٥ .

٣ـ وقال تلميذه ابن رجب: "وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة . وصنف تصانيف كثيرة جدا في أنواع العلم" [١] .

٤ـ وقال ابن ناصر: " له التصانيف الأنيقة والتآليف التي في علوم الشريعة الحقيقية" [٢] ثم وصفه بأنه "صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف" [٣] وقال أيضا: "سارت تصانيفه في الآفاق" [٤] .

٥ـ وقال ابن حجر [٥] (وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف . وهو طويل النفس فيها ، يتعانى الإيضاح جهده ، فيسهب جدا ...). يعني بذلك أنه يبذل قصارى جهده في توضيح مقصوده.

٦ـ ونختم هذه الأقوال بقول الإمام الشوكاني [٦] : (وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف ... و له من حسن التصرف مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين بحيث تعشق الأفهام كلامه ، وتميل إليه الأذهان ، وتحبه القلوب ...) .

وقد استقصى الشيخ بكر أبو زيد [٧] كتب ابن القيم ، وحقق نسبة كل منها إليه و بين ـ ما استطاع ـ ما كان منها مطبوعا أو مخطوطا أو مفقودا ، فجزاه الله خيرا . وقد بلغ عدد كتب ابن القيم التي صحت عنده نسبتها إليه ستة وتسعين كتابا .

وفيما يلي ذكر و تعريف ببعض أهم تلك الكتب ، وأكثرها ارتباطا بموضوع هذه الرسالة، مرتبة ترتيبا هجائيا :

١ـ أحكام أهل الذمة [٨] . وهو مطبوع في ثلاثة أجزاء بتحقيق يوسف بن

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة، جـ٢ ص٣٦٩ .

(٢) الرد الوافر، ص١٢٤. (٣) المرجع ذاته، ص٢٤٨. (٤) المرجع ذاته، ص٢٥٤.

(٥) الدرر الكامنة، جـ٤ ص٢٢ . (٦) البدر الطالع، جـ٢ ص١٤٤ .

(٧) انظر كتابه :ابن القيم الجوزية : حياته وآثاره، المطلب الذي عقده في بعنوان : (الثبت التفصيلي لأسماء مؤلفات ابن القيم رحمه الله) . وقد شغل حيزا كبيرا من كتابه : ص ص١١٩ـ١٩٧. (٨) انظر المرجع ذاته ص١٢١ .

أحمد البكـــري ، وشـاكر ابـن توفيـق العـاروري . الناشـر : رمـادي للنشـر. الدمـام ١٩٩٧ . وقـد جـرد منـه كتـاب : (شـرح الشـروط العمريـة) [١] ، جـرده مـن الأصـل وحققـه وعلـق حواشـيه : صبحـي الصـالح . الناشـر : دار العلـم للملاييـن، بـيروت . ط٢ ، ١٩٨١م . وليـس لــه ارتبــاط بموضوعنـا . ولكننـي ذكرتـه لأهميتـه .

٢ـ إعـلام الموقعيـن عـن رب العـالمين [٢] . مطبـوع فـي أربعـة مجلـدات . بتحقيـق : عصـام الديـن الصبـابطي . الناشـر : دار الحديـث ، القـاهرة . ط٣ ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م .

وهو كتاب عظيـم جـداً فـي موضوعـه وفوائـده ، وقـد أثنـى عليـه الشـيخ أبـو زيـد فـي كتابـه (ابـن قيـم الجوزيـة حياتـه وآثـاره)، ص١٢٧ وأنـور الجنـدي فـي كتابـه : نوابـغ الفكـر الإسـلامي ص٤١٧ .

ومـن عنـوان الكتـاب ومادتـه يعلـم أنـه رسـالة إعـلام وإنـذار وإعـذار إلـى علمـاء عصـره ــ وإلـى كـل عـالم شـرعي مـن بعـد ــ الذيـن ذكرهـم منزلتهـم وخطرهم بتسـميته إيـاهم : (الموقعيـن عـن رب العـالمين) .

٣ ــ إغاثـة اللـهفان مـن مصـايد الشـيطان [٣] . وهـو مطبـوع، جزئيـن فـي مجلـد كبـير ، بتحقيـق طـه عبـد الـرؤوف سـعد . نشـر دار إحيـاء الكتـب العربيـة . القاهرة . (طبعـة وسـنة : بـدون) .

وقـد اسـتفدت منـه فـي مواضـع مـن هـذه الرسـالة ، خصوصـا مـا يتعلـق بمزالق الصوفية ، كما سـترى فـي المبحـث الخـاص بذلـك إن شـاء الله .

٤ ـ تحفـة المـودود بأحكـام المولـود [٤] . وهـو مطبـوع فـي مجلـد متوسـط (٢٤٨صفحـة) بتحقيـق كمـال علـي الجمـل . الناشـر : مكتبـة الإيمـان ــ القـاهرة . (ط وسـنة : بـدون) .

---

(١) أنظر المرجـع ذاتـه، ص١٦٥ ومـا بعدهـا .

(٢) أنظـر المرجـع ذاتـه، ص١٢٧ ــ ١٣٢ .

(٣) أنظـر: المرجـع السـابق، ص١٣٢ ومـا بعدهـا .

(٤) أنظـر: المرجـع ذاتـه ، ص١٤٠ ومـا بعدهـا .

وهو كتاب شامل لموضوعه ، فريد في بابه ، تجد فيه الأحاديث المتعلقة بالموضوع ، لبه وأطرافه ، و الأحكام الفقهية ، وفوائد هامة في تربية الأولاد ، وغير ذلك .

٥ـ تهذيب مختصر سنن أبي داود [١] . وهو مطبوع في ثمانية أجزاء مع مختصر سنن أبي داود للمنذري ، ومعالم السنن للخطابي . بتحقيق : محمد حامد الفقي ، في ثمانية أجزاء . دار المعرفة . بيروت ، ١٩٩٠م .

٦ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح [٢] . وهو مطبوع في مجلد متوسط (٣٧٥ صفحة) بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة . (ط وسنة : بدون) . وهو المسمى بصفة الجنة عند بعض مترجميه كما يبين الشيخ أبو زيد [٣] .

٧ـ الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي [٤] . وهو مطبوع بهذا العنوان الطويل، بتحقيق عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث ، القاهرة . إيداع ١٩٩٢م . وقد اطلعت على نسخة أخرى غير محققة طبعت بعنوان (الجواب الكافي لمن سأل عن الجواب الشافي) فقط. طبع عالم الكتب ، بيروت ، (ط وسنة :بدون) وهو من الكتب التي يمكن اعتبارها من كتب التصوف ، حيث تحدث فيه عن الذنوب وآثارها والتوبة منها ثم تحدث عن المحبة الإلهية وغير ذلك .

٨ ـ الروح [٥] . مطبوع بتحقيق كمال علي الجمل . مكتبة الإيمان ـ القاهرة. (ط : بدون) ، سنة ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م وهو بحث فريد جامع في أحوال أرواح الموتى ومستقرها ، وحياة البرزخ وغير ذلك .

---

(١) أنظر: المرجع ذاته ، ص١٤٤ وما بعدها .

(٢) أنظر: المرجع ذاته ، ص١٤٨ وما بعدها .

(٣) المرجع ذاته ، ص١٤٨ .

(٤) انظر: المرجع ذاته ، ص١٥١ وما بعدها .

(٥) انظر: المرجع ذاته ، ص١٥٨ ـ ١٦١ .

٩ــ روضة المحبين ونزهة المشتاقين[1] . مطبوع . مكتبة التراث . القاهرة.(ط وسنة : بدون) والكتاب في جانب منه كتاب تصوف . حيث أنه يتحدث في بعض أبوابه عن المحبة الإلهية التي هي من الموضوعات الصوفية، كما هو معلوم.

١٠ــ زاد المعاد في هدى خير العباد[2] . مطبوع عدة طبعات ، منها : طبعة في مجلدين كبيرين محققة على أربع نسخ . المكتبة القيمة . القاهرة ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م . و طبعة في خمسة مجلدات بتحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة ــ بيروت ، ومكتبة

المنار الإسلامية ــ الكويت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م . وفي أهمية هذا الكتاب وروعته وعظيم نفعه قال بعض العلماء ما معناه : لو لم يكن لابن القيم إلا هذا الكتاب و كتاب إعلام الموقعين لكفى[3] .

١١ــ شرح سنن أبي داود . مطبوع مع (عون المعبود شرح سنن أبي داود) للعظيم آبادي ، أبي الطيب ، محمد ، شمس الحق . دار الكتب العلمية . بيروت . ط٢ . ١٩٩٥م . ١٤ جزءاً في سبعة مجلدات .

١٢ــ شفاء العليل في مسائل القضاء و القدر والحكمة والتعليل[4] . مطبوع بتحقيق صلاح عويضة ، مكتبة الإيمان ــ القاهرة . ط١ ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م . مجلد كبير (٤٩٢ صفحة) .

وفيه أشار ابن القيم إلى شيخه في التصوف : الشيخ عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي ــ كما بينت في مطلب شيوخه ــ وإلى شرحه لكلام (الهروي) في منازله . ففيه كلام لا بأس به عن التصوف وخصوصا عقيدة بعض الصوفية المنحرفين : العقيدة الجبرية ، شرحا وردا[5].

---

(١) انظر المرجع ذاته ، ص١٥٧ .

(٢) انظر أبو زيد ، المرجع السابق ، ص١٦٢ــ١٦٤ .

(٣) القائل هو الشيخ أبو زيد في كتابه ذاته ، انظر ص٤٣ ، ٤٤ .

(٤) انظر بكر أبو زيد ، المرجع السابق ، ص١٦٦ ، ١٦٧ .

(٥) انظره بالطبعة المذكورة في المتن ص٢٧ــ٣٢ .

١٣ــ كتاب الصلاة وحكم تاركها . مطبوع . دار ابن كثير ــ دمشق ، ومكتبة دار التراث ــ المدينة المنورة . ط١ ، ١٤٠٩ ، ١٩٨٩م . مجلد صغير نسبيا (١٥٦صفحة) .

وفيه تركيز على جانب أعتبره من التصوف السني الا وهو الخشوع في الصلاة ، بعد بيانه لحكمها وحكم تاركها ، وما إلى ذلك[١] .

١٤ــ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية[٢] . طبع بشرح ومراجعة : إبراهيم رمضان . دار الفكر اللبناني ١٩٩١م .

١٥ــ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين . مطبوع . نشر : عالم الكتب ــ بيروت (ط وسنة : بدون) . مجلد متوسط (١٨٠ صفحة) .

وفيه يشير إلى توجيهه إلى الصوفية وغيرهم من الطوائف ، حيث قال في ص٩ : (فهو كتاب يصلح للملوك و الأمراء والأغنياء والفقراء والصوفية والفقهاء . ينهض بالقاعد إلى المسير ، ويؤنس السائر في الطريق ، وينبه السالك على المقصود). وجله عن الصبر الذي هو أحد مقامات التصوف[٣] .

١٦ــ الفروسية[٤] . طبع بتحقيق عزت العطار الحسيني . مكتبة الخانجي ــ القاهرة . ط٢ ، ١٩٩٤م . ١٣٣ صفحة .

١٧ــ الفوائد[٥] . مطبوع . المكتبة القيمة ــ القاهرة . (ط وسنة : بدون) . ١٨٧ صفحة .

وفيه كلام رائع ، وحكم بالغات تشبه كلام أئمة التصوف الأوائل[٦] . والله أعلم . وهو يعتبر بلا جدال من كتبه في التصوف السني السلفي الرائق.

---

(١) أنظره بالطبعة المذكورة ص١٢١ــ١٣٩ .

(٢) أنظر بكر ابو زيد ، المرجع السابق ، ص١٧٢ ، ١٧٣ .

(٣) أنظر كلام ابن القيم عن الصبر كمقام من مقامات التصوف في مدارج السالكين جـ٢ ص١٥٢ــ١٧١

(٤) أنظر بكر ابو زيد ، المرجع السابق ، ص١٧٦ .

(٥) أنظر المرجع ذاته ، ص١٧٩ .

(٦) أنظره بالطبعة المذكورة . لترى بعض ذلك ، خذ على سبيل المثال : ص٣٠ ، ص٥٠ ، ص١٣٧ .

١٨ــ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين[١] . مطبوع بتحقيق محمد حامد الفقي بمكتبة السنة المحمدية ــ مصر ، (ط : بدون) ، ١٩٥٦م . وهو كتاب ضخم : ثلاثة مجلدات مجموع صفحاتها ١٥٠٠ صفحة تقريبا . والله أعلم .

وهو كتابه الكبير المتخصص ــ في معظمه ــ في التصوف ، إذ شرح فيه كتاب (منازل السائرين) للشيخ أبي إسماعيل الهروي الأنصاري . وفي طيات هذا الكتاب وبين صفحاته الكثيرة بين ابن القيم موقفه من التصوف و الصوفية . وليس في غيره من كتبه في هذا المجال من إضافة إلا اليسير . والله أعلم .

١٩ــ مفتاح دار السعادة[٢] . مطبوع بتحقيق محمد بيومي . مكتبة الإيمان ــ القاهرة . (ط وسنة : بدون) . وهو جزأين في مجلد واحد كبير ، (٧١٧ صفحة) .

وهو كتاب بديع منوع الفوائد ، بدأه بفضائل العلم واستدل لفضل العلم من أكثر من مائة و عشرين وجها[٣] . وهذا يدلنا على مقدار تعظيم ابن القيم للعلم وتمسكه بوجوب تحكيمه في شتى المجالات، ومنها التصوف كما سترى في الفصل الثالث من هذا البحث ان شاء الله.

٢٠ــ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى[٤] . مطبوع بتحقيق محمد علي أبو العباس . مكتبة القرآن ، القاهرة ١٩٩٠م ، ٢٤٠ صفحة . وفيه أشار إلى التشابه بين شرك النصارى و كفرهم وبين ما يعتقده أهل (الحلول) من الملتسبين إلى والتصوف[٥] . و موضوعه ظاهر من عنوانه .

---

(١) انظر بكر ابو زيد ، المرجع السابق ص١٨٨ .
(٢) انظر: بكر ابو زيد ، المرجع السابق، ص١٩١ ، وما بعدها .
(٣) انظره بالطبعة المذكورة ، جـ١ ، ص٧٤ــ٢٢٠ .
(٤) انظر: بكر ابو زيد ، المرجع السابق ، ص١٩٦ وما بعدها .
(٥) انظر: هداية الحياري، ص١٩٣ وما بعدها .

هـذه أبـرز كتبـه الرائعـة المتمـيزة ، سـوى كتبـه القيمـة الأخـرى ، المطبوعـة منـها والمخطوطـة، عـدا المفقـودة .

نسـأل الله أن ينفعنـا بـها المسـلمين . آميـن .

وهي تبين لنـا علـو مكانتـه العلميـة . التـي لا أجـد بـدا مـن تخصيـص مطلـب مستقل لـها . وليكـن المطلـب التـالي .

المطلب الخـامس

مكانته العلمية

بلغ ابـن القيـم – رحمـه الله – مكانـة علميـة عاليـة،بفضـل جـهده الكبـير فـي مرحلـة الطلـب ،وملازمتـه لشـيخ الإسـلام ابـن تيميـه، وعقليتـه النـاقدة، وحريتـه في الاجتهاد والنظر والـترجيح ،حيـث ظـهر بشـخصية علميـة مسـتقلة.

وفي هذا المطلـب سـألقي الضـوء علـى هـذه المكانـة العلميـة العظيمـة ، التـي بلغـها ـ رحمـه الله ـ وذلـك مـن خـلال اسـتعراض الألقـاب العلميـة التـي وصفـه بها العلمـاء الذيـن ترجمـوا لـه ، ثـم اسـتعراض أقـوال العلمـاء فـي إتقانـه لشـتى العلوم ، وأقوالهم في علـو منزلتـه العلميـة ؛ ليظـهر مـن ذلـك كلـه مكانتـه العلميـة المتميزة الراقيـة .

وصـف ابـن القيـم علـى ألسـنة العلمـاء بأنـه : (الشـيخ الإمـام العلامـة[١] ، ذو الفنـون)[٢]، ووصـف بأنـه : (العلامـة الحجـة)[٣] ، وبأنـه : (العلامـة الكبـير)[٤] .

---

(١) الصفـدي : **الوافـي بالوفيـات** ، ج ، ص٢٧٠ ، وابـن كثـير : **البدايـة والنهايـة** ، ج١٤ ، ص٢٣٤، وابـن نـاصر : **الـرد الوافـر** ، ص١٢٤. وابـن تغـري : **النجـوم الزاهـرة** ، ج١٠ ، ص١٩٥ .

(٢) الحسـيني : **ذيـول العـبر** ، ج٤ ، ص١٥٥ .

(٣) السـخاوي : **الذيـل علـى دول الإسـلام** ، ج١ ، ص٥٣ .

(٤) الشـوكاني : **البـدر الطـالع** ، ج٢ ، ١٤٣ .

ووصف كذلك بالفقيه الأصولي المفسر النحوي العارف[1] ، المتكلم[2].

ووصفه ابن العماد[3] وكذلك الشوكاني[4] بأنه : (المجتهد المطلق) .

ووصفه ابن ناصر بأنه : (أحد المحققين ، علم المصنفين ، نادرة المفسرين)[5] .

ولنستعرض الآن أقوال العلماء في إتقان ابن القيم – رحمه الله – لشتى العلوم الإسلامية ، سعة ، وعمقا ، ليظهر لنا من ذلك مكانته العلمية الجليلة :

قال الصفدي : " ...ناظر واجتهد ، ... ، وصنف ، وصار من الأئمة الكبار ، في علم التفسير والحديث ، والأصول فقها وكلاما ، والفروع ، والعربية "[6] .

وقال ابن كثير : " سمع الحديث ، واشتغل بالعلم ، وبرع في علوم متعددة ، لاسيما التفسير والحديث والأصلين . ولما عاد الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ ، فأخذ عنه علما جما ، مع ما سلف له من الاشتغال ، فصار فريدا في بابه في فنون كثيرة ، مع كثرة الطلب ليلا ونهارا ، وكثرة الابتهال "[7] .

---

(١) ابن رجب : **ذيل طبقات الحنابلة** ، ج٢ ، ص٣٦٨. وابن مفلح : **المقصد الأرشد** ، ج٢ ، ص٣٨٥ . والنعيمي: **الدارس في تاريخ المدارس** ، ج٢،ص٩٠،والداوودي : **طبقات المفسرين**، ص٩٣. ومصطلح (العارف) من اصطلاحات الصوفية قيل في تعريفه : العارف هو الذي بذل مجهوده فيما لله وتحقق معرفته بما من الله وصح رجوعه من الأشياء إلى الله . وقيل : العارف من أشهده الله ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله فالمعرفة حال تحدث من شهوده . أنظر أنور أبو خزام، **معجم المصطلحات الصوفية**، ص١١٧.

قلت : ووصف كبار المترجمين لابن القيم بهذا اللقب يدلنا على منزلته السامية في التصوف علما وحالا. وإلا لما استحق هذا الوصف الاصطلاحي الصوفي، والله أعلم .

(٢) ابن العماد : **شذرات الذهب** ، ج٨ ، ص٢٨٧ .

(٣) **شذرات الذهب** ، ج٨ ، ص ٢٨٧ .

(٤) **البدر الطالع** ، ، ج٢ ، ص ١٤٣ .

(٥) **الرد الوافر** ، ص١٢٤ .

(٦) **الوافي بالوفيات** ، ج٢ ، ص٢٧١ .

(٧) **البداية والنهاية** ، ج١٤ ، ص٢٣٤ .

وقال ابن رجب : " تفقه في المذهب ـ يعني الحنبلي ـ وبرع وأفتى ، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه ، وتفنن في علوم الإسلام . وكان عارفا بالتفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين وإليه فيها المنتهى ، والحديث ومعانيه وفقهه ، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك وبالفقه وأصوله وبالعربية وله فيها اليد الطولي وتعلم الكلام والنحو وغير ذلك وكان عالما بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإشاراتهم له ففي كل فن من هذه الفنون اليد الطولي[1]".

ثم ذكر ابن رجب عن كثرة عبادة ابن القيم ما ذكر ، ثم قال: " ...لم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علما ، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه ، وليس هو بالمعصوم ، ولكن لم أر في معناه مثله "[2].

ثم قال ابن رجب : " ... وقال القاضي برهان الدين الزرعي[3]عنه : ما تحت أديم السماء أوسع علما منه "[4] .

---

(١) (الإشارات) ومفردها (إشارة) مصطلح صوفي قيل في معناه ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه . وقيل: الإشارة إخبار الغير عن المراد بغير عبارة اللسان . أنظر: أنور أبو خزام، **معجم المصطلحات الصوفية** ص ٤٣ . ومعنى كلامه أن الإشارة كلمات يتكلم بها الصوفي ليعبر بها عما في داخله فلا تفي بالمعنى، وتكون غامضة على السامع . والله أعلم.

(٢) **ذيل طبقات الحنابلة** ، ج٢ ، ص٣٦٩.

(٣) لم أجد له ترجمة .

(٤) ابن رجب، **ذيل طبقات الحنابلة**، ج٢ ص٣٦٩ .

وقال ابن ناصر : " كان ذا فنون من العلوم ، وخاصة التفسير والأصول من المنطوق والمفهوم "[١].ثم قال: " قال شيخنا الحافظ أبو بكر بن المحب[٢] فيما وجدته بخطه : قلت أمام شيخنا المزي[٣] : ابن القيم في درجة ابن خزيمة [٤]؟ فقال : هو في هذا الزمان كابن خزيمة في زمانه "[٥]. وقارن هذا بما سيأتي في مطلب وفاته من أن ابن القيم رأى في المنام ابن تيمية بعد وفاته فأخبره أنه في طبقة ابن خزيمة.

وقال الذهبي: " ... عني بالحديث متونه ورجاله وكان يشتغل بالفقه ويجيد تقريره ، وفي النحو ويدريه ، وفي الأصلين . ... وتصدر للاشتغال ونشر العلم ، ولكنه معجب برأيه جريء على الأمور ، غفر الله له"[٦] .

وقال ابن حجر:"... وكان جريء الجنان ، واسع العلم ، عارفا بالخلاف ومذاهب السلف... ثم تصدر للاشتغال ونشر العلم، ولكنه معجب برأيه جريء على الأمور"[٧].

وعلق الشوكاني يرحمه الله – على الجملة الأخيرة من كلام ابن حجر – المنقولة عن الذهبي كما ترى ـ فقال : " بل كان متقيدا بالأدلة الصحيحة ، معجبا بالعمل بها ، غير معول على الرأي ، صادعا بالحق ، لا يحابي فيه أحدا ، ونعمت الجرأة "[٨] .

---

(١) الرد الوافر ، ص١٢٤ .

(٢)لم أجد له ترجمة .

(٣) انظر التعريف به والإشارة إلى مواضع ترجمته في مبحث شيوخه الذي مر قريبا .

(٤)هو محمد بن اسحق بن خزيمة بن المغيرة السلمي، الملقب بإمام الأئمة، كان بحرا من بحور العلم، رحل كثيرا في طلب العلم وكتب الكثير، وكتابه الصحيح من أنفع الكتب وأجلها، وهو من المجتهدين في دين الاسلام، روي عنه أنه قال : ما قلدت أحدا منذ بلغت ست عشرة سنة، ت ٣١١ هـ ، انظر:ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص١٤٩.

(٥) الرد الوافر، ص١٢٥.

(٦) معجم محدثي الذهبي ، ص١٨٠ .

(٧) الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ٢١ .

(٨) البدر الطالع ، ج٢ ، ص١٤٣ ، ١٤٤ .

وقال ابن تغري بردي: " كان بارعا في عدة علوم ، ما بين فقه وتفسير وعربية ، ونحو وحديث وأصول وفروع . ولزم شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية بعد عودته من القاهرة ... وأخذ عنه علما كثيرا حتى صار أحد أفراد زمانه "[١] .

وقال ابن مفلح: " تفنن في علوم الإسلام ، وكان عارفا بالتفسير ، وبأصول الدين ، والفقه ، وله اعتناء بعلم الحديث ، والنحو ، وعلم الكلام والسلوك "[٢] .

وقد وصفه السخاوي بأنه : " العلامة الحجة ، المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان "[٣] .

وقال السيوطي : " صنف وناظر واجتهد وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث والفروع والأصليين والعربية "[٤] .

وقال النعيمي: " تفقه في المذهب وتفنن في علوم شتى ، وكان عارفا عالما بالتفسير ، وبأصول الدين والفقه ، وله اعتناء بعلم الحديث والنحو ، وعلم الكلام والسلوك "[٥] .

وقال الشوكاني: " برع في جميع العلوم ، وفاق الأقران ، واشتهر في الأفاق ، وتبحر في معرفة مذاهب السلف "[٦] .

هذا هو الإمام ابن القيم ، وهذه شهادات كبار العلماء المترجمين له ، وهي كما ترى لا تحتاج إلى تعليق ولا تحتاج إلى إضافة .

وتتضح مكانة ابن القيم العلمية العالية أكثر ، ونرى صدق الشهادات السابقة باطلاعنا على علمه في مجال دقيق خطير ألا وهو (التصوف) ، وهو ما سأبينه في الفصلين الثالث والرابع من هذه الرسالة ان شاء الله.

---

(١) النجوم الزاهرة، ج١٠ ، ص ١٩٥ .

(٢) المقصد الأرشد، ج٢ ، ص٣٨٥ .

(٣) الذيل على دول الإسلام ، ج١ ، ص٥٣ .

(٤) بغية الوعاة ، ج١ ، ص٦٢ .

(٥) ذيول العبر، ج٤ ، ص٩٠ .

(٦) البدر الطالع ، ج٢ ، ص١٤٣ .

المطلـب الســـادس:

محنــه وصبره

كــان ابــن القيــم ــ رحمــه الله ــ عالمــا جريئــا يــدرس ويفتــي بمــا يــرى أنــه الحــق أو الأقــرب إلــى الصــواب والأرجــح بــالدليل . وربمــا خـــالف رأيـــه آراء علماء السلطان فــي وقتــه أكــثر مــن مــره . وكــان ذلــك ســببا فــي محنتــه وحبســه عدة مرات . وإليك أقــوال مترجميــه فــي ذلــك .

١. قــال الذهبــي : "وقــد حبــس مــدة وأوذي لإنكــاره شـــد الرحـــل إلـــى قـــبر الخليل"[١]. وهذه العبارة توحـــي بمــا كــان بيــن ابــن القيــم وبيــن بعــض أهــل العلــم وأدعياء التصـــوف فــي عصــره مــن خــلاف فــي هــذه القضيــة ، فأمــا أهــل العلــم الذيــن خــالفوه -وشــيخه ابــن تيميــة ــ فــي هــذه المســألة فإنــهم لــم ينصفــوه ولــم يتبينوا حقيقة رأيـــه فــي المســألة[٢] ، وأمــا أدعيــاء التصــوف المكــثرين مــن البــدع ، المبتعدين عن الســـنة بــل وعــن هــدي شــيوخ التصــوف الأوائــل ومــن بعدهــم مــن أهــل الاســتقامة – فقــد ضــاقوا ذرعــا بــابن القيــم وإنكــاره لبدعــهم وانحرافاتـــهم ، وخصوصــا فــي اعتقاداتــهم فــي أهــل القبــور ولجوئــهم إليــهم واســـتغاثتهم بـــهم. وقــد لقيــت مــن هــؤلاء مــن يدعــي أن الولــي الميــت يخــرج مــن قــبره ويلبـــي حوائجــهم أو يشــفع لــهم عنــد الله لتلبيتــها . وربمــا كــانت محنــة ابــن القيــم بســبب وشاية أناس مـــن أمثــال هــؤلاء . والله أعلــم .

٢. وقــال ابــن كثــير : "وقــد كــان متصديــا للإفتــاء بمســألة الطــلاق التــي اختارهــا الشيخ تقي الديـــن ابــن تيميــة ، وجــرت بســببها فصــول يطــول بســطها مــع قــاضي القضاة تقي الديـــن الســبكي ، وغــيره"[٣].

٣. وقال ابن رجــب : "وقــد امتحــن وأوذي مــرات ، وحبــس مــع الشــيخ تقــي الديــن في المرة الأخيرة بالقلعة منفردا عنـــه ، ولــم يفــرج عنـــه إلا بعــد وفــاة الشــيخ"[٤].

(١) المعجــم المختــص بمحدثيــه، معجــم محدثــي الذهبـــي، ص١٨٠ .

(٢) انظر في هـــذه المســألة : دفــع الشــبه الغويــة عــن شــيخ الإســلام ابــن تيميــة، للشيــخ مــراد شـــكري ص١٥٣–١٥٥ .

(٣) البدايــة والنهايــة، ج١٤ ، ص٢٣٥ . وانظــر تفصيــل ابــن القيـــم لـــهذه المســـألة، مســـألة الطــلاق ثلاثــا بلفــظ واحــد، وذكــر الرأييــن فيــها فــي إغاثــة اللـــهفان، ج١، ص٣٠٨ ، إلـــى ص٣٥٩ .

(٤) ذيــل طبقــات الحنابلـــة ، ج٢ ، ص٣٦٩ .

٤. وقال ابن حجر : "واعتقل مع ابن تيمية بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبا بالدرة . فلما مات أفرج عنه . وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية"[١]. ثم قال : " وجرت له محن مع القضاة ، منها في ربيع الأول : طلبه السبكي بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير محلل[٢] ، فأنكر عليه) [٣] .

المطلب السابع

وفاته ــ رحمه الله ــ

يذكر جمهور المؤرخين أن وفاته رحمه الله كانت في رجب سنة ٧٥١ هـ[٤] قال ابن كثير مفصلا : " وفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء توفي صاحبنا الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ، إمام الجوزية وابن قيمها ، وصلي عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي ، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير . رحمه الله "[٥] . ثم قال:" وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله ، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على حمل نعشه ، وكمل له من العمر ستون سنة . رحمه الله "[٦] .

وذكر قريبا من هذا تلميذه ابن رجب حيث قال :" وصلي عليه من الغد بالجامع عقيب الظهر ، ثم بجامع جراح ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ،

---

(١) **الدرر الكامنة**، ج٤ ، ص٢١.

(٢) انظر هذه المسألة في كتاب : **ابن القيم الجوزية حياته وآثاره**، للشيخ بكر أبو زيد ص٤٢،٤٣.

(٣) **الدرر الكامنة** ، ج٤ ، ص٢٣.

(٤) الصفدي : **الوافي بالوفيات**، ج٢ ، ص٢٧٢ . والحسيني : **ذيول العبر** ، ج٤ ، ص١٥٥ ؛ وابن كثير : **البداية والنهاية**، ج١٤ ، ص٢٣٤ . وابن رجب : **ذيل طبقات الحنابلة**، ج٢، ص٣٧٠. وابن ناصر : **الرد الوافر** ص١٢٥ . وابن حجر : **الدرر الكامنة**، ج٤ ، ص٢٣ .وابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة** ، ج١٠، ص١٩٥ . وابن مفلح : **المقصد الأرشد** ، ج٢، ص٣٨٥ . والسخاوي : **الذيل على دول الإسلام** ، ج١، ص٥٣ . والنعيمي : **الدارس في تاريخ المدارس**، ج٢ ، ص٩٠ وقد خالفهم ابن إياس الحنفي في **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ص١٦٧ . حيث ذكر وفاته سنة ٧٥٢هـ .

(٥) ابن كثير : **البداية والنهاية** ، ج١٤، ص٢٣٤ .

(٦) **المصدر السابق**، ج١٤، ص٢٣٥ .

وشيعه خلق كثير ، ورئيت له منامات حسنة ، رضي الله عنه)[١] .

ويروى أنه (كان قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين رحمه الله في النوم وسأله عن منزلته فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر . ثم قال له : وأنت كدت تلحق بنا ، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة رحمه الله)[٢] .

(١) ابن رجب : **ذيل طبقات الحنابلة**، ج٢، ص٣٧٠ .

(٢) ابن رجب : **ذيل طبقات الحنابلة** ، ج٢ ، ص٣٧٠ ، وابن حجر : **الدرر الكامنة**، ج٤، ص٢٣.

الفصل التمهيدي الثاني

لمحة موجزة عن التصوف الإسلامي

ويشمل

المبحث الأول : التصوف لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : نبذة عن نشأة التصوف الإسلامي وتطوره

المبحث الثالث : أبرز مناهج التصوف عند المسلمين

الفصل التمهيدي الثاني

لمحة موجزة عن التصوف الإسلامي

المبحث الأول

التصوف لغة واصطلاحا

المطلب الأول

التصوف في اللغة

كلمة (تصوف) في اللغة مصدر الفعل الخماسي (تَصَوَّفَ) المصوغ من صَوَّفَ للدلالة على لبس الصوف[(١)] . كما يقال : تقمّص ، إذا لبس القميص[(٢)] .

وبالتالي فإن كلمة (صوفي) نسبة إلى الصوف ليس إلا . وينبغي رفض ما عدا ذلك من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون في أصل هذه الكلمة[(٣)] هذا رأي غالب الباحثين قديما[(٤)] وحديثا[(٥)] وهو الرأي الراجح المدعّم بالأدلة والموافق للاشتقاق اللغوي.قال ابن خلدون:"والأظهر إن قيل

---

(١) ماسنيون ، "التصوف " ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الخامس ، دار المعرفة ، بيروت ،(ط ، وسنة بدون) . ص٢٦٥

(٢) عمر السهروردي ، عوارف المعارف ، ص٨٣ .

(٣) ماسنيون ،"التصوف"، مرجع سابق، ص١٦٥ ،وانظر تلك الأقوال ومناقشتها وردها عند :زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، جـ١ ص٥٠،٦٥ ، وعبد الحليم محمود قضية التصوف ص٢٩ـ٣٢ . ومصطفى حلمي ، التصوف والاتجاه السلفي ص١١ . وعند أبو العلا عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام ص٣٢ـ٣٤ .

(٤) انظر : السهروردي ، عوارف المعارف ، ص٨٣ ، وأبي نصر السراج ، اللمع ، ص٤٠ ، ٤١ .

(٥) انظر : ماسنيون ، "التصوف"، مرجع سابق، ص٢٦٥ ، وأبو العلا عفيفي ، الثورة الروحية في الإسلام ، ص٣٤ . وكامل الشيبي :" نشأة التصوف الإسلامي وتطوره "، مجلة كلية التربية بالجامعة الليبية ، العدد الثاني ، طرابلس ، ١٩٧١م ، ص١٨٣ ، ومصطفى حلمي: التصوف والاتجاه السلفي ص١٠،١١ .

بالاشتقاق[١] أنه من الصوف،وهم في الغالب مختصون بلبسه ، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف"[٢].

وقال أستاذنا الدكتور كامل الشيبي[٣] (لا يشك باحث اليوم في أن (التصوف) و(الصوفي) مصطلحان مستخدمان من الصوف باعتباره لباسا دالا على الزهد) .المطلب الثاني : التعريف الاصطلاحي للتصوف :

عرف المتصوفون (التصوف) الذي سلكوه وعاشوه تعريفات كثيرة جدا[٤] ، بحسب ما رآه كل منهم ، وبحسب ما استطاع أن يعبر عنه . وسأعرض فيما يلي عشرة فقط من تلك التعريفات ، مختارة بدقة من بين أبرز تعريفاتهم ، وهي لصوفية قد عاشوا ما بين سنة ٢٠٠ إلى سنة ٤٢٥ هجريه ، وكانوا من بلاد مختلفة ولم أختر تعريفات لأحد من الصوفية بعد هذا التاريخ لأنه لا جديد فيها على ما ذكره هؤلاء الأوائل[٥] ، الذين هم شيوخ هذه الطائفة ، وأرباب فقه طريقها ، وأساتذة منهجها . وقد حرصت على أن تكون تلك التعريفات واضحة بعيدة عن الغموض والتعقيد ومعرفة بالتصوف الإسلامي الملتزم الذي نرتضيه ، بعيدة عن عبارات الشطح، الموهمة بوحدة الوجود . وقد أتبعت بعضها بشيء من الشرح والتوضيح الذي لا بد منه . والله أعلم .

---

(١) في :المقدمة، ص ٣٨١ .

(٢) إشارة إلى رأي القشيري الذي يرى أنه (ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق ، والأظهر أنه كاللقب) الرسالة القشيرية. ص١٢٦ .

(٣) "نشأة التصوف الإسلامي وتطوره" ، مرجع سابق ، ص١٨٣ .

(٤) ذكر محمود أمين النواوي في تحقيقه على : التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي ، أن الأقوال المأثورة في التصوف زهاء الألفين .أنظره:ص١١.

(٥) انظر : أبو العلا عفيفي ، الثورة الروحية ، ص٣٨ .

١. معروف الكرخي (ت ٢٠٠هـ)[١] : (التصوف : الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق)[٢] .

يعني وجوب النظر إلى روح الشريعة وباطنها لا الاقتصار على الرسوم والظواهر ، مع اليأس مما في أيدي الخلائق من متاع الدنيا ، أي الزهد في ذلك[٣] .

٢. أبو سليمان الداراني (ت ٢٠٥ هـ)[٤] : (التصوف أن تجري على الصوفي أعمال لا يعلمها إلا الحق وأن يكون دائما مع الحق على حال لا يعلمها إلا هو)[٥] . يعني أن يصل الصوفي إلى حالة الفناء ، بحيث يتجرد من الإرادة والشعور بذاته ولا يرى فيها فاعلا سوى الله ، ثانيا أن يكون الصوفي في حالة اتصال بالله تعالى[٦] .

٣. بشر الحافي (ت ٢٢٧ هـ)[٧] :

(١) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد أعلام الزهاد الصوفية أهل الصلاح . قيل أن الإمام أحمد كان في جملة من يختلف إليه .أنظر: الزركلي، الأعلام، ج٧ ص٢٦٩ .

(٢) السهروري ، عوارف المعارف ، ص٧٩ .

(٣) انظر : عفيفي ،الثورة الروحية، مرجع سابق، ص٣٩ .

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، أحد أئمة العلماء العاملين، مثل سفيان الثوري وغيره، وسمع الحديث الكثير، لكنه اشتغل بالتعبد عن الرواية . أشهر تلاميذه أحمد بن أبي الحواري .أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص ص ٢٥٥=٢٥٩. وابن الجوزي، صفة الصفوة، ج٢، ص ص٨٢٨-٨٣٤ .

(٥) عفيفي ، المرجع ذاته ، ص٤٠ ، نقلا عن تذكرة الأولياء ، ج١ ، ص٢٢٣ .

(٦) انظر : عفيفي ، المرجع ذاته ، بنفس الصفحة .

(٧) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن، المروزي، أبو نصر، الزاهد، المعروف بالحافي، سمع ببغداد شيئا كثيرا من حماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وغيرهما، ورحل في طلب العلم إلى مكة والكوفة والبصرة وسمع من وكيع وغيره، لكنه سمع الناس ولم يتصد للرواية .سمي بالحافي لأنه كان يمشي حافيا .قيل : كان سبب تركه النعل أنه جاء مرة إلى حذاء فطلب منه شراكا لنعله . فقال : ما أكثر كلفتها يا فقراء على الناس ؟! فطرح النعل من يده وخلع الأخرى من رجله لا يلبس نعلا أبدا . أنظر ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج١ ص ص٤٠١-٤٠٦، وابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٠، ص ص٢٩٧-٢٩٩ .

(الصوفي مـن صفـا لله قلبـه)[١] .

٤. سـري السـقطي (ت٢٥٣ هــ)[٢] : (التصـوف اسـم لثلاثـة معـان : وهو الذي لا يطفـئ نـور معرفتـه نـور ورعـه ، ولا يتكلـم بباطن فـي علـم ينقضـه عليـه ظـاهر الكتـاب أو السـنة ، ولا تحملـه الكرامـات علـى هتـك أسـتار محـارم الله)[٣] .

٥. عمـرو بـن عثمـان المكـي (ت ٢٩١ هــ)[١] : سـئل عـن التصـوف فقـال : (أن يكون العبد في كل وقت مشغولا بمـا هـو أولـى بـه فـي الوقـت)[٢] .

٦. الجنيـد بـن محمـد (ت٢٩٧ هــ)[٣]: (التصـوف هـو أن يميتـك الحـق عنـك ويحييـك بـه)[٤] . وهـذا التعريـف بشـقيه مقتبـس مـن السـنة النبويـة الشـريفة ، فالشق الأول مأخوذ من الدعـاء النبـوي " اللـهم لا تكلنـي إلـى نفسـي طرفـة

---

(١) الكلابـاذي : التعـرف لمذهـب أهـل التصـوف ،ص٢٨ ، وعفيفـي ، الثـورة الروحيـة ، ص٤٠ . نقـلا عـن تذكـرة الأوليـاء ج١ ،ص١١٢ .

(٢) هو سـري بـن المغلـس السـقطي، أبـو الحسـن، مـن كبـار الصوفيـة، بغـدادي المولـد والوفاة، وهـو خـال الجنيـد وأسـتاذه . أنظـر: الزركلـي، الأعـلام، ج٥، ص٨١.

(٣) عفيفـي . القشـيري، الرسـالة، القشـيرية، ص١٠.

(٤) هـو عمـر بـن عثمـان بـن كـرب، أبـو عبـد الله، المكـي، مـن كبـار علمـاء الصوفيـة المخلصيـن، قـال أبـو نعيـم: " أحكـم الأصـول واخلـص بـالوصول ". أنظـر: الزركلـي، الأعـلام، ج٥، ص٨١.

(٥) السـهروردي : عـوارف المعـارف ،ص٨١ . والقشـيري، الرسـالة، القشـيرية ،ص١٢٧ . وقوله هذا قريب مـن رأي ابـن القيـم فـي أفضـل العبـادة حيـث يقـول فـي (مـدارج السـالكين) ج١،ص٨٨ : (إن أفضل العبـادة : العمـل علـى مرضـاة الـرب فـي كـل وقـت بمـا هـو مقتضـى ذلـك الوقـت ووظيفتـه ...) . وسـيأتي فـي الفصـل القـادم فـي مبحـث ، أصـول التصـوف عنـد ابن القيـم إن شـاء الله .

(٦) أنظر ترجمتـه الفصـل الرابـع مـن هـذا المبحـث ص١٥٧.

(٧) السـهروردي:عـوارف المعـارف،ص٨٠ . والقشـيري، الرسـالة، القشـيرية ص١٢٦.

هم)[١] . يعني خلوة العبد مع الله تعالى متفكرا في عظمته وجلاله ، جامعا قلبه على ذلك ، خالي النفس من هموم الدنيا وشواغلها[٢] .

٩. علي بن بندار النيسابوري (ت ٣٥٩ هـ)[٣] : (التصوف اسقاط رؤية الخلق ظاهرا وباطنا)[٤] . يعني – والله أعلم – التحقق بالإخلاص ومراقبة الله تعالى وحده ، وعدم مراقبة الخلق والبعد عن الرياء ظاهره وباطنه .

١٠. أبو الحسن الخرقاني (ت ٤٢٥هـ)[٥] : (ليس الصوفي بمرقعته وسجادته ولا برسومه وعاداته ، بل الصوفي من لا وجود له)[٦] . أي الغائب عن وعيه وإدراكه في حالة فناء الشهود . والله أعلم .

فهذه عشرة تعريفات للتصوف عند أئمته عبر قرنين من الزمان تقريبا ، عرف كل منهم التصوف كما يراه ، أو بحسب الحال الذي كان عليه عندما تكلم بذلك التعريف (ولقائل أن يقول : وما قيمة هذه التعريفات إذن إذا كانت لا تعبر إلا عن أحوال شخصية فردية ولا يغني واحد منها في الإعراب عن حقيقة التصوف في جملته ، أو شرح ماهيته ؟ والجواب على هذا أن قيمتها فيها مجتمعة لا متفرقة – إذا كنا نبحث عن التصوف الإسلامي مطلقا لا تصوف فلان أو فلان – إذ خلالها جميعا تظهر شخصية ذلك التصوف ، وتبرز صفاته المميزة له فهي بمثابة الزوايا المختلفة التي ينظر منها الصوفية الإسلاميون إلى حياتهم الروحية ، أو بمثابة اللبنات المفردة التي يتألف منها البناء)[٧] .

---

(١) القشيري، الرسالة القشيرية، ص ١٢٧.
(٢) انظر : عفيفي، الثورة الروحية، ص٥٢.
(٣) لم أجد له ترجمة.
(٤) عفيفي، المرجع ذاته ، ص٥٤ . نقلا عن طبقات الشعراني ج١ ، ص١٠٦ . والهجويري ، ص٤١ .
(٥) لم أجد له ترجمة.
(٦) عفيفي، المرجع ذاته ، ص٥٤ . نقلا عن نفحات الأنس ، ص٣٣٧ .
(٧) عفيفي ، المرجع ذاته . ص٣٩ .

المبحث الثـــاني

نبذة عن نشأة التصوف الإسلامي وتطوره

المطلـــب الأول

نبذة عن نشأة التصوف الإسلامي

يعتــبر (التصــوف الإســلامي) الصــورة التــي انتـهت إليـها حركــة (الزهـــد الإسلامي) التـــي سـرت فـي الأمصـــار الإســلامية وكــانت ردة فعـل متطرفــة تجــاه الظــروف الجديــدة السياســية والماديــة ، والعلميــة التــي عاشـــها المســـلمون فـــي أواخــر المائـــة الأولـــى مـــن الـــهجرة [١] . ولســـت مـــع مـــن يفصــل فصــلاً تامــا بيـــن الزهد والتصوف ، علـــى اعتبــار أن الزهـــد مبـدأ إســلامي خــالص وأنــه قـد اسـتمر فـي المجتمــع المسـلم عنـد كثـير مـن الفقــهاء والمحدثيــن وغـيرهم ولـم يصبحـــوا صوفيـــة [٢] ذلــك أن الزهــد الـذي عرفــه المســلمون كــان علـــى نوعيـــن : الأول : الزهد الإســلامي البسـيط الــذي ينبغـي لكــل مسـلم أن يتحلــى بــه اسـتجابةٍ لقـول الله تعالى : " لكـــي لا تأســوا علــى مــا فــاتكم ولا تفرحــوا بمــا أتــاكم " [٣] . وقـــول النبـــي صلى الله عليه وسلم " ازهـــد فـــي الدنيــا يحبــك الله " [٤] وذلــك زهــد قلبـــي قـد يجمـــع معـه المسـلم جوانـب أخــرى فــي شـخصيته مثـل الفقــه أو الحديــث أو الجـــهاد أو غير ذلك فـــلا يمثــل الزهــد هنـــا إلا جانبـــا مـــن جوانــب الشــخصية المســلمة وقــد لا يكون هــو الأمــيز فيــها . أمــا النــوع الثــاني مــن الزهـد فــهو مــا يســمى (الزهــد المنهجي) [٥] وهو الـــذي ســلكه طائفــة كبــيرة مــن الزهــاد والعبــاد والأئمـــة وتمــيزوا به وجعلوه إلا منهج متكامل ، وسلوك عـــام لحياتــهم حتــى عرفــوا بــه فقيــل لـــهم

(١) انظــر : الشــيبي " نشــأة التصــوف الإســلامي وتطــوره " ، مرجــع ســـابق ، ص١٨٨-١٩٥.

(٢) إشارة إلـــى راي مصطفـــى حلمـــي فـــي كتابــه التصــوف و الاتجــاه الســلفي ص٢٠ .

(٣) الحديـــد ٢٣.

(٤) أخرجــه ابــن ماجــه برقــم ٤١٠٢ والطــبراني فــي الكبـير برقــم ٥٩٧٢ وصححـــــه الألبـــاني في السلسلة الصحيحة ٩٤٤، مـــن حديــث ســهل بــن ســعد.

(٥) هــذا اصطـــلاح أســتاذنا د . كــامل الشــيبي . وهــو عنــده عبــارة عــن (التقــــاليد الظـــاهرة الزهدية الجديدة التـــي انتشــرت فـــي الأمصـــار الإســلامية فــي القــرن الثــاني للــهجرة وكــانت شــيئا جديــداً يختلــف عــن الصــور الزهديــة التــي ألفناهــا فــي نطــاق الديــن) انظــر بحثـــــه: " نشــــاة التصـــوف الإســـلامي وتتطـــوره " ص١٩٤ .

(الزهـاد والعبـاد)[١] وانتشـر هـذا المـهج فـي الأمصـار الإسـلامية بفعـل الظـروف السياسـية والاقتصاديـة والعلميـة وكـانت لـه مظـاهر متمـيزة فـي كـل مصر وأسـاتذة مـن كبـار التـابعين فـهذا هـو الزهـد الـذي تطـور إلـى التصـوف فصار الاسـم الجديـد لـهؤلاء الزهـاد المتمـيزون : (الصوفيـة)[٢] . والله أعلـم .

وأول مـن اشـتهر بلقـب (صوفـي) فـي الإسـلام :جـابر ابـن حيـان[٣] ، وهـو صاحب كيمياء شـيعي مـن أهـل الكوفـة ، لـه فـي الزهـد مذهـب خـاص ... وأبـو هاشـم الكوفـي[٤] المتصـوف المشـهور[٥] وكلاهمـا مـن وفيـات سـنة ١٥٠ هـ[٦] وقـد يكـون إطـلاق هـذا اللفـظ (صوفـي) .. إطلاقـا لغويـا – دالا علـى لبـس الصوف فقرا أو زهـدا – قـد وجـد فـي المجتمعـات الإسـلامية قبـل ذلـك لمـا روي عن الحسن البصـري أنـه قـال : (رأيـت صوفيـا فـي الطـواف فأعطيتـه شـيئا فلـم يـأخذه وقـال : معـي أربعـة دوانيـق فيكفينـي مـا معـي)[٧] . المـهم أن اللقـب بالمفرد ظهر أولا قبـل ظـهور لقـب (الصوفيـة) بـالجمع[٨] .

---

(١) في هـذا يقـول القشـيري فـي رسـالته ص٧ : " ثـم اختلـف النـاس وتبـاينت المراتـب ، فقيـل لخواص الناس ممن لهم عنايـة شـديدة بـأمر الديـن : الزهـاد والعبـاد".

(٢) انظـر القشـيري ، المرجـع السـابق بنفـس الصفحـة. وابـن الجـوزي تلبيـس إبليـس ص١٧١ حيـث يقـول : (والتصـوف طريقـة كـان ابتداؤهـا الزهـد الكلـي) . فكأنـه أراد بقولـه (الزهد الكلـي) هـذا (الزهـد المنـهجي) والله أعلـم .

(٣) هـو جـابر بـن حيـان بـن عبـد الله الكوفـي، أبـو موسـى فيلسـوف كيميـائي، كـان يعـرف بـالصوفي، سـكن الكوفـة، وأصلـه مـن خراسـان، توفـي بطـوس، لـه تصـانيف كثـيرة قيـل إن عددهـا أكـثر مـن ٢٣٠ كتابـا، ويقـال إنـه جمـع رسـائل الإمـام جعفـر الصـادق (ت١٤٨ هـ) فـي كتـاب، انظـر الاعـلام، ج٢، ص١٠٣، ص١٢٦.

(٤)،(٥) ماسـنيون ، " التصـوف " ، مرجـع سـابق ، ص٢٦٦ .

(٦) الشـيبي ، "نشـأة التصـوف الإسـلامي وتطـوره" ، مرجـع سـابق ، ص١٨٣ .

(٧) السـراج ، اللمـع ، ص٤٢ .

(٨) ماسـنيون ، " التصـوف " ، ص٢٦٦ . وعفيفـي ، الثـورة الروحيـة، ص٢٨ .

أما لقب (الصوفية) بالجمع فقد ظهر في حوالي سنة مائتين للهجرة [١] ، أو قبل ذلك بقليل والله أعلم ، وذلك – فيما أرى – لالتفاف عدد لا بأس به من التلاميذ حول من حمل لقب (صوفي) بالمفرد ، فصار لا بد من إطلاق اللفظ بالجمع على الشيوخ وتلاميذهم معا ، فكان ذلك تقريبا بين سنة ١٥٠ – ٢٠٠ هـ . وهو ما أشار إليه القشيري وابن الجوزي في قولهما عن لقب (الصوفية) بالجمع أنه (اشتهر قبل المائتين للهجرة) [٢] .

هذا عن زمن ظهور (الصوفية) كطائفة معروفة ، ولكن كيف كان (تصوفهم) في هذه المرحلة : مرحلة النشأة ؟وما هي أبرز معالم ذلك التصوف ؟ الجواب باختصار : إن التصوف في هذه المرحلة كان عبارة عن (الزهد المنهجي) مع تركيز واضح على الاتصاف بالأخلاق الحميدة ، والاجتهاد في علاج القلوب وتطهير الأرواح. يقول د . أبو العلا عفيفي (وفي أخريات القرن الثاني الهجري تحول الزهد إلى التصوف) [٣] ثم يصف علم (التصوف) في نشأته بأنه العلم (الذي يبحث في باطن الشريعة وتفهم أسرارها ، والنظر في العبادات وأثرها في النفوس وما يترتب عليها من أحوال نفسية وفوائد روحية) [٤] . ثم يقول: (ومجمل القول في هذا الدور الإنتقالي من أدوار التصوف أنه كان الاتصاف بالأخلاق الدينية وإدراك معاني العبادات ومغازيها البعيدة) [٥] . وفي أواخر هذه المرحلة بدأ الصوفية يفصلون القول في تجاربهم الروحية

---

(١) ماسنيون ، " التصوف " ، حيث ذكر أن صيغة الجمع (الصوفية) أول ما ظهرت سنة ١٩٩هـ

(٢) القشيري ، الرسالة القشيرية، ص٨ ، وابن الجوزي ، تلبيس إبليس، ص١٧٣ .

(٣) ،(٤) الثورة الروحية ، ص٩٠ .

(٥) المرجع ذاته، ص٩١ .

ومشاعرهم القلبية الربانية ، فنشأ الكلام في (الأحوال والمقامات)[١] حيث (رأى الشيوخ الأوائل أن يمركل واحد منهم بسلسلة من التهذيب والتربية ... وعليه أن يمارس رياضة روحية سباعية المراحل أو تساعيتها تسمى المقامات)[٢] .

وبدأت مصطلحات الصوفية الخاصة بالظهور والتداول بين تلك الطائفة ومن اتصل بها ، مثل مصطلحات : (الشيخ) (المريد) (السالك) (العارف) وهذه المصطلحات كثيرة الورود في كلام أئمة الطائفة في تلك المرحلة[٣] إضافة إلى ظهور مصطلحات : (الكشف) (الفناء) (البقاء) ، عند بعضهم ، لكن الغالب على أئمتهم في هذه المرحلة عدم اعتبارهم (للكشف والفناء) بل لم يكونوا يخبرون عن حقيقة شيء لو يؤمروا بالتكلم فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك[٤] .

ومن أبرز معالم التصوف في هذه المرحلة التزام أهله وخصوصا أئمتهم بضوابط الكتاب والسنة وتحكيمهم الشريعة على ما يرد عليهم من أحوال وخواطر فأقوال أئمة الصوفية التي تؤكد على هذه الميزة الهامة كثيرة جدا.

قول الجنيد (ت ٢٩٨هـ) : علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٥] قول أبي عثمان الحيري (ت٢٩٨ هـ) : من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه

---

(١) انظر : أبو العلا عفيفي، الثورة الروحية ، ص٩٩ حيث ذكر أن أول من تكلم في (الأحوال والمقامات) كان (ذو النون المصري) المتوفى سنة ٢٤٥هـ . وانظر ترجمته (أعني ذي النون المصري) في **البداية والنهاية** لابن كثير جـ١٠ ص٣٤٧ و**صفة الصفوة** لابن الجوزي جـ٢ ص٨٧٩ .

(٢) د.كامل الشيبي ، محاضرة مخطوطة بخط يده بعنوان (مناهج البحث عند الصوفية) أذن بتصويرها .

(٣) انظر مثلا : السراج ، **اللمع** ، ص ٥٦ـ٦٥ حيث كلام الأئمة عن العارف وانظر أيضا (السهروردي) **عوارف المعارف** ، باب في أداب المريد مع الشيخ ص٢٦٤ .

(٤) انظر **المقدمة**، ص٣٨٢ .

(٥)السراج، **اللمع**، ص١٤٤.

قولا وفعلا نطق بالبدعة ؛ قال الله تعالى : "وإن تطيعوه تهتدوا "[(١)] وقال سهل بن عبد الله التستري (ت٢٨٣هـ)[(٢)] : كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل.[(٣)] وقال أبو سليمان الداراني (ت٢٠٥هـ) : ربما تنكت الحقيقة في قلبي أربعين يوما فلا أذن لها أن تدخل قلبي إلا بشاهدين من الكتاب والسنة)[(٤)] .

المطلب الثاني

تطور التصوف

لم يتوقف التصوف الإسلامي عند الحد الذي أشرنا إليه في نهاية المطلب السابق . ذلك الحد الذي يمثل – فيما أرى – جوهر التصوف الإسلامي وصورته المثلى ، التي كان ينبغي للصوفية ألا يتعدوها كثيرا أو يزيدوا عليها نظريات مستوحاة من الثقافات الأخرى التي فيها الكثير مما يصادم أصول الإسلام . بدأ تطور (التصوف الإسلامي البسيط) مبكرا وسريعا ، وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أو ربما في أواخر النصف الأول منه ، حيث انتهى أمر ذلك التصوف الزهدي الأخلاقي البسيط (بتجمع الصوفية في كتلتين ... جعلت إحداهما نيسابور في إيران مثابتها واتخذت الثانية بغداد مركزا لها)[(٥)] .

---

(١) ٥٤ النور. وقول أبي عثمان ذكره السراج في اللمع، ص ١٤٤، وابن الجوزي في **صفة الصفوة**، ج٢، ص٧٦٠، وأبو عثمان الحيري هو سعيد بن اسماعيل بن سعيد منصور، أبو عثمان الواعظ، كان يقال إنه مجاب الدعوة، انظر ترجمته في: ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٢، ص ٧٥٩ - ٧٦١، وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١، ص١١٥.

(٢) هو سهل بن عبدالله بن يونس التستري، أبو محمد، أحد أئمة الصوفية، انظر ترجمته في : ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١، ص٧٤، وابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٢، ص٧٣٣.

(٣) السراج، اللمع، ص١٤٦.

(٤) السراج، اللمع، ص١٤٦، وابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٢، ص٨٣١.

(٥) الشيبي ، "نشأة التصوف الإسلامي و تطوره" ، مرجع سابق ص١٩٥ .

وبدأت كلتا المدرستين ببلورة نظريات جديدة في التصوف كان أشهرها نظرية (الفتوة) و نظرية (الملامة) في نيسابور [(١)] ، أما (الفتوة) فاسم أطلق في الأصل على مجموعة من الفضائل أخصها الكرم والشجاعة فلما دخلت أوساط الصوفية اكتسبت معاني الإيثار والتضحية وكف الأذى ... ويلخص هذا المذهب أشهر شيوخه أبو حفص النيسابوري (ت ٢٧٠هـ) [(٢)] في قوله: الفتوة عندي أداء الإنصاف وترك مطالبة الإنصاف أي أداء الواجب الشرعي والاجتماعي دون انتظار شكر من أحد [(٣)] . وأما الملامة فقد عبر عنها أبو حفص أيضا عندما عرف جماعته (الملامتية) بأنهم قوم (أظهروا للخلق قبائح ما هم فيه وكتموا عنهم محاسنهم فلامهم الخلق على ظواهرهم ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم) [(٤)] .

ورغم ما يظهر في هاتين النظريتين من المعاني الإسلامية كالإخلاص والإيثار والمحاسبة ونهي النفس عن الهوى ... ، إلا أن بعض الباحثين يؤكدون أن أصول هاتين النظريتين تسربت إلى تصوف نيسابور من الثقافات والديانات الفارسية والهندية [(٥)] .

أما تطور التصوف في مدرسة بغداد فيظهر في صياغة أستاذها الجنيد لبعض النظريات الصوفية الجديدة للتصوف البغدادي في صورة نظريات واضحة المعالم.

---

(١) أنظر: المرجع ذاته بنفس الصفحة ، وعفيفي ، الثورة الروحية، ص٩٦ .

(٢) هو عمرو بن سلم، من كبار صوفية نيسابور، الصالحين. كان الجنيد يثني عليه خيراً. وهو القائل: ما ظهرت حالة عالية إلا من ملازمة أصل صحيح. انظر ترجمته في: ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، ج٢،ص٧٦٨،٧٦٩.

(٣) أنظر: عفيفي، المرجع ذاته، بنفس الصفحة .

(٤) الشيبي،"نشأة التصوف الإسلامي وتطوره"، مرجع سابق، بنفس الصفحة .

(٥) أنظر الشيبي المرجع ذاته بنفس الصفحة ، وعفيفي،الثورة الروحية، ص٩٦.

وأول ما يلحظه الباحث في حركة الجنيد الصوفية: ثورته على اتجاه الحلاج المعاصر له، المخالف له في المنهج[١] (وذهب الجنيد أيضا إلى الثورة على دعاوي منحرفي الصوفية القائلة بإسقاط التكاليف)[٢] (وجهد الجنيد الفلسفي واضح في نظريته في الحرية التي ترتبط بالتوجد[٣] في العبودية : (فالصوفي حر إذا توحدت عبوديته لله، فإذا كنت له وحده عبدا كنت مما دونه حرا)[٤] وهو هنا يخالف التيار المنفصل الذي يزعم أن الحرية الصوفية هي التحرر من كل قيود العبودية، ...)[٥] .

(والجنيد هو أول من فلسف معنى الفقير الصوفي، لا بمعنى العدم في ملكية شئ، بل بمعنى الافتقار الذي هو عنده (تمام الغنى) (وقد سئل أيهما أتم : الاستغناء بالله، أم الافتقار الى الله عز وجل؟ فقال الافتقار الى الله عز وجل موجب الغنى بالله عز وجل، فإذا صح الافتقال الى الله كمل الغنى بالله تعالى،...)[٦] ومن الجدير بالذكر أيضا في مجال تطور التصوف وخروجه عن صورته الأولى البسيطة الصافية أنه قد تأثر بالتشيع – لا سيما في العراق مهد الشيعة ومعقلهم – في جوانب عديدة لعل أشهرها تولي الصوفية للإمام علي – رضي الله عنه – والسبعة الأولين من أبنائه من السلسلة الإثنا عشرية على الأقل[٧] باعتبار الإمام علي – رضي الله عنه – شيخهم الأكبر وزعيمهم الروحي[٨] وباعتباره والستة الأولين من أبنائه السلسلة

---

(١) انظر : عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية في الاسلام، ص١٩٠.

(٢) المرجع ذاته بنفس الصفحة.

(٣) هكذا في الأصل، وأظنه لو عبر بلفظ (التوحيد) بدل (التوحد) لكان انسب، والله أعلم.

(٤) نقلا عن اللمع، ص ٤٩.

(٥) عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية، ص١٩١.

(٦) المرجع ذاته، ص١٩٢.

(٧) الشيبي، نشأة التصوف الاسلامي وتطوره، مرجع سابق، ص١٩٩.

(٨) انظر:أبو نصر السراج، اللمع ص١٧٩.

الثابتة التي تأدى منها التصوف إلى معروف الكرخي (ت ٢٠٠هـ) ومنه إلى الطرق الصوفية جميعا قديمها وحديثها [١].

ثم إنه لا مفر من الاعتراف بأثر (المسيحية) في التصوف الإسلامي وتطوره فقد شغف الصوفية بشخصية المسيح (فما تكاد كتب التصوف تخلو من الاستشهاد بكلام المسيح) [٢].عليه السلام.

وهذا ليس بخطير بل الخطير دخول بعض العقائد (المسيحية) الباطلة في صلب فلسفة التصوف عند بعض مشاهير الصوفية، حيث ظهرت فكرة (حلول اللاهوت في الناسوت) بشكل صريح في شعر الحسين بن منصور الحلاج ت ٣٠٩ هـ [٣].

حيث يقول :

سبحان من أظهر ناسوكه	سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا لخلقه ظاهرا	في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه	كلحظة الحاجب بالحاجب [٤]

---

(١) أنظر: الشيبي "نشأة التصوف الإسلامي وتطوره"، مرجع سابق ص٢٠١ .وابن خلدون ، **المقدمة**، ص٣٨٦. وزكي مبارك ، **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق** جـ٢ ص٣٤.

(٢) **المرجع ذاته** جـ٢ ص٢٦ .

(٣)من مشاهير الصوفية أصحاب الفلسفات الضالة والشطحات المنكرة، مع أنه بدأ حياته عابدا زاهدا، يجاهد نفسه ويصابرها . والصوفية مختلفون في أمره: فمنهم من صحح حاله واعتبره عالما ربانيا! لكن أكثرهم وكبار أئمتهم أنفى أن يكون منهم وأنكر عليه فلسفته في الحلول ونحوها من شطحاته وزندقته، أنظر ترجمته في **البداية والنهاية**، ج١١، ص١٣٢.

(٤) أنظر عفيفي ، **الثورة الروحية**، ص٨٢ ، وقد نقل هذا الشعر عن الطواسين للحلاج نشرة ماسينون ص١٢٩، وانظر ترجمة الحلاج في **البداية والنهاية**، جـ١١ ص١٣٢.

وكذلك ظهرت فكرة شبيهة بعقيدة (التثليث) النصرانية عند محي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ) حيث قال في (فصوص الحكم) : "أعلم وفقك الله أن الأمر كله مبني في نفسه على الفردية ولها التثليث ...)[١] وقد نقل عنه د.أبو العلا عفيفي أنه قال شعرا:

تثلث محبوبي وقد كان واحدا كما صير الأقنام بالذات أقنما[٢]

هذا في المجال الفكري للتصوف ، أما في المجال التنظيمي للصوفية فقد تحول (تنظيم) الصوفية من البساطة ــ التي تمثلت في شيخ و مجموعة من المريدين ــ إلى التعقيد والتنظيم الجماعي الاجتهادي الذي ظهر في صورة (الطرق الصوفية) المحدثة[٣] (والطريقة الصوفية مصطلح يعني مجموعة من المريدين ينتمون إلى جماعة صوفية ذات تقاليد و أنظمة متفق عليها ، وشيخ قديم أو محدث تحمل اسمه وتتأسى به)[٤] . ومهما اختلفت الطرق في أشكالها و أزمانها ومواضعها فلن تخلو من العناصر التالية :

١ــ الاحتفال بدخول المريد في الطريقة بطقوس مرسومة . وقد يتطلب بعضها من المريد إمضاء وقت في الرياضات الشاقة قبل قبوله فيها .

٢ــ التزيي بزي خاص .

٣ــ الإكثار من الذكر الجماعي مع الاستعانة أحيانا ببعض آلات الإيقاع من دفوف ونحوها ، وكذا الحركات البدنية التي تشبه الرقص ،بدعوى حصول الوجد والتأثر الكبير بالذكر .

٤ــ دعوى بعض الخوارق التي تشبه الكرامات مثل: أكل الجمر ، و الدخول في النار ، وغرس السيوف في الأجساد دون ضرر ، وما إلى ذلك .

٥ــ احترام المريد للشيخ إلى درجة تقرب من التقديس ، وطاعته طاعة عمياء[٥] .

---

(١)عفيفي ص ٣٨، نقلا عن (فصوص الحكم) لابن عربي أول الفص الحادي عشر ص١١٥، من نشرة عفيفي للفصوص.

(٢) المرجع ذاته، ص ٨٤.

(٣) أنظر : الشيبي ،" نشأة التصوف الإسلامي وتطوره "، مرجع سابق ، ص٢٠٣ .

(٤) المرجع ذاته، بنفس الصفحة . (٥) انظر : المرجع ذاته، ص٢٠٣ ،٢٠٤ .

ومن المؤسف أن التصوف الإسلامي قد غلب عليه في عصوره المتأخرة الالتزام بتلك الطرق ، وقل – ولا أقول اختفى – في الصوفية المتأخرين واتباع التصوف الأصيل ، الذي أصله الأئمة المتقدمون ، وصاغوا منهجه في أسمى صورة .

واعتقد أن هذا الوضع المؤسف الذي وصل إليه التصوف ظهرفي أوضح صورة في زمن ابن القيم(٦٩١ - ٧٥١)هـ، واستمر على نفس النمط تقريبا الى عصرنا الحالي.

لذلك رأيت أنه لا بد من إفراد صورة الصوفية في عصر ابن القيم بمبحث مستقل؛ لنرى الصورة التي تطور إليها التصوف بعد ابتعاد الناس عن هدي الكتاب والسنة، وهدي الأئمة المتقدمين.

وهذا يسهل علينا فهم كثير من كلام ابن القيم الذي يبين فيه موقفه من التصوف والصوفية، وهو مقصود هذا البحث، وبالله التوفيق.

المطلب الثالث

الصوفية في عصر ابن قيم و موقفهم منه

أولا : الصوفية في عصر ابن القيم :

انتشر التصوف في عصر ابن القيم، و اختلفت طرق الصوفية و مناهجهم ، فكان منهم الصالحون و أهل الاستقامة ، كبعض الشيوخ المتعبدين في زواياهم[1] . و بعض الشيوخ الذين جمعوا بين الحديث و التصوف. كالشيخ المحدث صفي الدين محمود بن أبي بكر بن محمد الأرموي الصوفي،

---

(١) ذكر ابن كثير في، **البداية و النهاية**، تراجم لكثير من هؤلاء . منهم على سبيل المثال : أصحاب الشيخ سالم البرقي ، المتوفى سنة ٦٧٢هـ ، قال ابن كثير في ترجمته جـ١٣،ص٢٦٨ : "كان صالحا متعبدا يقصد للزيارة و التبرك فيها بدعائه ، و له اليوم أصحاب معروفون على طريقه" . و منهم أيضا (الشيخ الصالح إسرائيل بن علي بن حسين الخالدي) المتوفى سنة ٦٩٥هـ ، أنظر ترجمته :جـ١٣،ص٣٤٥ و منهم أيضا (الشيخ الصالح عبد الله بن أبي القاسم الحوراني . شيخ طائفتهم و إليه مرجع زاويتهم بحوران) ت سنة ٧٣٠هـ .أنظر ترجمته :جـ١٤ ص١٥١ . و ذكر تراجم غيرهم في مواضع متفرقة . أنظر جـ١٤، ص١٦٨، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٤ .

المتوفى سنة ٧٢٣هـ[١]. و أقل منه درجة من كان على طرف صالح من النحو و الحديث مع تصوفه و حسن معرفته[٢]. و من كبار صالحي الصوفية أيضا بعض الصوفية الذين صحبوا شيخ الإسلام ابن تيمية[٣].

و كان من صوفية هذا العصر أيضا من خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا، فتجدهم يحافظون على الصلاة و تلاوة القرآن ، لكنهم يجمعون مع ذلك بعض المخالفات الشرعية كحلق اللحى[٤] و حضور السماعات و التواجد فيها[٥].

---

(١) انظر ترجمته ، المرجع ذاته ،جـ ١٤ ،ص١٠٨ حيث قال عنه : "سمع الكثير ورحل وكتب الكثير وذيل على النهاية لابن الأثير".

(٢) ذكر ابن كثير مثل هذه الصفة للشيخ (العز حسن بن أحمد بن زفر) المتوفى سنة ٧٢٦هـ ، وأثنى عليه خيرا في ترجمته له ، أنظر المرجع ذاته ، جـ١٤،ص١٢٥ .

(٣) منهم الشيخ أبو العباس ،عماد الدين ، أحمد بن إبراهيم الواسطي ، المتوفى سنة ٧١١هـ ،وقد تقدمت ترجمته في شيوخ ابن القيم ، و منهم (الشيخ محمد بن عمر بن قوام) المتوفى سنة ٧١٨هـ بزاويته . ترجم له ابن كثير في البداية و النهاية، جـ١٤ ص٨٩،٩٠ ، وأثنى عليه كثيرا و وصفه بالناسك الكبير العارف و قال : "كان صحب ابن تيمية ، و كان ابن تيمية يحبه ، و كان فيمن صلى عليه ..." . و منهم أيضا (الشيخ علي المغربي) المتوفى سنة ٧٤٩هـ ترجم له ابن كثير في البداية و النهاية، ج١٤ ص٢٢٧ حيث ذكر أنه : (أحد أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية ... و كانت له عبادة و زهادة و ورع ، و كان يعاني التصوف) .

(٤) من هؤلاء الشيخ (ابن براق) و جماعته ، الذين ذكرهم ابن كثير ، المرجع ذاته جـ١٤ ص٤١ ، و وصفهم بأنهم(كلهم محلقي ذقونهم موفري شواربهم عكس ما وردت به السنة ...)لكنه ذكر أيضا أنهم كانوا لا يقطعون صلاة ، بل كانوا يجلدون من يضيع منهم صلاة واحدة أربعين جلدة .

(٥) ممن عرف بحضور السماعات و التواجد فيها : (الشيخ حسن بن علي) المتوفى سنة ٧٣٠هـ . أنظر : ابن كثير ، **البداية والنهاية**، جـ١٤، ص١٥١ ، حيث ذكر عنه أيضا أنه كان كثير التلاوة و الصلاة. و سيأتي موقف ابن القيم من هذه السماعات عند الحديث عن مزالق الصوفية عند ابن القيم لاحقا ، إن شاء الله .

أما الفريق الثاني ، وهو الأكثر شهرة في صوفية هذا العصر ، فأولئك أصحاب (الأحوال الشيطانية) المعادون للسنة و أهلها [١] ، الموالون للتتر أيام احتلالهم للشام [٢] ، المشتهرون بمؤاخاتهم للنساء و المردان [٣] .وقريب منهم الصوفية الاتحادية المنسوبون إلى ابن عربي و ابن سبعين [٤] .

و هؤلاء هم الذين قام ابن القيم ينكر عليهم و يحذر من انحرافاتهم ، و قد أطال جدالهم و بين ضلالهم في مواضع كثيرة من كتبه [٥] . رحمه الله .

و كان من دهاء بعضهم أن استطاع الوصول إلى مكانة رفيعة في

---

(١) من أولئك الصوفية الموالين للتتر ، المكرمين عندهم : (الشيخ صالح الأحمدي الرفاعي) القائل: (نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتر ، ليس تنفق عند الشرع) . المرجع ذاته ج١٤ ص٣٦ . و انظر ترجمته ــ و قد أشرت إليها قبل قليل ــ في المرجع ذاته جـ١٤ ص٤٧ .

(٢) أنظر المرجع ذاته جـ١٤ ص١١٥ . و ابن القيم، **روضة المحبين**، ص١٢٦، ١٢٧. و**إغاثة اللهفان**، جـ٢، ص١٣٣ . وسيأتي موقف ابن القيم منهم مفصلا في موضعه في الفصل الثالث من هذه الرسالة ، إن شاء الله.

(٣) منهم (أبو يعقوب المغربي،المقيم بالقدس بالمسجد الأقصى) المتوفى سنة ٦٩٨هـ ، ترجم له ابن كثير في **البداية والنهاية** ، جـ١٤، ص٥ حيث قال : "كان الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول فيه : هو على طريقة ابن عربي و ابن سبعين" . و كان منهم أيضا ــ أي من المنسوبين إلى ابن عربي و ابن سبعين ــ طوائف بالإسكندرية واجههم ابن تيمية عندما نفي إلى هناك و (شتت شملهم) ، كما قال ابن كثير، المرجع ذاته ، جـ١٤، ص٥٠، و منهم أيضا بل واشهرهم وأكثرهم عداوة لابن القيم و ابن تيمية : (الشيخ نصر المنبجي شيخ الجاشنكير) ، أنظر: ابن كثير، المرجع ذاته، جـ١٤، ص٣٧، حيث ذكر أن ابن تيمية كان يتكلم فيه و ينسبه إلى اعتقاد ابن عربي . ووصفه ابن كثير نفسه بالحلولي الاتحادي، المرجع ذاته، جـ١٤، ص٥١.

(٤) وقد سبق التعريف بابن عر بي. أما ابن سبعين فهو عبد الحق بن ابراهيم بن سبعين، قطب الدين، ابو محمد، صوفي متهم في عقيدته، حيث اعتبر كافرا لقوله: إن الله هو حقيقة الموجودات. وقوله بعدم ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم. ت ٦٦٩ هـ. انظر أحمد عطية الله، **القاموس الاسلامي**، ج٣، ص٢٣٧.

(٥) سيأتي موقف ابن القيم من هؤلاء و مزالقهم في الفصل الثالث من هذه الرسالة ، إن شاء الله .

الدولة[١] بحيث استطاع بجاهه أن ينال من علماء السنة ، حزب الله و رسوله ، أذى وإهانة و سجنا في محاولة فاشلة منهم لإسكات صوت الحق الذي ينكر عليهم ضلالاتهم و بدعهم و يبينها للناس[٢] .

و قبل أن ننتقل إلى موقف الصوفية من ابن القيم لا يفوتنا أن نذكر أن الصوفية قد حظيت في هذا العصر برعاية رسمية من الدولة من خلال منصب (مشيخة الشيوخ) ، حيث كان لمن يتولى هذا المنصب ــ حسبما فهمت ــ حق الإشراف على الصوفية ، و الالتقاء بهم ، وتوجيههم ، لذلك رأينا الصوفية يهتمون بهذا المنصب ، و يسألون السلطان أو نائبه تولية هذا المنصب لأسماء معينة من العلماء[٣] الذين كانوا ــ كما يبدو ــ يبدون مدارة و تفاهما مع الصوفية . و الله أعلم .

وقد استطاع الصوفية في بعض السنين أن يوصلوا أحد علمائهم[٤] إلى

---

(١) ذلك هو (الشيخ نصر المنبجي) سابق الذكر ، الذي سجن ابن تيمية باشارته ، كما قال ابن كثير ، المرجع ذاته جـ١٤ ، ص٤٦ ، حيث ذكر أن سجن ابن تيمية كان (بإشارة نصر المنبجي لوجاهته في الدولة ، فإنه كان قد استحوذ على عقل الجاشنكير الذي تسلطن فيما بعد ، وغيره من الدولة ، و السلطان مقهور معه) . وانظر قيام بعض الأمراء في صف الصوفية الاتحادية، المرجع ذاته، جـ١٤، ص١٧٧ .

(٢) أنظر : ابن كثير ، المرجع السابق ، جـ١٤ ص٣٤. حيث ذكر في معرض كلامه عن عداوتهم لابن تيمية أنهم إنما حسدوه و أبرزوا له العداوة لمحاربته للبدع (كذلك بكلامه بابن عربي و أتباعه) وأنهم (إنما أخذوه و حبسوه بالجاه).

(٣) من هؤلاء العلماء : صفي الدين الهندي ، و بدر الدين ابن جماعة ، كما مر في مبحث شيوخ ابن القيم ، من هذه الرسالة. و منهم أيضا (ابن صصري ، شرف الدين محمد بن إبراهيم) المتوفى سنة ٧١٧هـ الذي تولى هذا المنصب (بسؤال الصوفية و طلبهم له من نائب السلطنة) ذكر ذلك ابن كثير، في حوادث سنة ٧١٦هـ، المرجع ذاته، جـ١٤، ص٧٦ .

(٤) هو (مجد الدين الأقصرائي الصوفي) الذي تولى مشيخة الشيوخ على الصوفية بمصر سنة ٧٢٧هـ . انظر: ابن كثير ، المرجع ذاته ، جـ١٤، ص١٢٩ . وكان هذا الرجل قبل ذلك شيخ الخانقاة الذي افتتحه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥هـ المسمى بخانقاة سرياقوس . أنظر المرجع ذاته جـ١٤ ص١١٨ . وانظر أيضا ص١٥٤ حيث ذكر ابن كثير عن هذا الرجل أنه حج مع الركب المصري سنة ٧٣١هـ ، و هي السنة التي حج فيها مع الركب الشامي ابن كثير و ابن القيم و جماعة كبيرة جدا من الفقهاء و الفضلاء كما مر سابقا.

هذا المنصب، وما ذاك ـ فيما يظهر لي ـ إلا لثقلهم النسبي في المجتمع وقوة تأثيرهم في الدولة . والله أعلم .

ثانيا : موقف صوفية ذلك العصر من ابن قيم الجوزية :

يمكننا أن نلحظ لصوفية ذلك العصر موقفين متباينين من ابن قيم الجوزية و مدرسته ، مدرسة التزام الكتاب و السنة في الظاهر و الباطن .

الموقف الأول : موقف صالحي الصوفية ، وأهل الاستقامة منهم .

فهؤلاء ـ حسبما فهمت واستنتجت ـ كانوا على علاقة طيبة مع ابن القيم ينتفعون منه ومن كتبه التي أشار في بعضها إلى أنه موجه إلى الصوفية، كما هو موجه إلى غيرهم من الطوائف [١] . يؤكد هذه النتيجة أن عددا من الصوفية الصالحين كانوا من أصحاب ابن تيمية كما أشرت سابقا ، وكان ابن القيم أكبر أصحاب ابن تيمية ـ كما ذكرت في مطلب ملازمته لابن تيمية ـ والحكمة والمنطق يقولان : صاحب صاحبي صاحبي .

ومما يذكر هنا أن أحد كبار هؤلاء الأصحاب ـ وهو الشيخ عماد الدين أحمد ابن إبراهيم الواسطي ، المتقدم ذكره في شيوخ ابن القيم ـ قد بعث برسالة إلى أصحابه من الصوفية المصاحبين لابن تيمية ، يوصيهم فيها بشيخ الإسلام ابن تيمية ولزوم طريقته [٢] .

فهؤلاء نظن أن موقفهم من ابن القيم ـ الذي كان أكثر ميلا للتصوف ومداراة لأهله وتأولا لهم [٣] ـ نظن أن موقفهم منه كان كموقفهم من شيخه

---

(١) أنظر كتابه : **عدة الصابرين و ذخيرة الشاكرين**، حيث قال في مقدمته ، ص٩ : (فهو كتاب يصلح للملوك و الأمراء والأغنياء والفقراء والصوفية والفقهاء ، ينهض بالقاعد إلى المسير ، ويؤنس السائر في الطريق ، وينبه السالك إلى المقصود) .

(٢) أنظر تلك الرسالة في كتاب عبد الحفيظ المكي : **موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف و الصوفية**، ص ص١٨٠ـ١٨٦ . نقلا عن تلميذ ابن القيم : محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي : **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، طبعة مطبعة المدني بالقاهرة . ص١٩٢ .

(٣) سيأتي بيان لهذا في الفصلين الثالث و الرابع من هذه الرسالة ، مدعما بالأمثلة ، إن شاء الله . وانظر : عوض الله حجازي : **ابن القيم و موقفه من التفكير الإسلامي**، ص١٠ حيث وصف ابن القيم : بأنه (صوفي من جملة الصوفية) .

ابن تيمية : موقف المحبة و التقدير و حسن الصحبة . والله تعالى أعلم .

الموقف الثاني : موقف مبتدعة الصوفية و منحرفيهم وأتباع فلسفة وحدة الوجود

وهؤلاء لم يسع ابن القيم إلا أن يبين للناس ضلالهم وبدعهم وانحرافهم ، ويدلل على ذلك من الكتاب والسنة وكلام أئمة التصوف الكبار المتقدمين[(١)] ؛ لذلك كان موقفهم منه موقفا عدائيا واضحا . ويبدو أن بعض هؤلاء أو بعض المتأثرين بهم ، هم الذين سعوا بالوشاية بابن القيم عند السلطان لحبسه بسبب فتواه بتحريم شد الرحل إلى قبر الخليل، فقد سجن بسبب ذلك و طيف به على جمل مضروبا بالدرة ، كما أشرت إلى هذا سابقا. وقد أشار ابن القيم إلى أن أهل الشرك في زمانه ـ ويعني بهم الذين يعظمون المشايخ وأصحاب القبور[(٢)] إلى درجة التقديس ـ قد بغوا له الغوائل وناصبوه العداوة . فمن ذلك قوله: "وكثير منهم ـ بل أكثرهم ـ يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله . ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا ذكر الله وحده، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم ـ من المشايخ ـ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين......وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة"[(٣)] . ثم قال: "وإذا ذكرت الله وحده وجردت توحيده لحقته وحشة وضيق وحرج، ورماك بنقص الإلهية التي له ، وربما عاداك . رأينا و الله منهم هذا عيانا ، ورمونا بعداوتهم ، وبغوا لنا الغوائل ، والله مخزيهم في الدنيا و الأخرة . ولم تكن حجتهم إلا أن قالوا ، كما قال إخوانهم : عاب آلهتنا . فقال هؤلاء : تنقصتم مشايخنا وأبواب حوائجنا إلى الله"[(٤)] .

(١) كما سيأتي مفصلا في الفصلين الثالث والرابع من هذه الرسالة ، إن شاء الله .

(٢) هذا أمر مشهود عن أهل البدع والانحراف من الصوفية . أنظر : محمد المدخلي، حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة،ط بدون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٠، وعبد المنعم الجداوي، كنت قبوريا، ط وسنة بدون، نشر: هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة العربية السعودية،ص٩.

(٣) مدارج السالكين، ج١، ص٣٣٩ .

(٤) المرجع ذاته ، جـ١ ،ص٣٤٢ .

وهؤلاء بدل أن ينتفعوا بنصح ابن القيم لهم في فتاواه وكتبه ، ويأتمروا بالمعروف ، وينتهوا عن المنكر ، بدل ذلك حقدوا على ابن القيم وسعوا للوشاية به . مع أن ابن القيم أنصف الصوفية ، وأثنى على أئمتهم والصالحين منهم، وتأول لكثير منهم شطحات كبيرة . فليتهم أنصفوه كما أنصفهم .

المبحـــث الثـــالث

أبرز مناهج التصوف في الاسلام

مناهج التصوف ونظرياتـــه وفرقــه كثــيرة ، وفــي كــل منـــها مـــا يمـــيزه ليجعلـــه ـــ إذا شـــاء المصنـــف ـــ منـــهجا متمـــيزا ولكنـــه علـــى الرغـــم مـــن ذلـــك يمكننـــا أن نصنـــف تلـــك المنـــاهج والنظريـــات والفـــرق المتقدمــــة منــــها والمتــــأخرة تحــــت منــــهجين رئيســــين تتــــدرج فيــــهما الاجتــــهادات الصوفيــــة، الفرديــــة و الجماعيــــة مــــهما تبــــاعدت فــــي الزمـــان والمكـــان : المنـــــهج الأول : منــــــهج التصــــــوف الإســــــلامي الأصيل ، القـــائم علـــى الاســـتقامة ولـــزوم هـــدي الكتـــاب و الســـنة ، و المنـــهج الثـــاني : منهج الفلسفات الغريبـــة و البـــدع المحدثـــة ، ممـــا ليـــس لســـلف الصوفيـــة فيـــه كـــلام أو أثر وفيما يلي نبذة مجملـــة عـــن كـــل مـــن المنـــهجين :

المنــــــهج الأول :

منهج التصوف الإسلامي الأصيل

وهـــو المنـــهج الـــذي يقـــوم علـــى الاســـتقامة الشـــرعية ، ولـــزوم هـــدي الكتـــاب و الســـنة ، وهـــو المنـــهج الـــذي ســـار عليـــه أئمـــة التصـــوف المتقدمـــون فـــــي شـــــتى الأمصار الإســـــلامية ، ووصـــى كـــل منـــهم تلاميـــذه و أتباعـــه بـــه ، و حذرهـــم مـــن الانحـــراف عنـــه . وقـــد ذكرنـــا شـــيئا مـــن عباراتـــهم فـــي مبحـــث نشـــأة التصـــــوف الإسلامي فلا نعيدهـــــا هنـــا .

وقـــد ورث هـــذا المنـــهج وتحمـــس لـــه ودعـــا إليـــه الجيـــل الثـــاني مـــــن أئمـــــة التصوف الذيـــن اشـــتهروا بمؤلفاتـــهم فـــي هـــذا المجـــال ، تلـــك المؤلفـــات التـــي يـــرى فيها القارئ انتفاضة كبـــيرة فـــي وجـــه تيـــار التصـــوف المنحـــرف ، كمـــا هـــو واضـــح فـــي موضوعاتـــها وأســـلوب كاتبيـــها ، الذيـــن كـــان أولـــهم أبـــو نصـــر الســـــراج (ت ٣٧٨هــ) فـــــي كتابـــه (اللمـــع) ولـــم يتـــأخر عنـــه الكلابـــاذي (ت ٣٨٠هـــ) كثـــيرا في كتابه (التعـــرف لمذهـــب أهـــل التصـــوف) .

وجـــاء بعـــد هـــؤلاء فـــي التـــأليف فـــي التصـــــوف الأصيـــــل والتحذيـــــر مـــــن الانحـــراف عنـــه الســـلمي(ت٤١٢ هـــــ) الـــذي كتـــب (طبقـــات الصوفيـــة)أول كتـــاب مســـتقل فـــي موضوعـــه ، ، تـــلاه القشـــيري (ت ٤٦٥ هـــــ) فـــــي كتابـــــه الـــــهام الواضح في هــــذا المنـــهج : (الرســـالة القشـــيرية) .

ثم جاء بعد هؤلاء الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في كتابه الكبير الجامع بين الفقه والتصوف : (إحياء علوم الدين) الذي أثنى فيه على طريق الصوفية [١] ، وحذر فيه أيضا من بعض مزالقهم [٢] ،إذا جاز التعبير .ثم جاء بعده الشيخ عمر السهروردي (ت ٦٣٠ هـ) في كتابه النافع في هذا المجال المتمسك بهذا المنهج(عوارف المعارف) .

المنهج الثاني :

منهج التصوف المشوب بالفلسفات الغريبة و البدع المحدثة .

وقد أشرنا إلى هذا المنهج و أبرز معالمه وفلسفاته الغريبة المصادمة للعقيدة الإسلامية في الفقرات الأخيرة من كلامنا عن تطور التصوف الإسلامي .

أما البدع المحدثة فهي التي ظهرت في التصوف الإسلامي المتأخر المتمثل في الطرق الصوفية ذات الزي الخاص ، والشغف بالسماع والطرب ، وغير ذلك مما ذكرناه من خصائصها في أخر فقرة من كلامنا عن تطور التصوف . وكذلك ما ذكرناه عن أهل الانحراف و البدع من صوفية عصر ابن القيم في نهاية الفصل الأول من هذه الرسالة . وسيأتي مزيد من التوضيح لانحرافات أهل هذا المنهج ــ على اختلاف انحرافاتهم ــ في الفصل التالي ــ إن شاء الله ــ عند حديثنا عن مزالق التصوف في نظر ابن القيم .

---

(١) انظر :إحياء علوم الدين ، ج٣ ، ص٢٥، باب(بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف).

(٢) انظر المرجع ذاته ج٣ ص٤٢٦ ــ ٤٢٩ حيث بين أصناف المغترين من الصوفية وقال : (وما أغلب الغرور عليهم ، والمغترين منهم فرق كثيرة) وبدأ ببيانها .

الباب الثاني

موقف الإمام ابن القيم من التصوف والصوفية

ويشمل :

الفصل الأول : موقف الإمام ابن القيم من التصوف

الفصل الثاني : موقف ابن القيم من أبرز الشخصيات الصوفية

الباب الثاني

موقف ابن قيم الجوزية من التصوف والصوفية

تمـهيد

هـذا البـاب يشـمل فصليـن : موقـف ابـن القيـم مـن التصـوف، والفصـل الثاني: موقفه مـن الصوفيـة، وهـذان الفصـلان همـا لـب هـذه الرسـالة، وأهـم مـا فيها؛ فإن الفصلين السابقين قـد كتـب فيـهما مـن كتـب، وأطـال مـن أطـال، وقصـر من قصـر. وقـد حـاولت جـهدي فيـهما أن أربـط بينـهما وبيـن موضـوع الرسـالة، المتمثل فـي الفصليـن التـاليين، وحرصـت أيضـا أن أضـع فيـهما شـيئا ولـو قليـلا مما لم يكتب من قبـل فيمـا أعلـم. والله أعلـم.

وقد كـان هدفـي مـن ذلـك التقديـم و التمـهيد لموضـوع الرسـالة، المركـز فـي الفصلين التـاليين.

وأظننـي قـد اسـتطعت أن أوصـل للقـارئ الكريـم مـن فصلـي البـاب الأول – خصوصـا الفصـل الأول والمبحـث الأخـير مـن الفصـل الثـاني – أن ابـن القيـم قد اهتـم بـالتصوف و الصوفيـة ، وعـايش أربـاب هـذا الشـأن ، ومـال أهـل الخـير و الاستقامة منهم ، ونفـر مـن أهـل البـدع و الانحـراف و الفلسـفات الغريبـة .

ولم يقتصر ابـن القيـم علـى الاتصـال السـطحي بـأهل التصـوف وعلومـهم ، بـل تتلمذ فـي هـذا العلـم علـى الشـيخ أحمـد بـن إبراهيـم الواسـطي الصوفـي، وأخـذ كذلك شيئا مـن التصـوف ــ علمـا وحـالا ــ عـن غـيره مـن شـيوخه لاسـيما ابـن تيميـة.

إضافة إلى ذلك فقـد درس ابـن القيـم كتبـا كثـيرة مـن كتـب التصـوف بعنايـة ،و اسـتطاع الخـوض فـي معانيـها الدقيقـة وإشـاراتها الغامضـة،وفهمـها فـهما عميقـا واستطاع التمييز بين صحيحـها وسـقيمها . وقـد أشـرت إلـى هـذا كلـه فـي الفصـل الأول كما رأيـت .

وخلاصـة هـذا كلـه أن أبـن القيـم كـون موقفـه الخـاص الدقيـق الرائـع مـن التصوف والصوفيـة، وبينـه بـالتفصيل فـي كتبـه . لكـن ذلـك الموقـف كـان مفرقـا في كتبـه ،مختلطـا بغـيره مـن العلـوم و الفوائـد .فمـن هنـا يـأتي دوري فـي هـذا الباب بفصليـه، حيـث قمـت بجمـع مـا اسـتطعت مـن أقوالـه المتنـاثرة المتفرقـة ،

ورتبتها حسب مباحث هذين الفصلين؛ ليرى القارئ الكريم أمامه موقف ابن القيم من التصوف والصوفية في صورة مجتمعة شاملة وتفصيل منهجي واضح.

وقد أحببت قبل تناول مباحث الفصلين التاليين ــ والتي تعتبر جوهر هذه الرسالة، وتتضمن الإجابة على أبرز تساؤلات مشكلة البحث التي طرحتها في مقدمة الرسالة ــ أن أمهّد للقارئ الكريم بهذا التمهيد الذي لا بدّ منه، لأبين له فيه حقيقة ساطعة مفادها أن ابن القيم لمّا كوّن موقفه من التصوف والصوفية لم يكون ذلك الموقف من فراغ، ولا من نظرة سطحية، ولا من مواقف مسبقة، وإنما كوّن موقفه بناءً على أساسين متينين : الأول : علمه في التصوف، والثاني : ممارسته للتصوف العملي الصحيح ــ إذا جاز لنا التعبير ــ من خلال عبادته وأخلاقه.

وسأتناول كلاً من هذين الأساسين من خلال عرض كلام أكابر المترجمين؛ ففي معرفتها تبرز أهمية موقف ابن القيم من التصوف والصوفية؛ إذ هو موقف عالم كبير درس علم التصوف بدقة وعمق، وتحقق بالتصوف الصحيح في عبادته وأخلاقه.

وإنني لأرجو أن يكون في هذا درس لنا ــ معشر طلبة العلم ــ في بناء مواقفنا من المذاهب والأشخاص والأفكار، فلا نحدد موقفنا منها إلا بعد علم ودراسة ومعايشة لأحوالها ــ إن كانت تلك الأحوال ممكنة لنا ومقبولة شرعاً ــ والله المستعان والموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الأساس الأول : علمه في التصوف :

وُصِفَ ابن القيم على لسان كثير من مترجميه بالعارف[1]. وهو مصطلح صوفي معروف ، لا يطلق إلا على من بلغ درجة معينة عندهم في

---

(١) وصفه بهذا الوصف كل من : ابن رجب في **ذيل طبقات الحنابلة** ، ج٢ ، ص٣٦٨ . وابن مفلح في **المقصد الأرشد**، ج٢ ، ص٣٨٤ والداوودي في **طبقات المفسرين** ص٩٤ . والنعيمي في الدارس في تاريخ المدارس، ج٢ ، ص٩٠ حيث قال : (وكان عارفاً) .

بمكانته في مجال التصوف علماً وحالاً ، وإن لم ينتم ابن القيم إلى طريقة العلم والحال[١] . ولم يصف المترجمون ابن القيم بهذا الوصف إلا لمعرفتهم صوفية .

٢. قال ابن رجب[٢] عنه :" كان عالماً بعلم السلوك ، وكلام أهل التصوف ، وإشاراتهم ، ودقائقهم . له في كل فنٍّ من هذه الفنون اليد الطولى".

ثم قال[٣] : " وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن الكريم بالتدبر والتفكر ، ففتح عليه من ذلك كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف ، والدخول في غوامضهم ، وتصانيفه ممتلئة بذلك " .

ومعروفٌ أن علم التصوف علم ذوقي وجداني ، ولذلك فإن ابن القيم – كما بين ابن رجب – لم يتكلم في التصوف ارتجالاً ، أو نظرياً سطحياً ، بل جرب وعرف ، وتحقق بالمواجيد الصحيحة ، والأذواق السامية ، ثم تكلم في هذا العلم وخاض في غوامضه بتمكنٍ ودقةٍ وعمقٍ قل مثيله عند غيره. وهذا ما سيظهر لنا من خلال الأساس الثاني (عبادته وأخلاقه).

الأساس الثاني : عبادته وأخلاقه (تصوفه العملي) :

تميز ابن القيم بكثرة العبادة وحسن الخلق حتى أثنى عليه المترجمون كثيراً في هذا الجانب، وانك لتشعر وأنت تقرأ مقولاتهم أن حال ابن القيم كان أشبه ما يكون في هذا الجانب بحال أئمة الصوفية ومشاهيرهم ذوي الهمة العالية والعبادة وتصفية القلب.

---

(١) نقل د.أنور أبو خزام عن الهجويري قوله : (يسمون العلم المقرون بالمعاملة والحال -وهو العلم الذي يعبر عن أحوالهم -بالمعرفة، ويسمون العالم به عارفا. أنظر : معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٦٥ .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٣٦٨ .

(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٩ .

فمن ذلك قول ابن رجب مبيناً تحقق ابن قيم بالأذواق والمواجيد الصحيحة: (وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، ... ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله والانكسار له والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك... وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر؛ ففتح عليه من ذلك خير كثير وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك)[1] .

وهذا يبين لنا أن ابن القيم لم يتكلم في التصوف عن مجرد العلم النظري بل تحقق بالأحوال الصوفية وعرفها ذوقاً ووجداناً ولذلك استطاع الخوض في دقائق هذا العلم بتمكن ودقة وعمق قلّ مثيلها عند غيره .

وقال ابن كثير:" كان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد . وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه، ولا أعرف في زماننا أكثر عبادةً منه، وكانت له طريقة في الصلاة: يطيلها جداً، ويمدّ ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله... وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة . سامحه الله ورحمه "[2] .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة، ج٢، ص٣٦٩ .

(٢) البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٣٤ .

الفصل الأول

موقف الإمام ابن القيم من التصوف

ويشمل

المبحث الأول : أصول التصوف الإسلامي عن ابن القيم.

المبحث الثاني : منازل التصوف عند ابن القيم.

المبحث الثالث : أهم مزالق التصوف في نظر ابن القيم.

الفصل الأول

موقف ابن قيم الجوزية من التصوف

المبحث الأول

أصول التصوف الإسلامي عند ابن القيم

كان لتربية ابن القيم السلفية العلمية الإيمانية أثر كبير في معرفته لأصول التصوف الإسلامي الصحيح ، بل إن نشأته وحياته في ظل الكتاب والسنة والعبادة الصحيحة ، وقبل ذلك العناية الإلهية : أورثت له أحوالا ومواجيد[1] وأذواقا[2] صحيحة كتلك التي قرأ عنها عند الصوفية فعرف - رحمه الله - هذه الأصول، أصول التصوف الإسلامي، علما، وتحقق بها حالا.

وإذا ما استقصينا كلام ابن القيم الدال على أصول التصوف فإنه يمكننا تحديد أصول التصوف الصحيح عنده في خمسة أصول هي : القرآن الكريم، السنة النبوية الشريفة، تحكيم العلم على الحال ، العبادة ،و الهداية الإلهية .

وسأتناول فيما يلي كل أصل من هذه الأصول في مطلب خاص أبيّن فيه موقف ابن القيم.

---

(١)قال القشيري : المواجيد ثمرات الأوراد فكل من ازدادت وظائفه ازدادت من الله تعالى لطائفه. أنظر : **الرسالة القشيرية**، ص٣٤، ويعني بذلك ما يجد المرء في قلبه من حلاوة الإيمان بكثرة الذكر والقيام بالوظائف الشرعية، وفي هذا المعنى قال السراج: الوجد مصادفة القلوب لصفاء ذكر كان عنه مفقودا، انظر اللمع، ص٤١٨.

(٢)الأذواق جمع ذوق والذوق في معرفة الله عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل، انظر : أنور أبو خزام، **معجم المصطلحات الصوفية**، ص٨٧، وقال القشيري : ومن جملة ما يجري في كلامهم [أي الصوفية] الذوق والشرب، ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي، ونتائج الكشوفات وبوادر الواردات. وأول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الري، فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني، ووفاء منازلاتهم يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم يقتضي لهم الري، انظر الرسالة القشيرية، ص٣٩.

المطلـــب الأول

الأصل الأول:القرآن الكريم

القـــرآن الكريـــم هـــو الأصـــل الأول عنـــد ابـــن القيـــم فـــي التصـــوف ، بجانبيـــه العملي والعلمي، كما هـــو الأصـــل الأول عنـــده فـــي غـــير هـــذا المجـــال : فـــي العقيـــدة ، والأصـــول ، و الفقـــه، و التفســـير [١] ...الـــخ . فـــهو المقـــدَّم المحكَّـــم علـــى غـــــيره ، وما عداه فتابع لـــه محكـــوم عليـــه.

ولأنني أتحـــدث عـــن التصـــوف – وهـــو علـــم ذوقـــي – ســـأبدأ ببيـــان هـــذا الأصـــل عند ابن القيم من حيث الحال ثم بيانــــه عنـــده مـــن حيـــث العلـــم .

فمن حيث الحـــال : نجـــد ابـــن القيـــم يبيـــن لنـــا قـــولاً وفعـــلاً – أن القـــرآن الكريـــم هـــو أصـــل الأذواق و المواجيـــد الصحيحـــة والأحـــوال الشـــــريفة ؛ لمـــــن يتدبـــــره و يتفكرُ في آياته ، ويتلــــوه حـــق تلاوتـــه .

وابن رجـــب الحنبلـــي، تلميـــذ ابـــن القيـــم، يبيـــن لنـــا هـــذا بوضـــوح حيـــث يقـــول عـــن شـــيخه ابـــن القيـــم: "وكـــان فـــي مـــدة حبســـه مشـــتغلاً بـــالقرآن الكريـــم بـــالتدبر والتفكر؛ ففتح عليـــه مـــن ذلـــك خـــير كثـــير، وحصـــل لـــه جـــانب عظيـــم مـــن الأذواق والمواجيـــد الصحيحـــــة" [٢] .

وإنني أدعـــو القـــارئ الكريـــم إلـــى إعـــادة قـــراءة هـــذه العبـــارة والتـــأمل فيـــها ، ليعلم أن عبارات ابن القيـــم التـــي ســـأوردها تاليـــاً قـــد خرجـــت مـــن قلـــب متحقـــق ، لا من لسان مدع ، ومن صـــــاحب حـــال وعلـــم ، قـــد جمـــع بيـــن القـــول والعمـــل، لا مـــن صاحب كلام مجـــرد، لـــم يـــذق حقيقـــة مـــا يتكلـــم بـــه. كحـــال الكـــاتب المقصـــر. والله المســـتعان .

---

(١) انظـــر : عبـــد المنعـــم الهاشـــمي ، مـــن أعـــلام الســـلف، ص ٢٤،٢٥ .

(٢) ذيـــل طبقـــات الحنابلـــــة، ج٢، ص٣٦٨.

وقال في موضع آخر بعد أن ذكر بعض المقامات والأحوال وكيف يثمر كل منها الآخر : "وملاك ذلك كله أمران : أحدهما أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة ، ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها وفهم ما يراد منه وما نزل لأجله وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته وتنزلها على داء قلبك .

فهذه طريق مختصرة قريبة سهلة موصلة إلى الرفيق الأعلى .

آمنة لا يلحق سالكها خوف ولا عطب ولا جوع ولا عطش ، ولا فيها آفة من آفات سائر الطرق ألبته . وعليها من الله حارس وحافظ يكلأ السالكين فيها ويحميهم ، ويدفع عنهم ، ولا يعرف قدر هذه الطريق إلا من عرف طرق الناس وغوائلها وآفاتها وقطاعها . والله المستعان "[١]

هذه بعض عباراته – رحمه الله – في اعتباره القرآن الكريم الأصل الأول في التصوف من حيث الحال ، أعني توكيده : أن الأحوال الصحيحة والأذواق والمواجيد المرضيّة إنما يثمرها : العكوف على القرآن الكريم : تلاوة وتدبرا وعملا .

وهذه الحال الشريفة التي عَبّر عنها ابن القيم في عباراته السابقة – أعنى حال العكوف على القرآن الكريم وتنسم الأذواق الإيمانية الصحيحة في ظلاله– ليست مقتصرة على ابن القيم ، بل هي الحال التي كان يحياها النبي صلى الله عليه وسلم أولاً، وأصحابه من بعده، والتابعون لهم بإحسان جيلاً بعد جيل، حتى جاء ابن القيم وجدد هذا المنهج القويم ونادى به ، ودعا إليه ، وعاش في ظلاله . وتتابع الصالحون بعد ابن القيم يسيرون على هذا المنهج ، مقتدين بمن سبقهم مستجيبين لهذه الدعوة حتى عصرنا هذا، حيث كان هذا الحال حال أئمة الدعوة الإسلامية في مطلع القرن الماضي ، فعلى سبيل المثال يذكر عن أحد أكابرهم –وهو الإمام حسن البنا[٢]– أنه كان ملازماً لتلاوة القرآن الكريم، وقد دعا إلى العمل به وتحكيمه والجهاد في

---

(١) مدارج السالكين، ج٢، ص٢٨ .

(٢)أنظر ترجمته في مقدمة، مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، طبعة درا التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة (٨ ميدان السيدة زينب) (طبعة : بدون) سنة ١٩٩٢م .

سبيله، حتى قدم روحه ثمنا لذلك رحمه الله[١] .

يقول الإمام البنا رحمه الله : "والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام ، ... "[٢] ثم قال : "وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده"[٣] .

وأقرب عبارة معاصرة وجدتها لعبارة ابن القيم كانت عبارة مفسر القرآن الكريم ، الفريد المتميز ، الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله ـ في مقدمة تفسيره (في ظلال القرآن) حيث يقول : "الحياة في ظلال القرآن نعمة ، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها،نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه. والحمد لله .. لقد من علي بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان وذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي . ذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه"[٤] .

ولنعد لابن القيم ، فقد تكلمت عن كون القرآن الكريم الأصل الأول للتصوف عنده من حيث الحال ، وأبين الآن موقفه في جعل القرآن الكريم الأصل الأول للتصوف من حيث العلم ، أعني كلامه النظري عن التصوف ، وإن شئت فقل : التأليف في التصوف .

لقد كتب ابن القيم في التصوف ـ وإن لم يسم كلامه ذلك تصوفا أو تأليفا في التصوف ـ كما أشرت في المطلب الخاص بمؤلفاته ، وقد تميزت كتابته في هذا المجال ـ كما هي عنده في المجالات الأخرى ـ بتقديم الدليل من القرآن الكريم أولا كأصل وحجة لما هو بصدد الكلام عنه من قضايا التصوف ، سواء في أصول التصوف أو مقاماته، أو في مزالق الصوفية وأخطائهم ومواضع الزلل في طريقهم .

---

(١)انظر : محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، دار القلم، ط٢، دمشق، ١٩٩٦م ص٧.

(٢)،(٣) مجموعة الرسائل ، ص٣٥٦ .

(٤) في ظلال القرآن ، جـ١ ، ص١١ ، طبعة دار الشروق ، القاهرة بيروت ، ط١٧ ، ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

وساعرض فيما يلي أمثلة من كلامه تشهد بما ذكرت ، وقد أخذتها من مواضع متفرقة من أكثر من كتاب له ، حتى يعلم القارئ الكريم أن ذلك كان منهجا واضحا مطردا عند ابن القيم ، ينتظم تأليفه كله ــ أو جله على الأقل ــ في هذا الميدان .

فعندما يتكلم ابن القيم عن أصول التصوف الصحيح تجده يقدم الدليل من القرآن الكريم على ما يقول ، فالأصل الأول للتصوف الصحيح هو القرآن الكريم ، كما ذكرنا ، فها هو ابن القيم يدعو إلى الانتفاع بالقرآن الكريم ، ويبين شروط هذا الانتفاع ثم يعطي دليلا من القرآن الكريم يؤيد ما قال ولنستمع إلى عبارته حيث يقول :"إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ، قال تعالى : " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. "[١].[٢]

ويبين ابن القيم رحمه الله أن طرق معرفة الله تعالى ــ ومعرفة الله غاية من غايات التصوف[٣] ــ قد بينها القرآن الكريم . يقول : "الرب تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين : أحدهما : النظر في مفعولاته . والثاني : التفكر في آياته وتدبرها ، فتلك آياته المشهودة ، وهذه آياته المسموعة والمفهومة .

فالنوع الأول كقوله : " إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس "[٤] إلى آخرها ، وقوله : "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب"[٥]. وهو كثير في القرآن .

---

(١) ق، ٣٧.

(٢) الفوائد، ص٥ .

(٣) أنظر عفيفي ، الثورة الروحية، ص٩٩.

(٤) البقرة، ٦٤.

(٥) آل عمران، ١٩٠.

والثـــاني : كقولـــه : " أفـــلا يتدبـــرون القـــرآن "[١]. وقولـــه : " أفلـــم يدبـــروا القـــــول"[٢]، وقوله : " كتاب انزلناه إليـــك مبـــارك ليدبـــروا آياتـــه"[٣]. وهـــو كثـــير أيضـــا" [٤] .

وعندمـــا شـــرح ابـــن القيـــم بتفصيـــل وإســـهاب كتـــــاب (منـــــازل الســـــائرين) للهروي، الذي تحـــدث فيـــه عـــن عـــدد كبـــير مـــن منـــازل الســـير إلـــى الله تعـــالى ، أو إن شـــئت فقـــل : الأحـــوال [٥] والمقامـــات فـــي طريـــق الصوفـــي إلـــــى الله، وجدنـــــاه ــ أولا ــ يعـــرض بعـــض الآيـــات القرآنيـــة الكريمـــة التـــي تضمنـــت ذكـــر المنزلـــــة التي يتحدث عنها . وإليـــك أمثلـــة مـــن مواضـــع متفرقـــة مـــن الأجـــزاء الثلاثـــة لكتابـــه (مـــدارج الســـالكين) :

ففي الجزء الأول قـــال فـــي مطلـــع كلامـــه عـــن منزلـــة " الإنابـــة ": "وقـــد أمـــر الله تعـــالى بـــها فـــي كتابـــه ، وأثنـــى علـــى خليلـــه بـــها ، فقـــال : " وأنيبـــــوا إلـــــى ربكـــم"[٦]، وقـــال : " إن إبراهيـــم لحليـــم أواه منيـــب "[٧] وأخـــبر أن آياتـــه إنمـــا يتعبـــــد بها ويتذكر أهـــل الإنابـــة . فقـــال : " أفلـــم ينظـــروا إلـــى الســـماء فوقـــهم كيـــف بنيناهـــا وزيناها "[٨] إلـــى أن قـــال : " تبصـــرة وذكـــرى لكـــل عبـــد منيـــب "[٩]. وقـــال تعـــالى : "هـــو الـــذي يريكـــم آياتـــه ويـــنزل لكـــم مـــن الســـماء رزقـــا ومـــا يتذكـــــر إلا مـــــن ينيــــب"[١٠]"[١١]

---

(١) النســـــاء، ٨٢.

(٢) المؤمنــــــون، ٦٨.

(٣) ص، ٢٩.

(٧)الفوائـــــــد، ص ص٢٠ ــ ٢١ .

(٥) الأحـــوال هـــي المواهـــب الفائضـــة علـــى العبـــد مـــن ربـــه، إمـــا واردة عليـــه ميراثـــــا للعمـــــل الصالح المزكـــي للنفـــس المصفـــي للقلـــب، وإمـــا نازلـــة مـــن الحـــق تعـــالى امتنانـــا محضـــا، انظـــر : أنور أبـــو خـــزام : **معجـــم المصطلحـــات الصوفيـــة**، ص٣٩.

(٦) الزمـــــر، ٥٤.

(٧) هـــود، ٧٥.

(٨) ق، ٦.

(٩) ق،٨.

(١٠) غـــــافر، ١٣.

(١١) ص٤٣٣ ، ٤٣٤.

وفي الجزء الثاني من(المدارج) قال: "ومن منازل" إياك نعبد وإياك نستعين"منزلة (الرجاء). قال الله تعالى : " أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه"[١] فابتغاء الوسيلة إليه : وطلب القرب منه بالعبودية والمحبة . فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه : الحب والخوف والرجاء . قال تعالى : " من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت"[٢] وقال : " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا"[٣]، وقال تعالى : "أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم"[٤] "[٥] .

ولأن هذه المنزلة "منزلة الرجاء" قد ذكرت في القرآن الكريم –حيث بين أنها من منازل الأنبياء والصالحين–؛ لذلك خالف ابن القيم (الهروي) في قوله : "الرجاء أضعف منازل المريدين ...إلى آخر كلامه " [٦] . فقال : "فأما قوله : "الرجاء أضعف منازل المريدين ... " فليس كذلك ، بل هو من أجل منازلهم وأعلاها وأشرفها . وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله . وقد مدح الله تعالى أهله ،وأثنى عليهم . فقال : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا"[٧] "[٨] .

وقد ذكر (الهروي) في منازله "منزلة الحزن" [٩] ، فأتى إبن القيم عليها في شرحه لكلام الهروي ونفى أن تكون من المنازل المطلوبة ، لأن (الحزن) لم يأت في القرآن إلا منهيا عنه أو منفيا . فقال : "و من منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" منزلة (الحزن) .

---

(١) الاسراء، ٥٧.

(٢) العنكبوت، ٥.

(٣) الكهف، ١١١.

(٤) البقرة، ٢١٨.

(٨)مدارج السالكين : جـ٢ ص٣٥ .

(٦) انظر : مدارج السالكين : جـ٢ ص٣٧، (سيأتي فيما بعد باسم"مدارج"للإختصار) .

(٧) الأحزاب، ٢١.

(٨) انظر : مدارج جـ٢ ص٤١ .

(٩) أنظر مدارج ، جـ٢ ص٥٠٨ وما بعدها .

وليست من المنازل المطلوبة ولا المأمور بنزولها وإن كان لا بد للسالك من نزولها . ولم يأت (الحزن) في القرآن إلا منهيا عنه أو منفيا .

فالمنهي عنه : كقوله تعالى : " ولا تهنوا ولا تحزنوا"[١]، وقوله : " ولا تحزن عليهم"[٢] وقوله : " لا تحزن إن الله معنا"[٣]. والمنفي كقوله : " فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون "[٤].

وسر ذلك أن (الحزن) موقف غير مسير ، ولا مصلحة فيه للقلب . وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره ، ويوقفه عن سلوكه . قال الله تعالى : " إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا"[٥] ولكن نزول منزلته ضروري بحسب الواقع . ولهذا يقول أهل الجنة إذا دخلوها : " الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن "[٦]، فهذا يدل على أنهم كان يصيبهم في الدنيا الحزن ، كما يصيبهم سائر المصائب التي تجري عليهم بغير اختيارهم .

وأما قوله تعالى : " ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون"[٧] فلم يمدحوا على نفس الحزن وإنما مدحوا على ما دل عليه الحزن من قوة إيمانهم ، ... "[٨] .

ثم قال: "وأما قوله تعالى عن نبيه إسرائيل : " وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم"[٩] فهو إخبار عن حاله بفقد ولده وحبيبه وأنه ابتلاه بذلك كما ابتلاه بالتفريق بينه وبينه .

(١) آل عمران، ١٣٩.

(٢) النحل، ١٢٧.

(٣) التوبة، ٤٠.

(٤) البقرة، ٣٨.

(٥) المجادلة، ١٠.

(٦) فاطر، ٣٤.

(٧) التوبة، ٩٢.

(٨) مدارج جـ٢ ص٥٠٥ وما بعدها.

(٩) يوسف، ٨٤.

وأجمع أرباب السلوك على أن حزن الدنيا غير محمود إلا أبو عثمان الحيري [(١)] ، فإنه قال : الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة للمؤمن . ... قال : لأنه إن لم يوجب تخصيصا فإنه يوجب تمحيصا .

فيقال : لا ريب أنه محنة وبلاء من الله ، بمنزلة المرض والهم والغم . وأما أنه من منازل الطريق : فلا . والله سبحانه أعلم" [(٢)] .

وقد لا يسلم لابن القيم رأيه في هذه المسألة، ولكن الشاهد الذي لأجله أوردت كلامه في هذا الموضع : استشهاده بالقرآن الكريم للتدليل على صحة رأيه، وهو واضح كما رأيت، وسأعود لمناقشة رأيه في هذه المسألة في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله.

وفي الجزء الثالث من (المدارج) ينكر ابن القيم على (الهروي) استعماله مصطلح (السكر) في منازله.حيث عقد بابا خاصا باسم (باب السكر) وقال: "وهذا من مقامات المحبين خاصة" [(٣)] .

وإنما أنكر ابن القيم هذا المصطلح واستعماله في التصوف لأن معناه الذي يريدون لم يعبر عنه القرآن ولا السنة بهذا اللفظ . يقول ابن القيم شارحا تعريف الهروي للسكر : "قوله " يشار به إلى سقوط التمالك " يعني : عدم الصبر ، تقول : ما تمالكت أن أفعل كذا ، أي ما قدرت أن أصبر عنه . فكأنه قال : هو اسم لقوة الطرب الذي لا يدفعه الصبر .

و هذا المعنى لم يعبر عنه في القرآن ولا في السنة ، ولا العارفون من السلف بالسكر أصلا . وإنما ذلك من اصطلاح المتأخرين . وهو بئس الاصطلاح ؛ فإن لفظ (السكر) و(المسكر) من الألفاظ المذمومة شرعا وعقلا. وعامة ما يستعمل في السكر المذموم الذي يمقته الله ورسوله . قال الله تعالى: "يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى "[(٤)].

---

(١) أبو عثمان الحيري هو سعيد بن إسماعيل، النيسابوري، الواعظ، كان يقال : إنه مجاب الدعوة، وهو معدود في أئمة الصوفية، انظر ابن الجوزي : صفة الصفوة، ج٢، ص٧٥٩-٧٦١

(٢) مدارج، ج٢، ص٥٠٧.

(٣) انظر مدارج، جـ٣ ص٣٠٤ وما بعدها .

(٤) النساء، ٤٣،

وعبر به سبحانه عن الهول الشديد الذي يحصل للناس عند قيام الساعة. فقال تعالى : " وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد"[١]. ويقال : فلان أسكره حب الدنيا . وكذلك يستعمل في سكر الهوى المذموم

. فأين أطلق الله سبحانه، أو رسوله، أو الصحابة، أو أئمة الطريق المتقدمون على هذا المعنى الشريف ـ الذي هو من أشرف أحوال محبيه وعابديه ـ اسم (السكر) المستعمل في سكر الخمر وسكر الفواحش ؟ كما قال عن قوم لوط : " لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون"[٢] فوصف بالسكر أرباب الفواحش وأرباب الشراب المسكر فلا يليق استعماله في أشرف الأحوال والمقامات . ...)[٣].

ومما يظهر عناية ابن القيم بالقرآن الكريم في هذا المجال أنه بعدما شرح كلام (الهروي) في (باب التوحيد) بدأ بشرح قوله تعالى:"شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم ..."[٤] ففصل وأسهب كثيرا في تفسيرها حتى بلغ كلامه في تفسير الآية وما تضمنته من فوائد حوالي تسعة وعشرين صفحة قال في آخرها : "فهذا بعض ما تضمنته هذه الآية العظيمة من أسرار التوحيد والمعارف .

ولا تستطل الكلام عليها فإنه أهم من الكلام على كلام صاحب المنازل"[٥] .

---

(١) الحج، ٢.

(٢) الحج، ٧٢.

(٣) أنظر مدارج جـ٣ ص٣٠٥ وما بعدها، وقارن ذلك بما فصله ابن تيمية في نقد هذا المصطلح في كتابه (الاستقامة)، تحقيق محمد رشاد سالم، ج٢، ط٢، مؤسسة قرطبة،ص١٤٢-١٩٨.

(٤) آل عمران، ١٨.

(٥)مدارج ج٣ص٤٧٦.

وفي كتابه (عدة الصابرين) الذي خصصه لتفصيل القول في (الصبر) الذي هو أحد مقامات التصوف : عقد بابا خاصا بعنوان : "في ذكر ما ورد في الصبر من نصوص الكتاب العزيز" . قال فيه: " قال الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ : " ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن الكريم في تسعين موضعا " ونحن نذكر الأنواع التي سيق فيها الصبر وهي عدة أنواع وذكر منها اثنين وعشرين نوعا من الخطاب القرآني ، أورد في كل منها آية قرآنية كريمة أو أكثر مع تعقيبه اللطيف في مواضعه المناسبة وفيما يلي نقل لهذه الأنواع مع حذف ما من شأنه التطويل، قال : ابن القيم في عدة الصابرين ص٧٤ :

(ونحن نذكر الأنواع التي سيق فيها الصبر وهي عدة أنواع :

أحدها : الأمر به، كقوله "واصبر وما صبرك إلا بالله:"[١].

الثاني : النهي عما يضاده، كقوله "ولا تستعجل لهم"[٢] ، وبالجملة فكل ما نهي عنه فإنه يضاد الصبر المأمور به.

الثالث : تعليق الفلاح به، كقوله : "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"[٣].

الرابع : الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره، كقوله : "أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا"[٤] وقوله : "إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب"[٥].

الخامس : تعليق الإمامة في الدين به وباليقين، قال الله تعالى : "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون"[٦] فالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

السادس : ظفرهم بمعية الله سبحانه لهم، قال تعالى : "إن الله مع الصابرين"[٧].

---

(١) النحل، ١٢٧.

(٢) الأحقاف، ٣٥.

(٣) آل عمران، ٢٠٠.

(٤) القصص، ٥٤.

(٥) الزمر، ١٠.

(٦) السجدة، ٢٤.

(٧) البقرة، ١٥٣.

السابع : أنه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم، وهي الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، قال تعالى : "وبشر الصابرين الذي إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون"[١].

الثامن : أنه سبحانه جعل الصبر عونا وعدة وأمر بالاستعانة به، فقال : "استعينوا بالصبر والصلاة"[٢]. فمن لا صبر له لا عون له.

التاسع : أنه سبحانه علق النصر بالصبر والتقوى، فقال تعالى : "بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين"[٣]. لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم "واعلم أن النصر مع الصبر".

العاشر : أنه سبحانه جعل الصبر والتقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره فما استجن العبد من ذلك جنة أعظم منهما، قال تعالى : "وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا"[٤].

الحادي عشر : أنه سبحانه أخبر أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة بصبرهم، كما قال : "والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار"[٥].

الثاني عشر : أنه سبحانه أباح لهم أن يعاقبوا بمثل ما عوقبوا به، ثم أقسم قسما مؤكدا غاية التأكيد أن صبرهم خير لهم فقال : "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين"[٦].

الثالث عشر : أنه سبحانه رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال : "إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير"[٧].

---

(١) البقرة، ١٥٥-١٥٧.

(٢) البقرة، ٤٥.

(٣) آل عمران، ١٢٥.

(٤) آل عمران، ١٢٠.

(٥) الرعد، ٢٤.

(٦) النحل ١٢٦.

(٧) هود، ١١.

الرابع عشر : أنه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور، ...، فقال : "ولمن صبر وغفر إن الله من عزم الأمور"(١).

الخامس عشر : أنه سبحانه وعد المؤمنين بالنصر والظفر، وهي كلمته التي سبقت لهم وهي الكلمة الحسنى، وأخبر أنه إنما أنا لهم ذلك بالصبر، فقال تعالى : "وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا"(٢).

السادس عشر : أنه سبحانه علق محبته بالصبر، وجعلها لأهله فقال / "وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين"(٣).

السابع عشر : أنه سبحانه [أخبر] عن خصال الخير أنه لا يلقاها إلا الصابرون، في موضعين من كتابه، في سورة القصص في قصة قارون، وإن الذين أوتوا العلم قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتي : .. ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون"(٤) وفي سورة حم السجدة حيث أمر العبد أن يدفع بالتي هي أحسن، فإذا فعل ذلك صار الذي بينه وبينه عداوة كأنه حبيب قريب، ثم قال : "وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم"(٥).

الثامن عشر : أنه سبحانه أخبر أنه إنما ينتفع بآياته ويتعظ بها : الصبار الشكور : فقال تعالى : "ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيات الله، إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور"(٦).

التاسع عشر : أنه أثنى عبى عبده أيوب بأحسن الثناء على صبره فقال : "إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب"(٧). فاطلق عليه "نعم العبد" بكونه وجده صابرا، وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلى فإنه بئس العبد.

---

(١) الشورى، ٤٣.

(٢) الأعراف، ١٣٧.

(٣) آل عمران، ١٤٦.

(٤) القصص، ٨٠.

(٥) فصلت، ٣٥.

(٦) إبراهيم، ٥.

(٧) ص، ٤٤.

العشرون : أنه سبحانه حكم بالخسران حكما عاما على كل من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر، وهذا يدل على أنه لا راع سواهم : فقال تعالى : "والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق واتواصوا بالصبر"[١].

الحادي والعشرون : أنه سبحانه خص أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والملاحمة الذين قامت بهم هاتان الخصلتان ووصوا بهما غيرهم، فقال تعالى : "ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة"[٢] وهذا حصر لأصحاب الميمنة فيمن قام به هذان الوصفان.

الثاني والعشرون : أنه سبحانه قرن الصبر بأركان الاسلام ومقامات الإيمان كلها، فقرنه بالصلاة كقوله : "واستعينوا بالصبر والصلاة"[٣] وقرنه بالأعمال الصالحة عموما كقوله : "إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات"[٤]. وجعله قرين التقوى كقوله : "إنه من يتق ويصبر"[٥]. وجعله قرين الشكر كقوله : "إن في ذلك لآيات لك صبار شكور"[٦]. وجعله قرين الحق كقوله : "وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر"[٧]. وجعله قرين الرحمة كقوله : "وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة"[٨]. وجعله قرين اليقين كقوله : "لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون"[٩]. وجعله قرين الصدق كقوله : "والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات"[١٠] وجعله

---

(١) العصر، ١-٣.

(٢) البلد، ١٧.

(٣) البقرة، ٤٥.

(٤) هود، ١١.

(٥) يوسف، ٩٠.

(٦) إبراهيم، ٥.

(٧) العصر، ٣.

(٨) البلد، ١٧.

(٩) السجدة، ٢٤.

(١٠) الأحزاب، ٣٥.

سبب محبته ومميته ونصره وعونه وحسن جزائه، ويكفي بعض ذلك شرفا وفضلا. والله أعلم"[١]

ومن قرأ كتب ابن القيم يجد هذا الأصل مطردا عنده لا يكاد يغفله في أي مبحث من مباحثه : يقدم آيات القرآن الكريم الشاهدة لما يتكلم بصدده ، ويفسرها في كثير من الأحيان تفسيرا رائعا ، قد يطول أو يقصر .

وإنما ذكرت أمثلة مختارة لتدل على المقصود ؛ فهذا موضع استشهاد وليس موضع استقصاء . والله المستعان.

المطلب الثاني

الأصل الثاني : السنة النبوية الشريفة

السنة النبوية الشريفة هي الأصل الثاني من أصول التصوف الصحيح عند ابن القيم رحمه الله كما يبدو لنا من خلال كتبه التي تحدثت عن التصوف بشكل مباشر أو غير مباشر .

والأمثلة والشواهد التي تبين هذا كثيرة . وفيما يلي مختارات منها :

المشهد الأول : كتابه (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)، مع أن هذا الكتاب غلب عليه طابع كتب الحديث ، إلا أنني أعتبره كتاب تصوف ، حيث إنه يعزز منزلة " الرجاء " التي أشرنا إلى رأي ابن القيم قبل قليل، والقارئ لمقدمة هذا الكتاب يشعر بالحال

الإيماني العظيم الذي كان عليه ابن القيم عندما ألفه. يؤكد في المقدمة على ما نحن بصدده : يؤكد على أن السنة النبوية أصل من أصول التصوف الصحيح لا يقدم عليها في هذا المجال سوى القرآن الكريم الذي هو الأصل الأول.

يقول ابن القيم في مقدمة (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) :

" وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه وتفصيله وتبويبه ،...، محرك للقلوب إلى أجل مطلوب ،وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس[٢] ،...، إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانا ، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عيانا فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات ، وباعث الهمم العليات إلى العيش الهني في تلك الغرفات .

---

(١) عدة الصابرين، ص٧٤.

(٢) يقصد بذلك طلب القرب من الله تعالى .

وسميته " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح"... وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة بما أعد الله لهم في الجنة ، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ونعم الله عليهم ظاهرة وباطنة ،وهم أولياء الرسول وحزبه ، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه . لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوام ، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحدٍ من الأنام .

والسنة أجَلُّ في صدورهم من أن يقدموا عليها رأيا فقهيا أو بحثا جدليا أو خيالا صوفيا ، أو تناقضا كلاميا أو قياسا فلسفيا ، أو حكما سياسيا ، فمن قدم عليها شيئاً من ذلك فباب الصواب عليه مسدود ، وهو عن طريق الرشاد مصدود" [١] .

وقد بيّن في الباب الأول من هذا الكتاب أن أهل التصوف مع طوائف الحق من هذه الأمة يستندون إلى الكتاب والسنة في إثبات وجود الجنة الآن ، قال رحمه الله [٢] : "الباب الأول : في بيان وجود الجنة الآن لم يزل أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والتابعون وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته ، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة ... ".

الشاهد الثاني : من كتابه الهام في علم التصوف الصحيح وطريقه السني كتاب (طريق الهجرتين وباب السعادتين) يبين ابن القيم أن التصوف الصحيح لا يكون إلا بهاتين الهجرتين : هجرة إلى الله ، وهجرة إلى رسوله . ولنستمع إلى عبارته في وصف من غرس الله في قلبه شجرة التوحيد والمحبة يقول : "فلا تزال هذه الشجرة تخرج ثمرها كل وقت بإذن ربها من طيب القول وصالح العمل تقر به عيون صاحب الأصل [٣] وعيون حفظته وعيون أهله وأصحابه ومن قرب منهم ، فإن من قرت عينه بالله سبحانه قرت به كل عين ، ... ، فإذا أحب فلله وإذا أبغض أبغض لله وإذا أعطى فلله وإذا منع فلله ، قد اتخذ الله وحده معبوده ومرجوه ومخوفه وغاية قصده ومنتهى طلبه، واتخذ رسوله وحده دليله وإمامه وقائده وسائقه ، فوّحد الله بعبادته ومحبته

(١) ص٢٢ .

(٢) حادي الأرواح ص٢٤ .

(٣) يعني ذلك الإنسان الذي غرست في قلبه تلك الشجرة الطيبة .

وخوفه ورجائه ، وإفراد رسوله بمتابعته والاقتداء به والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه.

وله في كل وقت هجرتان : هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق اللجأ والافتقار في كل نفس إليه وهجرة إلى رسوله في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محاب الله ومرضاته ، ولا يقبل الله من أحد ديناً سواه وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد"[1].

ولعل في هذه العبارة الأخيرة إشارة لطيفة من ابن القيم لكتابه العظيم (زاد المعاد في هدى خير العباد) ليرجع إليه من أراد سلوك سبيل التصوف ليضبط تصوفه بهدي خير العباد صلى الله عليه وسلم، فإن ابن القيم قد فصّل في ذلك الكتاب جوانب كثيرة هامة جداً" من سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم التي لا بد للمرء من الاستهداء بها والسير في نورها، وهو يتضمن قدراً كبيراً من السنة الشريفة، الأصل الثاني من أصول التصوف الصحيح عند ابن القيم، فالسالك في درب التصوف إذا استصحب معه هذا الأصل كان عمله زاداً ليوم المعاد.

وابن القيم يؤكد على وجوب متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في مقدمة كتابه (زاد المعاد). فمن ذلك قوله : "... فلا تزول قدما عبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين : ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فجواب الأولى بتحقيق (لا إله إلا الله) معرفة وإقراراً وعملاً. وجواب الثانية بتحقيق (أن محمد رسول الله) معرفة وإقراراً، وانقياداً وطاعة"[2].

"والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفرح والنجاة، ..."[3].

٥٢٨٠٢٧

(١) طريق الهجرتين ص٩ .

(٢) زاد المعاد، ج١، طبعة المكتبة القيمة، ص٥.

(٣) المرجع ذاته ص ٧.

وابن القيم في هذا موافق الأصل متبع لمنهج أئمة التصوف المتقدمين الأكابر لذا يعقب على قوله السابق في (طريق الهجرتين) فيقول : "وقد قال شيخ الطريقة وإمام الطائفة الجنيد بن محمد قدّس الله روحه : الطرق كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى آثار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ... وقال بعض العارفين[١] : كل عمل بلا متابعة فهو عيش النفس"[٢] .

وقد أورد مثل هاتين العبارتين عن أئمة العارفين وأكابر شيوخ الصوفية في مواضع عدة في مدارج السالكين فمن ذلك قوله : "وقال أبو سليمان الداراني : تعرض علي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدي عدل : الكتاب والسنة . وقال الجنيد : مذهبنا مقيد بالكتاب والسنة . فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في طريقنا"[٣] . وفي شرحه لمنزلة (العلم) قال : (قال أبو حفص[٤] ـ رحمه الله ـ : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا يعد في ديوان الرجال)[٥] . ثم قال في (ص٤٦٥) منه : (وقال أحمد بن أبي الحواري[٦] ـ رحمه الله ـ : من عمل عملاً بلا اتباع سنة فباطل عمله) .

وبعد : فهذا كلام مجمل عام في هذا الأصل ، وله شواهد وأمثلة مفصلة لا يسعنا استقصاؤها في هذا المقام وفيما يلي بعض تلك المواضع التي يبين فيها الأصل من السنة فيما هو بصدده :

(١)هو سهل بن عبد الله التستري . انظر مدارج ،جـ٢ ص٤٦٤ .

(٢) طريق الهجرتين ص٩.

(٣) مدارج، ج٢، ص٤٠.

(٤) هو أبو حفص النيسابوري وقد سبقت ترجمته.

(٥) مدارج، ج٢، ص٤٦٤.

(٦) هو أحمد بن عبد الله بن ميمون، أبو الحسن التغلبي الغطفاني، أحد العلماء الزهاد المشهورين، ذوي الأحوال الصالحة والكرامات الواضحة، تتلمذ على أبي سليمان الداراني، وروى الحديث عن سفيان بن عيينة ووكيع وغيرهما، وروى عنه أبو داوود وابن ماجه وغيرهما ت ٢٤٦ هـ، انظر ترجمته في : ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٠، ص٣٤٨ وطبقات المناوي الكبرى، ج١، ص٣٥٢، وحلية الأولياء، ج١٠، ص٥.

فمنها الأحاديث النبوية الكثيرة التي أوردها في شرح منزلة الغربة حيث قال[1] في صفة الغرباء : "وهم الذين أشار إليهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله : " بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء . قيل ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس" ..."[2] وذكر أحاديث أخرى[3] في صفة الغرباء.ثم قال: "فهؤلاء هم الغرباء الممدوحون المغبوطون . ولقلتهم في الناس جداً سموا غرباء فإن أكثر الناس على غير هذه الصفات ... "[4] .

ثم قال مؤكداً للأصل الذي نحن بصدده : "ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي صلى الله عليه وسلم التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس . وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم . وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس . وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله ، لا شيخ ولا طريقة ولا مذهب ولا طائفة . بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده"[5] .

وفي شرحه لمنزلة (المعاينة) قال : "فالمعاينة نوعان : معاينة بصر ، ومعاينة بصيرة ؛ فمعاينة البصر : وقوعه على نفس المرئي ... ومعاينة البصيرة : وقوع القوة العاقلة على المثال العلمي المطابق للخارجي ... .

---

(٢)مدارج جـ٣ ص١٩٤ .

(٢) الحديث عن سهل بن سعد رواه الطبراني في "الكبير" (٦/٢٠٢) وفي "الأوسط" (٣/٤٠١) وفي "الصغير" (١/١٠٤)، وابن عدي في "الكامل" (٢/٤٦٢) والقضاني في "مسند الشهاب" (ح ١٠٥٥) كلهم من طريق بكر الصواف عن أبي حازم عنه به، وإسناده حسن كما ذكر لي الشيخ إبراهيم العلي.

وعن عبد الله بن مسعود ذكره الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (ح ١٢٧٣).

(٤) أنظر تلك الأحاديث ورواياتها وتخريجها في رسالة (الغربة) لابن القيم قدم لها وحققها عمر بن محمود أبو عمر . دار الكتب الأثرية ـ الزرقاء ط١ ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

(٥) مدارج جـ٣ ص١٩٦ .

وحقيقة الأمر أن ذلك كله شواهد وأمثلة علمية تابعة للمعتقد . فذلك الذي أدرك بعين القلب والروح : إنما هو شاهد دال على الحقيقة ، وليس هو نفس الحقيقة . ... وهذا هو الذي وجده عبد الله بن حرام الأنصاري يوم أحد لما قال : " وآهاً لريح الجنة ! إني أجد والله ريحها دون أحد "[١] ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر"[٢] ... ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : " الجنة تحت ظلال السيوف "[٣] فالعمل إنما هو على الشواهد . وعلى حسب شاهد العبد يكون عمله). فهذه إشارة مختصرة إلى الأصل الثاني من أصول التصوف الصحيح عند ابن القيم : السنة النبوية الشريفة . والإشارة تغني عن العبارة . والله ولي التوفيق .

---

(١) الصحيح أن قائلها أنس بن النضر - وليس عبد الله بن حرام كما ذكر ابن القيم رحمه الله -، جاء ذلك من حديث أنس بن مالك الذي أخرجه البخاري برقم ٤٠٨ ومسلم ١٩٠٣.

(٢) من حديث جابر بن عبد الله : أخرجه أبو يعلي برقم ١٨٦٥، والبزار برقم ٣٠٦٤ كشف، والحاكم ٤٩٤/١، والحديث حسن بشواهده، كما ذكر لي الشيخ ابراهيم العلي.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٢٨١٨، ومسلم برقم ١٧٤٢، من حديث عبد الله بن أبي أوفى.

المطلب الثـــالث

الأصل الثالث : تحكيم العلم على الحال

المقصـــود بـــالعلم هنـــا : العلـــم الشـــرعي الـــذي مرجعـــه إلـــى الكتـــاب والســـنة وفقـــه العلمـــاء الثقـــات مـــن أئمـــة الســـلف والخلـــف، القـــائم علـــى أصولـــه الصحيحـــة المتينة المعروفة عنـــد أهـــل العلـــم.

والمقصود بالحال - وقد ســبقة الاشــارة إليــه - مــا يــرد علــى قلــب الســالك فــي درب التصـــوف علـــى النفـــس أثنـــاء عبادتـــها ومجاهدتـــها فـــــي طريقـــــها إلـــــى الله تعـــالى [١].

وفي طريق التصـــوف يتعـــارض عنـــد الصوفـــي فـــي بعـــض الأحيـــان حـــال مـــن الأحوال مع حكم من أحكـــام العلـــم الشـــرعي، وهنـــا تـــأتي أهميـــة هـــذا الأصـــل الـــذي أكد عليـــه ابـــن القيـــم كثـــيراً كمـــا أكـــد عليـــه مـــن قبـــل أئمـــة التصـــوف الصـــالحين، وفيما يلي بعض عبارات ابن القيـــم فـــي هـــذا الأصـــل الـــهام:

يقول ابـــن القيـــم [٢] : "وأمـــا " إبقـــاء العلـــم يجـــري مجـــراه " : فالذهـــاب مـــع داعـــي العلم أين ذهب به ، والجري معـــه فـــي تيـــاره أيـــن جـــرى .

وحقيقـــة ذلـــك : الاستســـلام للعلـــم وألا تعارضـــــه بجمعيـــــة ولا ذوق ولا حـــــال . بل امض معـــــه حيـــث ذهـــب . فـــالواجب تســـليط العلـــم علـــى الحـــال وتحكيمـــه عليـــه وأن لا يعـــارض بـــه .

وهذا صعـــب جـــداً إلا علـــى الصـــادقين مـــن أربـــاب العزائـــم . فلذلـــك كـــان مـــن أنواع الرياضـــة .

---

(١) انظـر : حســن الشــرقاوي، معجــم ألفـــاظ الصوفيـــة، ط٢، مؤسســـة مختـــار، القـــاهرة، ١٩٩٢، ص١١٥.

(٢) فـــي شـــرحه لقـــول الـــهروي فـــي منزلـــة (الرياضـــة) : " ورياضـــة الخاصـــة : حســم التفـــرق وقطع الالتفـــات إلـــى المقـــام الـــذي جـــاوزه وإبقـــاء العلـــم يجـــري مجـــراه " مـــدارج، جـــ١ ص٤٧٧ .

ومتى تمرنت النفس عليه وتعودته صار خلقاً . وكثير من السالكين إذا لاحت له بارقة أو غلبة حال أو ذوق : خلى العلم وراء ظهره ونبذه وراءه ظهريّا ، وحكّم عليه الحال . هذا حال أكثر السالكين . وهي حال أهل الانحراف الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ؛ ولهذا عظمت وصية أهل الاستقامة من الشيوخ بالعلم والتمسك به" [(١)] .

وما ذاك إلا لمكانة العلم وأهميته في دين الله . وقد بيّن ابن القيم فضل العلم من أكثر من مائة وعشرين وجهاً في كتابه (مفتاح دار السعادة) كما أشرت في مطلب مؤلفاته.

وقد أكد ابن القيم على هذا الأصل في مواضع عديدة ، منها قوله شارحاً لكلام الهروي : " أمّا " جنوح الحال إلى العلم " فهو نوعان : ممدوح ومذموم ؛ فالممدوح : التفاته إليه وإصغاؤه إلى ما يأمر به وتحكيمه عليه . فمتى لم يجنح إليه هذا الجنوح كان حالاً مذموما ناقصا مبعداً عن الله . فإن كل حال لا يصحبه علم يخاف عليه أن يكون من خدع الشيطان . وهذا القدر هو الذي افسد على أرباب الأحوال أحوالهم وعلى أهل الثغور ثغورهم وشردهم عن الله كل مشرد وطردهم عنه كل مطرد . حيث لم يحكموا عليه العلم وأعرضوا عنه صفحا حتى قادهم إلى الانسلاخ من حقائق الإيمان وشرائع الاسلام .

---

(١) المرجع ذاته بنفس الجزء والصفحة.

وهم الذين قال فيهم سيد الطائفة الجنيد بن محمد ـ لما قيل له : أهل المعرفة يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله ـ فقال الجنيد : إن هذا كلام قوم تكلموا بإسقاط الأعمال عن الجوارح ، وهو عندي عظيمة . والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا ..." [١] .

وطريقة هؤلاء الذين يعترضون على العلم بالحال بينها ابن القيم في موضع أخر عندما شرح لنا النوع الثاني من أنواع "الاعتراض" حيث قال مبينا ذلك الاعتراض الخطير وسوء حال أهله : "النوع الثاني : الاعتراض على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية ، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله ، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان رسوله ، والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان ، وحظوظ النفوس الجاهلة" [٢] .

ولأجل هذه الخطورة في هذا الموضع ، وللأهمية الكبرى للزوم العلم في هذا السبيل وجدنا ابن القيم يتكلم في التصوف بلسان العلم لا بلسان الحال ، وها هو يبين لنا الحكمة في ذلك فيقول : "الكلام بلسان العلم أوسع من الكلام بلسان الذوق وأقرب إلى الحجة والبرهان" [٣] .

---

(١) مدارج جـ٢ ص٩٩ وما بعدها.

(٢) المرجع ذاته، ج٢، ص٧٠.

(٣) المرجع ذاته جـ٢ ص١٠ .

المطلب الرابـــع

الأصل الرابع : العبادة

يقول ابن القيـــم [١] مبينـــا مفـــهوم العبـــادة : "والعبـــادة تجمـــع أصليـــن : غايـــة الحـــب بغاية الذل والخضوع ... فمن أحببتـــه ولـــم تكـــن خاضعـــا لـــه؛ لـــم تكـــن عـــابدا لـــه . ومن خضعت له بـــلا محبـــة لـــم تكـــن عـــابدا لـــه، حتـــى تكـــون محبـــا خاضعـــا ..." . ثم يبين الحكمة في تقديـــم " إيـــاك نعبـــد " علـــى " إيـــاك نســـتعين " فـــي فاتحـــة الكتـــاب فيقـــول [٢] : "وتقديـــم العبـــادة علـــى الاســـتعانة فـــي الفاتحـــة مـــن بـــاب تقديـــم الغايـــات على الوســـائل . إذ العبـــادة غايـــة العبـــاد التـــي خلقـــوا لـــها والاســـتعانة وســـيلة إليـــها . ولأن " إيـــاك نعبـــد " متعلـــق بألوهيتـــه واســـمه "الله" و"إيـــاك نســـتعين" متعلـــق بربوبيتـــه واســـمه " الـــرب " فقـــدم " إيـــاك نعبـــد " علـــى " إيـــاك نســـتعين " كمـــا قـــدم اســـم " الله " علـــى " الـــرب " فـــي أول الســـورة . ولأن " إيـــاك نعبـــد " قســـم الـــرب فكان من الشـــطر الأول الـــذي هـــو ثنـــاء علـــى الله تعـــالى لكونـــه أولـــى بـــه و " إيـــاك نستعين " قسم العبد فكـــان مـــن الشـــطر الـــذي لـــه ، وهـــو " إهدنـــا الصـــراط المســـتقيم " إلى آخـــر الســـورة" .

وهذا كلام هام فـــي جعـــل العبـــادة أصـــلا مـــن أصـــول التوجـــه إلـــى الله تعـــالى ، وتفصيـــل طيـــب يبيـــن الأهميـــة الكبـــيرة التـــي لأجلـــها قـــدم الله تعـــالى العبـــادة علـــى الاستعانة في هـــذه الآيـــة العظيمـــة التـــي هـــي لـــب أم الكتـــاب ومجمـــع معانيـــها ، بـــل ومعاني القرآن الكريم كلـــه . كمـــا يؤكـــد ابـــن القيـــم [٣] .

---

(١) مـــدارج جـــــ١ ص٧٤ .

(٢) مـــدارج جـــــ١ ص٧٥ ، ٧٦ .

(٣) مـــدارج جـــــ١ ص٧٤ .

وقد بين لنا ابن القيم مذاهب الناس في أفضل العبادة في فصل من أروع وأنفع فصول كتابه العظيم (مدارج السالكين)[(١)] ورجح مذهب القائلين،فقال: "إن أفضل العبادة العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما مقتضى ذلك الوقت ووظيفته" وفصل في ذلك رحمه الله بكلام رائع جدا .

وكلامه في هذا الموضع موافق لقول الصوفية : الصوفي ابن وقته . وقد أشرت إليه سابقا .

ويؤكد ابن القيم على وجوب أن يكون السالك في درب التصوف عابدا متحققا بالعبادة . وذلك في بيانه لتعريف (العابد) و(المريد) عند الصوفية ، ورأيه في ذلك ، حيث يقول[(٢)] : "العابد هو العامل ـ بمقتضى العلم النافع ـ للعمل الصالح" . ثم قال[(٣)] : "و"المريدون" هم أرباب الأحوال . و"العباد" أرباب الأوراد والعبادات . وكل مريد عابد . وكل عابد مريد . لكن القوم خصوا أهل المحبة وأذواق حقائق الإيمان باسم "المريد" وخصوا أصحاب العمل المجرد باسم "العابد" . وكل مريد لا يكون عابدا فزنديق ، وكل عابد لا يكون مريدا فمراء" .

المطلب الخامس

الأصل الخامس : الهداية الإلهية

التحقق بالتصوف الصحيح لا بد فيه من تحقق جانبين : الجانب الأول : جانب كسبي يتمثل في لزوم العبادة التي تحدثنا عنها في المطلب السابق ، والثاني : الجانب الوهبي المتمثل في هداية الله تعالى للعبد وتوفيقه له .

---

(١) انظر مدارج جـ١ ص٨٥ ـ ٩٠ .

(٢) مدارج جـ٣ ص ٤٨.

(٣) مدارج جـ٣ ص ٤٩.

وأما رؤيته له واقعا بمنة الله وفضله وحوله وقوته وإعانته : فهذا أكمل من غيبته عنه . وهو أكمل من المقام الذي يشيرون إليه ، وأتم عبودية ، وأدعى للمحبة وشهود المنة".

ومن أجمل كلامه في هذه الهداية (هداية التوفيق والإلهام) قوله في كتابه الفوائد : "إذا أراد القدر شخصا بذر في أرض قلبه بذر التوفيق ثم سقاه بماء الرغبة والرهبة، ثم أقام عليه بأطوار المراقبة واستخدم له حارس العلم فإذا الزرع قائم على سوقه"[١] .

---

(١) الفوائد ص٥.

لكنهم اختلفوا في مميزات أخرى بين (الحال) و (المقام). فمنها اختلافهم في (الحال) هل يثبت؟ أم أنه يزول؟ فمنهم من يرى أن الحال يمكن أن يثبت كالمقام، بل لا بد له أن يثبت، وإلا كان من قبيل (اللوامع) [١] ، ومنهم من يرى أن (الحال) ما سمي حالا إلا لأنه يحول، أي يتغير ويزول[٢] ، أما (المقام) فهو الوصف الذي يثبت على العبد ويقيم، فإن لم يثبت سمي حالا[٣].

وقد اطلع ابن القيم على اختلاف الصوفية في التمييز بين (الحال) و(المقام). وبين لنا ذلك فقال : "ولهم اختلاف في بعض منازل السير : هل هي من قسم الأحوال؟[٤] والفرق بينهما : أن المقامات كسبية، والأحوال وهبيه. ومنهم من يقول : الأحوال نتائج المقامات. والمقامات نتائج الأعمال، فكل من كان أصلح عملا كان أعلى مقاما، وكل من كان أعلى مقاما كان أعظم حالا. فمما اختلفوا فيه (الرضا) هل هو حال أو مقام؟ فيه خلاف بين الخرسانيين والعراقيين. وحكم بينهم بعض الشيوخ، فقال :إن حصل بكسب فهو مقام. وإلا فهو حال"[٥]. وقد أشار ابن القيم إلى فرق من الفروق بين الأحوال والمقامات في شرحه لقول الهروي في الدرجة الثانية من منزلة (العطش) حيث قال الهروي : "الدرجة الثانية : عطش السالك إلى أجل يطويه، ويوم يريه ما يغنيه، ومنزل يستريح فيه"[٦] . قال ابن القيم شارحا لقوله : "ومنزل يستريح فيه" : أي منزل من منازل السير، ومقام من مقامات الصادقين، يستريح فيه قلبه، ويسكن فيه، ويخلص من تلون الأحوال عليه. فإن المقامات منازل، والأحوال مراحل. فصاحب الحال شديد العطش إلى مقام يستقر فيه وينزله"[٧]. وكأنه هنا يشير إلى قول بعض أئمة الصوفية بأن الحال يزول ولا يبقى، أما المقام فهو الذي يثبت ويبقى، فإنه لم يسم مقاما إلا لأن العبد يقيم فيه. كما مر قريبا.

---

(١) انظر : السراج، اللمع، ص ٤١١. والقشيري، الرسالة، ص٣٢.

(٢) انظر : أنور أبو خزام، معجم المصطلحات الصوفية، ص٧٢.

(٣) المرجع ذاته، ص١٦٦.

(٤) هكذا في الأصل. وقصده : هل هي من قسم الأحوال أم من قسم المقامات؟ كما هو ظاهر من السياق.

(٥) مدارج، جـ١، ص١٣٥.

(٦)،(٧) مدارج، جـ٣، ص٦٤.

لكن ابن القيم يبين لنا رأيه بوضوح وتفصيل في هذه المسألة، فيقول : "والصحيح في هذا أن الواردات والمنازلات لها أسماء باعتبار أحوالها، فتكون لوامع وبوارق ولوائح عند أول ظهورها وبدوها، كما يلمع البارق ويلوح عن بعد، فإذا نازلته وباشرها فهي أحوال، فإذا تمكنت منه وثبتت له من غير انتقال فهي مقامات. وهي لوامع ولوائح في أولها، وأحوال في أوسطها، ومقامات في نهاياتها. فالذي كان بارقا هو بعينه الحال. والذي كان حالا هو بعينه المقام. وهذه الأسماء له باعتبار تعلقه بالقلب، وظهوره له، وثباته فيه"[1].

المطلب الثاني

رأيه في منازل بداية الطريق

خصص ابن القيم لهذا الموضوع كتابه الكبير (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، وكان له رأيه في ترتيب هذه المنازل. وفيما يلي أهم أقواله في منازل بداية الطريق .

بدأ ابن القيم كلامه في المنازل بفصل : "في منازل "إياك نعبد" التي ينتقل فيها القلب منزلة منزلة في حال سيره إلى الله"[2]. فقال :

"وقد أكثر الناس في صفة المنازل وعددها. فمنهم من جعلها ألفا. ومنهم من جعلها مائة. ومنهم من زاد ونقص. فكل وصفها بحسب سيره وسلوكه. فأول منازل العبودية "اليقظة" وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين. ولله ما أنفع هذه الروعة ! وما أعظم قدرها وخطرها ! وما أشد إعانتها على السلوك ! فمن أحس بها فقد أحس والله بالفلاح، ...

فأخذ في أهبة السفر، فانتقل إلى منزلة "العزم" وهو العقد الجازم على المسير، ...

فإذا استيقظ أوجبت له اليقظة "الفكرة" وهي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعد له مجملا، ولما يهتد إلى تفصيله وطريق الوصول إليه.

(١) مدارج، جـ١، ص١٣٦.

(٢) مدارج، جـ١، ص١٢٢.

فإذا صحت فكرته أوجبت له "البصيرة" فهي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد، والجنة والنار، وما أعد الله في هذه لأوليائه وفي هذه لأعدائه"[١].

فلو تأملنا كلامه -رحمه الله - في هذا الموضع الهام لوجدنا أنه يبين لنا المنازل الأولى والواقع الفردي لكل سائر إلى الله تقريبا. مبتعدا عن التعقيد والغموض. وفي ذلك ـ فيما أرى ـ ترغيب لكل مسلم بأن يبدأ بهذا السير الشريف الذي لا بد منه لسعادة الدنيا والأخرة. والله أعلم.

ولنعد إلى كلام ابن القيم في المنازل التي تلي منزلة "البصيرة" وهي أيضا من منازل بداية الطريق. يقول ابن القيم :

"فإذا انتبه وأبصر أخذ في "القصد" وصدق الإرادة. وأجمع القصد والنية على سفر الهجرة إلى الله ..."[٢]. ثم قال :

"فإذا استحكم قصده صار "عزما" جازما، مستلزما للشروع في السفر، مقرونا بالتوكل على الله تعالى. قال تعالى : "فإذا عزمت فتوكل على الله"[٣]"[٤].

ولنلاحظ أن منزلة "العزم" والتي تكون في بدايات السير قد أكد ابن القيم أنها يجب أن تقرن بالتوكل. واستدل على ذلك من القرآن الكريم. مع أن منزلة "التوكل" جاء ترتيبها عنده بالنسبة لبقية المنازل : الثلاثون.

ومن منازل بدايات الطريق بعد العزم: "المحاسبة" و "التوبة". وقد كان لابن القيم رأيه الخاص في ترتيبها خلافا لرأي الهروي الذي يذكره ابن القيم ويبين لنا وجهة نظره. يقول :

---

(١) مدارج، جـ١، ص١٢٢،١٢٣.

(٢) مدارج، جـ١، ص١٣١.

(٣) آل عمران، ١٥٩.

(٣) مدارج، جـ١، ص ١٣٢،١٣٣.

".. وفي هذه المنزلة [يعني منزلة "العزم"] يحتاج السالك إلى تمييز ماله مما عليه؛ ليستصحب ماله ويؤدي ما ليه. وهو "المحاسبة" وهي قبل "التوبة" في المرتبة. فإنه إذا عرف ماله وما عليه أخذ في أداء ما عليه، والخروج منه. وهو "التوبة""[١].

هذا رأي ابن القيم أما رأي الهروي فيبينه ابن القيم باختصار فيقول :

"وصاحب المنازل قدم التوبة على المحاسبة. ووجه هذا أنه رأى "التوبة" أول منازل السائر بعد يقظته، ولا تتم التوبة إلا بالمحاسبة. فالمحاسبة تكميل مقام التوبة. فالمراد بالمحاسبة الاستمرار على حفظ التوبة، حتى لا يخرج عنها. وكأنه وفاء بعقد التوبة"[٢].

إذن فالمحاسبة التي تسبق التوبة والتي تحدث عنها ابن القيم غير هذه المحاسبة التي يقصدها الهروي. ولذلك اختلفا في ترتيبهما. والله أعلم.

ولو عدنا إلى المنازل الأولى التي ذكرها ابن القيم (اليقظة، الفكرة، البصيرة، •••) لوجدناها جميعا داخلة في مضمون معنى التوبة. ولذلك نجد القشيري في رسالته يبدأ المقامات بمقام التوبة ويدرج فيه هذه المعاني. وفي ذلك يقول: " التوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين••• "[٣] ثم قال : "إن للتوبة أسبابا وترتيبا وأقساما، فأول ذلك انتباه القلب من رقدة الغفلة، ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة".[٤]

فأنظر إلى هذا التقارب الكبير بين قول القشيري : " فأول ذلك انتباه القلب من رقدة الغفلة "[٥] وبين قول ابن القيم في تعريف اليقظة،أول منازل السير عنده: " هي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين "![٦].

وانظر إلى التقارب الكبير أيضا بين قول القشيري :"••••، ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة "[٧]، وبين قول الجنيد في (المحاسبة) التي تسبق

---

(١)،(٢) مدارج، ج١، ص ١٣٣.

(٣) القشيري، الرسالة ، ص ٤٧.

(٤)،(٥) المرجع ذاته، ص٤٨.

(٦) مدارج، ج١،ص١٢٢.

(٧) القشيري، الرسالة ، ص٤٨.

(التوبة): "وهي قبل (التوبة) في المرتبة، فإنه إذا عرف حاله وما عليه أخذ في أداء ما عليه والخروج منه وهو (التوبة)". [١]

ولعل ابن القيم لاحظ هذا الأمر؛ لكنه أراد أن يفصل ويسهل على السالكين، ففصل بدايات مقام (التوبة) في منازل: اليقظة والفكرة والبصيرة والمحاسبة . والذي يدلنا على هذا قول ابن القيم في مقام (التوبة) : "ومنزل (التوبة) أول المنازل، وأوسطها وآخرها. فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات "[٢].

ومنزلة (التوبة) من المنازل التي أطال ابن القيم القول فيها، فقد بين حقيقتها، وشروطها، وأسرارها ولطائفها، وبين أجناس الذنوب التي يتاب منها، وأحكام التوبة في كل منها، ثم بين مشاهد الناس في المعصية وموقعها من نفوسهم في ثلاثة عشر مشهدا . وقد شغلت منزلة التوبة في (مدارج السالكين) أكثر من مائتي صفحة [٣].

وما هذا التفصيل منه - رحمه الله- *إلا لإدراكه لأهمية التوبة* وعظيم شأنها بين المقامات، حتى قال في ذلك :" قد علمت أن من نزل في منزل (التوبة) وقام في مقامها نزل في جميع منازل الإسلام . فإن (التوبة) الكاملة متضمنة لها . وهي مندرجة فيها"[٤].

المطلب الثالث:

بعض آرائه في المنازل الأخرى

قد لا تكون آراء ابن القيم التي سأبينها فيما يلي خاصة به، لكنه بلا شك قد تبناها وتوسع في التدليل عليها، بل إنه أبرزها ونشرها؛ فلذلك كان من الجدير بالاهتمام عرض بعض هذه الآراء وبيان جهد ابن القيم في إبرازها وترجيحها .

---

(١) مدارج، ج١ ص١٧٨.

(٢) مدارج، ج١، ص١٧٨.

(٣) انظر: مدارج، ج١، ص ص ١٧٨- ٤٤٨.

(٤) مدارج، ج١، ص٤٤٨.

أولا : من آرائه في منزلة (التوبة) :

وسأبدأ ببيان رأيه في منزلة (التوبة) وهي المنزلة التي توسع فيها جدا حتى شغلت في (مدارج السالكين) أكثر من مائتي صفحة كما ذكرت.

والرأي الذي أحببت أن أبرزه هنا هو قول ابن القيم : إن توبة العبد محفوفة بتوبة من الله قبلها وتوبة من الله بعدها . وهو من روائع ما اشتمل عليه كتابه (مدارج السالكين) . يقول ابن القيم مبينا هذا الرأي :

" وتوبة العبد إلى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها. وتوبة منه بعدها. فتوبته بين توبتين من ربه، سابقة ولاحقة. فإنه تاب عليه أولا إذنا وتوفيقا وإلهاما فتاب العبد . فتاب الله عليه ثانيا، قبولا وإثابة . قال الله سبحانه وتعالى : " لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم . ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا . حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم "(التوبة ١١٧-١١٨) . فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين، فكانت سببا مقتضيا لتوبتهم. فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله تعالى عليهم . والحكم ينتفي لانتفاء عليته"[١]

وهذا الرأي لم أرى مثله في كتب الصوفية، مع أنها اهتمت كل الاهتمام ببيان التوبة وحقائقها وأقوال أئمة الصوفية فيها[٢] .

ثانيا : مناقشة رأيه في منزلة الحزن :

سبق وأن عرضت رأي ابن القيم في منزلة (الحزن) كشاهد من شواهد تأصيله للتصوف بالأصل الأول وهو القرآن الكريم .

فقد عرض ابن القيم رأيه القائل بأن الحزن ليس من المنازل المطلوبة ولا المأمور بنزولها، ودلل على رأيه بقوله: "ولم يأت (الحزن) في القرآن إلا منهيا عنه أو منفيا"[٣] .

---

(١) مدارج، ج١، ص٣١٩.

(٢) أنظر مثلا : القشيري، الرسالة، ص٤٥.

(٣) مدارج، ج١، ص٥٠٥ .

وقد رأيت أن أناقش هذا الراي لاستغراب كثير من أهل العلم له. فعدت أولا إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم [١] لاستخراج المواضع التي ذكر فيها (الحزن) في القرآن الكريم فاستخرجتها ،ووجدت أن الأمر كما قال ابن القيم إلا في ستة مواضع- أعني أن(الحزن) لم يأت في القرآن الكريم إلا منهيا عنه أو منفيا إلا في ستة مواضع- وفيما يلي بيانها والتعليق عليها .

الأول: قوله تعالى:" إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا"[٢](المجادلة ١٠)، والآية لم تنف الحزن هنا ولم تنه عنه، إلا أنها بينت أن الشيطان يريد حزن المؤمنين، والنجوى إحدى وسائله في بلوغ ذلك. فمن حزن فقد تحقق فيه رجاء الشيطان، والله اعلم .

إلا أن الحزن الذي تعنيه هذه الآية ليس (الحزن) الذي يتكلم عنه الصوفية، فهذا الحزن المقصود في الآية حزن دنيوي نفسي، وهو من طبيعة البشر، حيث يحزن المرء إذا رأى اثنان أو أكثر يتناجون دونه كما هو مشاهد ومعروف. وطوبى لمن ترفى عن هذا الحزن .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم وجود هذا الحزن في النفوس، فنهى عن النجوى التي تسببه، فقال:" إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الثالث فإن ذلك يحزنه"[٣]. أو كما قال . وعلى العموم فليس هذا الحزن من الحزن المعني في التصوف . والله أعلم .

الموضع الثاني: قوله تعالى :" قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون"[٤] . وهذه الآية أكدت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحزن لقول الكفار، وكذبهم فأراد الله عز وجل أن يواسي نبيه صلى الله عليه وسلم، ويخفف عنه حزنه هذا، فقال جل وعلا عقب ذلك في الآية ذاتها: " فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون "[٥] . وهذا النوع من

(١) وضعه محمد فؤاد عبد الباقي . أنظره : ط بدون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٩٩.

(٢) المجادلة، ١٠.

(٣) رواه مسلم، كتاب السلام، ٣٨،٣٧. وكتاب الأدب، ٢٤.

(٤) الأنعام، ٣٣.

(٥) الأنعام، ٣٣.

الحزن على الكفار جاءت الآيات تنهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه في ثمانية مواضع[1] تخفيفا عنه ومواساةً له صلى الله عليه وسلم.

الموضع الثالث : قول الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام:" قال إني ليحزنني أن تذهبوا به...."[2]. وهذا الحزن الذي أثبته يعقوب عليه السلام لنفسه حزن الأب لفقد ولده بل حزن المحب لبعد محبوبه عنه . فالآية ما دلت على مدح لهذا الحزن ولا ذم .

وقد يعتبر هذا الحزن محمودا على اعتبار أنه حزن على فقد حبيبه الذي يحبه لله، فإنه يذكره بالله تعالى، وبفضله وبنعمته، إذ جعل له ولداً صالحاً، فهذه المحبة محبة خالصة لله وفي الله، فإن يوسف عليه السلام كان خير إخوته كما بيّن القرآن الكريم .

الموضع الرابع : قول الله تعالى عن يعقوب عليه السلام :"وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم"[3]. وواضحٌ أنه ليس في هذه الآية مدح لهذا الحزن . ويمكننا أن نقول في هذا الحزن ما قلنا في الموضع السابق، إلا أن الحزن هاهنا قد وصل بيعقوب عليه السلام إلى حدٍ كبير حتى " ابيضت عيناه " وربما خرج بهذا من إمكانية أن يكون حزناً ممدوحاً، حتى ولو كان حزناً تابعاً للمحبة في الله فإن الشيء إذا تجاوز حده لم يمدح . والله أعلم .

الموضع الخامس: قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام أيضا: " قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله "[4]. والبث هو شدة الحزن . ويظهر لي في هذه الآية الكريمة أن يعقوب عليه السلام قد وجد سلبية (الحزن) على ولده الحبيب، فشكا ذلك الحزن إلى الله وحده حتى يريحه منه، ويخلصه من ضيقه. ويظهر لي أن الحزن إذا وصل إلى حدٍ كبير، فزاد عن

---

(١) وهي : الحجر ٨٨، النحل ١٢٧، النمل٧٠، آل عمران ١٧٦، المائدة٤١، يونس٦٥، لقمان٢٣، يس٧٦.

(٢) يوسف، ١٣.

(٣) يوسف، ٨٤.

(٤) يوسف، ٨٦.

حده المقبول، لم يعد فيه خيرٌ للعبد ولو بقي فيه خيرٌ لما شكا يعقوب عليه السلام حزنه _عندما بلغ عنده ما بلغ _ إلى الله تعالى . ولعمر الله إن الحالة النفسية التي يصل إليها المرء بشدة حزنه لحالةٌ متعبة لا خير له فيها .

إلا أنها تلجيء المرء إلى خالقه - إن تنبه لذلك واقتدى بنبي الله يعقوب عليه السلام وسائر الأنبياء الكرام - فإذا لجأ المرء إلى الله تعالى، وشكا إليه وحده ما يجد من الحزن، وعاش مع الله لحظات مخلصا له، متضرعا إليه- عز وجل_ أبدله الله_ بلا ريب_ سعادةً وطمأنينة لا يبقى معها حزنٌ قط . والله تعالى أعلم.

الموضع السادس : قوله تعالى عن بعض صالحي فقراء المدينة الذين منعهم فقرهم من الخروج في غزوة العسرة أنهم: "تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون "[١].

وهذا - فيما يبدو لي_ حزنٌ على فقد الطاعة، وهو حزنٌ خالص لله تعالى . فلماذا لا يكون حزناً ممدوحاً ؟ ومدحه ومدح أهله واضح في الآية .

أما قول ابن القيم : " إنهم لم يمدحوا على نفس الحزن وإنما مدحوا على ما دلّ عليه الحزن من قوة إيمانهم" فإنني أستسمحه أن أخالفه الرأي :وأقول: إن هذا تأويل بعيد قد ذهب إليه _ رحمه الله _ فإنّ الأقرب لظاهر الآية - والله اعلم - أنّ المدح فيها متوجهة لذلك الحزن الديني الخالص لله تعالى .

والخلاصة التي أراها في هذه المسألة : أن الحزن إن كان حزنا دينيا، أخرويا، لفقد طاعة، أو فقد حبيب محبوب في الله، يذكّر بالله، ويعين على طاعة الله، أو كان حزنا على العصاة؛ لبعدهم عن الله؛ فإن ذلك كله حزن ممدوح، والله أعلم .

لكن المطلوب من المسلم السائر إلى الله أن يتجاوز هذا الحزن، وينتقل منه إلى ما هو أعلى منه من المنازل . ولعل هذا هو السبب الذي لأجله نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن على الكفار . ومن أجل هذا أيضا شكا يعقوب عليه السلام هذا (الحزن) إلى الله تعالى . ولذلك أيضا بشّر الله

---

(١) التوبة، ٩٢.

تعالى فقراء الصحابة المحزونين بتوبته عليهم وأنزل فيها قرآنا يتلى، ليخرجوا من حزنهم، ويرتقوا فيما فوق الحزن من مدارج السالكين .

ولعل هذا المعنى من الحزن الممدوح هو المقصود بالحديث الشريف الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم : " إن هذا القرآن نزل بحزن "[١] . وهو الحزن الذي دعا إليه بعض أئمة الصوفية كسهل بن عبد الله التستري، إذ قال: "واستفتح باب الحزن بطول الفكر"[٢].

وفي هذا القدر كفاية . والله تعالى أعلم . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثالثاً : رأيه في(الفناء) :

(الفناء) من (المنازل) أو(المقامات) التي اختلف الصوفية في تعريفها . وقد كان لابن القيم رأيه الخاص في هذا المصطلح . وسابين فيما يلي شيئا من آراء الصوفيةفيه، ثم أتبعها برأي ابن القيم ليتبين تميّزه.

أما تعريف الصوفية لمصطلح (الفناء) فمنهم من قال: الفناء أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ، بل يفنى عن الأشياء كلها بمن فني فيه [يعني شغله بالله جل وعلا]. وقيل: الفناء في اصطلاح القوم هو عبارة عن عدم شعور الشخص بنفسه ولا بشيء من لوازمها . وقيل : معنى الفناء في اصطلاح الصوفية : تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات . فكلما ارتفعت صفة قامت صفة إلهية مقامها، فيكون الحق سمعه وبصره، كما نطق به الحديث . وقيل :الفناء أن لا ترى شيئا إلا الله، ولا تعلم إلا الله ، وتكون ناسياً لنفسك ولكل الأشياء سوى الله . فعند ذلك يتراءى لك أنه الرب إذ لا ترى ولا تعلم شيئا إلا هو فتعتقد أنه لا شيء إلا هو، فتظن أنك هو، فتقول :" أنا الحق " وتقول:" ليس في الدار إلا الله ، وليس في الوجود إلا الله.[٣] وهذه هي الحالة التي وصل إليها بعض أئمة الصوفية وصدرت منهم عندها مثل تلك الأقوال والتي اعتبرت شطحات منكرة . وسيأتي موقف ابن

---

(١) ابن ماجة، كتاب الإقامة، ١٧٦.

(٢) ابن الجوزي، **صفة الصفوة**،ج٢،ص٧٣٤.

(٣) أنظر هذه التعريفات وغيرها في: أنور أبو خزام، **معجم المصطلحات الصوفية**، ص١٣٧.

القيم منها ومن أهلها إن شاء الله . أما موقف ابن القيم من (الفناء) فإنه قد بينه في مواضع كثيرة من (مدارج السالكين) ولخصه في كتابه الرائع (طريق الهجرتين) . مبينا المقصود بالفناء عند طوائف السالكين ومرجحا لرأيه الموافق للكتاب والسنة وفقه سلف الأمة وأئمة التصوف الصالحين .

يقول: " الفناء الذي يشار عليه على السنة السالكين ثلاثة أقسام : فناء عن وجود السوى، وفناء عن شهود السوى، وفناء عن عبادة السوى وإرادته، وليس هنا قسم رابع . فأما القسم الأول : فهو فناء القائلين بوحدة الوجود، فهو فناء باطل في نفسه، مستلزم حجد الصانع [سبحانه]، وإنكار ربوبيته وخلقه وشرعه، وهو غاية الإلحاد والزندقة، وهذا هو الذي يشير إليه علماء الاتحادية، ويسمونه (التحقيق)، وغاية أحدهم فيه أن لا يشهد ربا وعبدا، وخالقا ومخلوقا، وآمرا ومأمورا، وطاعة ومعصية، بل الأمر كله واحد .

فيكون السالك عندهم في بدايته يشهد طاعة ومعصية . ثم يرتفع عن هذا الفرق بكشفٍ عندهم إلى أن يشهد الأفعال كلها طاعة لله لا معصية فيها ، وهو شهود الحكم والقدر، فيشهده طاعة لموافقتها الحكم والمشيئة . وهذا ناقص عندهم أيضا إذ هو متضمن للفرق . ثم يرتفع عندهم عن هذا الشهود إلى أن لا يشهد لا طاعة ولا معصية، إذ الطاعة والمعصية إنما تكون من غير لغير، وما ثمّ غير .

فإذا تحقق بشهود ذلك وفني فيه فقد فني عن وجود السوى، فهذا هو غاية التحقيق عندهم ومن لم يصل إليه فهو محجوب. ومن أشعارهم في هذا قول قائلهم :

وما أنت غير الكون، بل أنت عينه ويفهم هذا السرّ من كان ذائق

وقول الآخر:

وما الموج إلا البحر لا شيء غيره وإن فرّقته كثرة المتعدّد

والقسم الثاني من أقسام الفناء هو الذي يشير إليه المتأخرون من أرباب السلوك، وهو الفناء عن شهود السوى، مع تفريقهم بين الرب والعبد، وبين الطاعة والمعصية، وجعلهم وجود الخالق غير وجود المخلوق . ثم هم مختلفون في هذا الفناء على قولين:

أحدهما: أنه الغايـــة المطلوبـــة مـــن الســـلوك، ومـــا دونـــه بالنســـبة إليـــه نـــاقص، ...

والقول الثاني :أنه من لـــوازم الطريـــق لا بـــدّ منـــه للســـالك، ولكـــن البقـــاء أكمـــل منـــه . وهؤلاء يجعلونه ناقصـــا ولكـــن لا بـــدّ منـــه. وهـــذه طريقـــة كثـــير مـــن المتقدميـــن . وهـــؤلاء يقولـــون : إن الكمـــال شـــهود العبوديـــة مـــع شـــهود المعبـــود، فـــلا يغيـــب بعبادته عن معبـــوده، ولا بمعبـــوده عـــن عبادتـــه ولكـــن لقـــوة الـــوارد وضعـــف المحـــل وغلبة استيلاء الوارد على القلب– حتـــى يملكـــه مـــن جميـــع جهاتـــه - يقـــع الفنـــاء .

والتحقيـــق أن هـــذا الفنـــاء ليـــس بغايـــة, ولا هـــو مـــن لـــوازم الطريـــق، بـــل هـــو عـــارض مـــن عـــوارض الطريـــق يعـــرض لبعـــض الســـالكين دون جميعـــهم . وســـببه أمور ثلاثـــة:

أحدهـــا: قصـــده وإرادتـــه والعمـــل عليـــه، فإنـــه إذا علـــم أنـــه الغايـــة المطلوبـــة شـــمّر ســـائراً إليـــه عـــاملاً عليـــه، فـــإذا أشـــرف عليـــه وقـــف معـــه ونـــزل بواديـــه وطلـــب مساكنته . فـــهؤلاء إنمـــا يحصـــل لـــهم الفنـــاء لأن ســـيرهم كـــان علـــى طلـــب حظـــهم ومرادهم مـــن الله– وهـــو الفنـــاء– لـــم يكـــن ســـيرهم علـــى تحصيـــل مـــراد الله منـــهم، وهو القيـــام بعبوديتـــه والتحقـــق بـــها . والســـائر علـــى طلـــب تحصيـــل مـــراد الله منـــه لا يكاد الفناء يحـــل بســـاحته ولا يعتريـــه.

السبب الثاني : قـــوة الـــوارد بحيـــث يغمـــره ويســـتولي عليـــه، فـــلا يبقـــى فيـــه متســـع لغيره أصـــلاً.

السبب الثالث : ضعف المحل عـــن احتمـــال مـــا يـــرد عليـــه .

فمـــن هـــذه الأســـباب الثلاثـــة يعـــرض الفنـــاء . ولمّـــا رأى الصـــادق فـــي طريقـــه، السالك إلى ربه إن أكـــثر أصحـــاب الفـــرق محجوبـــون عـــن هـــذا المقـــام مشـــتتون فـــي أودية الفرق، وشـــهدوا نقصـــهم ورأوا مـــا هـــم فيـــه مـــن الفنـــاء أكمـــل، ظنـــوا أنـــه لا كمال وراء ذلك، وأنه الغايـــة المطلوبـــة؛ فمـــن هنـــا جعلـــوه غايـــة.

ولكن أكمل مـــن ذلـــك وأعلـــى وأجـــلّ: هـــو القســـم الثـــالث. وهـــو الفنـــاء عـــن عبـــادة الســـوى وإرادتـــه ومحبتـــه وخشـــيته ورجائـــه والتوكـــل عليـــه والســـلوك إليـــه، فيفنـــى بعبادة ربه ومحبتـــه وخشـــيته ورجائـــه والتوكـــل عليـــه، وبالســـكون إليـــه، عـــن عبـــادة غيرة وعن محبته، ورجائه والتوكـــل عليـــه مـــع شـــهود الغـــير ومعاينتـــه.

فهذا أكمل من فنائه عـــن عبوديـــة الغـــير ومحبتـــه مـــع عـــدم شـــهوده لـــه وغيبتـــه عنه؛ فإذا شـــهد الغـــير فـــي مرتبتـــه أوجـــب شـــهوده لـــه زيـــادةً فـــي محبـــة معبـــوده،

وتعظيماً له وهروباً إليه وضناً به، فإنّ نظر المحبّ إلى مبادئ محبوبه ،ومضادّه يوجب زيادة حبه له،...

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه :"اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، ... " [١] وفي سجوده : " اللهم لك سجدت وبك آمنت" [٢]. فهذا دعاء من قد جمع بين شهود عبوديته وشهود معبوده، ولم يَغِبْ بأحدهما عن الأخر، وهل هذا إلا كمال العبوديّة: أن يشهد ما يأتي به من العبودية موجّها لها إلى المعبود الحق، محضراً لها بين يديه، متقرباً بها إليه ؟ فأما الغيبة عنها بالكلية بحيث تبقى الحركات كأنها طبيعية غير واقعة بالإرادة فهذا وإن كان أكمل من حال الغائب بشهود عبوديته عن معبوده فحال الجامع بين شهود العبودية والمعبود أكمل منهما " .[٣]

---

(١) رواه البخاري (٦٣١٧) . ومسلم (الذكر : ٦٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه مسلم (صلاة المسافرين : ٢٠١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) طريق الهجرتين، ص ص٢٨١ -٢٨٣.

المبحث الثـــالث

أهم مزالق التصوف في نظر ابن القيم

التصـــوف درب خطـــير ، ومســـلك صعـــب وعـــر ، يصفـــه ابـــن القيـــم [١] بأنـــه : (المجال الضنـــك و المعـــترك الصعـــب الـــذي زلـــت فيـــه أقـــام ، وضلـــت فيـــه إفـــهام ، وافـــترقت بالســـالكين فيـــه الطرقـــات وأشـــرفوا – إلا أقلـــهم – علـــى أوديـــة الـــمهلكات. كيف لا ؟ وهو البحـــر الـــذي تجـــري ســـفينة راكبـــه فـــي مـــوج كالجبـــال .و المعـــترك الـــذي تضـــاءلت لشـــهوده شـــجاعة الأبطـــال . وتحـــيرت فيـــه عقـــول ألبّـــاء الرجـــال ، ووصلت الخليقة إلـــى ســـاحله يبغـــون ركوبـــه.

فمنـــهم متوقـــف مطرقـــا دهشـــا لا يســـتطيع أن يمـــلأ منـــه عينـــه ، ولا ينقـــل عـــن موقفـــه قدمـــه . قـــد امتـــلأ قلبـــه بعظمـــة مـــا شـــاهد منـــه . فقـــال : الوقـــوف علـــى الساحل أسلم، وليس بلبيـــب مـــن خـــاطر بنفســـه .

ومنهم مـــن رجـــع علـــى عقبيـــه لمـــا ســـمع هديـــره وصـــوت أمواجـــه ولـــم يطـــق نظراً إليه. ومنهم مـــن رمـــى بنفســـه فـــي لججـــه ، تخفضـــه موجـــة وترفعـــه أخـــرى. فـــهؤلاء الثلاثـــة علـــى خطـــر . إذ الواقـــف علـــى الســـاحل عرضـــة لوصـــول المـــاء تحـــت قدميـــه . و الـــهارب – ولـــو جّـــد فـــي الـــهرب – فمالـــه مصـــير إلا إليـــه . و المخاطر ناظر إلـــى الغرقـــى كـــل ســـاعة بعينيـــه . ومـــا نجـــا مـــن الخلـــق إلا الصنـــف الرابـــع . وهـــم الذيـــن انتظـــروا موافـــاة ســـفينة الأمـــر . فلمـــا قربـــت منـــهم نـــاداهم الربـــان "اركبـــوا فيـــها بســـم الله مجريـــها ومرســـاها "[٢] فـــهي ســـفينة نـــوح حقـــاً، وسفينة من بعده من الرسل مـــن ركبـــها نجـــا ، ومـــن تخلـــف عنـــها غـــرق .

فركبوا ســـفينة الأمـــر بـــالقدر تجـــري بـــهم فـــي تصـــاريف أمواجـــه علـــى حكـــم التسـليم لمـــن بيـــده التصـــرف فـــي البحـــار . فلـــم يـــك إلا غفـــوة ،حتـــى قيـــل لأرض الدنيـــا وســـمائها : يـــا أرض ابلعـــي مـــاءك و يـــا ســـماء أقلعـــي ، وغيـــض المـــاء ،وقضـــي الأمـــر واســـتوت علـــى جـــودي دار القـــرار. والمتخلفـــون عـــن الســـفينة – كقوم نوح – أغرقوا ثـــم أحرقـــوا . ونـــودي عليـــهم علـــى رؤوس العـــالمين :" وقيـــل

---

(١) مـــدارج ج١ ص١٩٩ .

(٢) هـــود، ٤١.

بعداً للقوم الظالمين"[١] وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين "[٢] ثم نودي بلسان الشرع و القدر ، تحقيقاً لتوحيده ، وإثباتاً لحجته ، وهو أعدل العادلين " قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين "[٣].

فهذا هو طريق التصوف ، وهذه أصناف الناس بالنسبة له ، وأحوالهم معه . وهذا الوصف وصف عام مجمل ، مع أنه غاية في روعة التعبير ودقة الوصف، لذلك الدرب الخطير الذي لا يقوى على السير فيه إلا أولوا البصائر و أرباب الهمم العالية المتسلحين بالعلم و الإيمان ، المؤيَّدين بهداية الله تعالى و توفيقه .

ولذلك كثرت مزالق من سار في هذا الطريق فانزلق ، وانحرف من انحرف ، وهم يظنون أنهم قد وصلوا ، نعم ولكن إلى المهالك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . و المقصود أن مزالق التصوف كثيرة ودقيقة . ولو ذهبنا نستقصيها لطال بنا الأمر .

وقد عني ابن القيم رحمه الله بهذه المزالق ونبه إلى ظاهرها وباطنها ، صغيرها وكبيرها ، و استقصاء كلامه الدقيق في هذا ليس بالسهل ، وليس هو المقصود .

إنما المقصود هنا بيان أخطر تلك المزالق، والتي ألح ابن القيم في التحذير منها .

فأخطر تلك المزالق في نظري ثلاثة :

أولها : وأصلها جميعا : الفناء وما أوصل إليه من وحدة الوجود .

ثانيها : عقيدة الجبر وما أوصلت إليه من إسقاط التكاليف .

ثالثها : القول بالحلول، وما ارتبط به من انحرافات.

وفيما يلي بيان لموقف ابن القيم من هذه المزالق الثلاثة، كل منها في مطلب :

---

(١) هود، ٤٤.

(٢) الزخرف، ٧٦.

(٣) الأنعام، ١٤٩.

المطلـــب الأول

الفناء وما أوصل إليه من القول بوحدة الوجود

أما الفنـــاء (الــذي يشــير إليــه القــوم ويعملــون عليــه : أن تذهــب المحدثــات فــي شهود العبد ، وتغيــب فــي أفــق العــدم ، كمــا كــانت قبــل أن توجــد ، ويبقــى الحــق تعالى كمــا لــم يــزل . ثــم تغيــب صــورة المشــاهد ورســمه أيضــا ،فــلا يبقــى لــه صورة ولا رسم ،ثــم يغيــب شــهوده أيضــا ،فــلا يبقــى لــه شــهود ،ويصــير الحــق هو الذي يشــاهد نفســه بنفســه ، كمــا كــان الأمــر قبــل إيجــاد المكونــات،وحقيقتــه أن يفنى من لم يكن ، ويبقــى مــن لــم يــزل)[١]

فهذا هو الفنــاء فــي اصطــلاح الصوفيــة ، وهــو كمــا تــرى مــؤذن بدخــول مــن يلزمه من وحدة الشــهود إلــى وحــدة الوجــود .

وإنمــا جعلــت الفنــاء أول المــزا لــق لأنــه كمــا قلــت أصلــها جميعــا وعلــى الأخــص القــول بوحــدة الوجــود ، لاسيما إذا اجتمــع مــع الفنــاء مذهـــب النفـــي والتعطيــل للأســماء والصفــات ، فإنــه يتولــد منــهما القــول بوحــدة الوجــود حتمــا - والله أعلم - . وهــذا مــا يوضحــه لنــا ابــن القيــم حيــث يقــول [٢] : "وهــذه الطريقــة فــي الإرادة والطلــب : نظــير طريقــة التجــهم فــي العلــم والمعرفــة . وانظــر إلــى هذا النسب . والإخاء الــذي بينــهما . كيــف شــركت بينــهما فــي اللفــظ كمــا شــركت بينهما في المعنى ؟ فتلـــك طريقــة الفنــاء ،وتلــك طريقــة النفــي : تلــك نفــي لصفــات المعبود . وهذه فنـــاء عـــن المعبوديـــة .

وإمــا أجتمــع التعطيــلان لمــن اجتمعــا لــه مــن الســالكين تولــد منــهما القـــول بوحدة الوجـــود ، المتضمــن لإنكــار الصــانع وعبوديتــه ".

وقــد أشــار ابــن القيــم إلــى خطـــورة الفنـــاء فـــي التصـــوف ، فوصفـــه بأنـه:(الموضــع الــذي طالمــا زلــت فيــه أقــدام الســالكين، وضلـــت فيـــه أفـــهام الواجديــن) . ومــن المعــروف أيضــا أن معظــم شــطحات الصوفيــة التـــي تحســـب عليهم إنما صدرت منهم وهـــم فــي حالــة الفنـــاء .

و مــن الجديــر بــالذكر هنــا أن ننقــل إنصــاف ابــن القيـــم لأهــل هـــذه الشطحات ، حيث قال مبينـــا مواقـــف النـــاس تجـــاه الشـــطحات : " وهـــذه

---

(١) مـــــدارج ج١ ص٢٦٣.

(٢) مـــــدارج ج٢ ص٣٩ ، ٤٠ .

الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس إحداها حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ولطف نفوسهم و صدق معاملتهم ، فأهدروها لأجل هذه الشطحات ... والطائفة الثانية : حجبوا بما رأوه من محاسن القوم وصفاء قلوبهم ... عن رؤية عيوب شطحاتهم ونقصها . فسحبوا عليها ذيل المحاسن . وأجروا عليها حكم القبول و الانتصار لها .و استظهروا بها في سلوكهم ، وهؤلاء أيضا معتدون مفرطون .

والطائفة الثالثة : وهم أهل العدل و الإنصاف الذين أعطوا كل ذي حق حقه ، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته ، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول ،ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح . بل قبلوا ما يقبل ، وردوا ما يرد " .

ومن الأمثلة على تلك الشطحات وإنصاف ابن القيم لأهلها ما قاله ابن القيم في منزلة " الغيرة" : "و أما (الغيرة على الله) : فأعظم الجهل و أبطل الباطل ... وربما كان صاحبها شرا على السالكين الى الله من قطاع الطرق . بل هو من قطاع طريق السالكين حقيقة وأخرج قطع الطريق في قالب الغيرة ... كمال حكي عن واحد من مشهوري الصوفية أنه قال : لا أستريح حتى لا أرى من يذكر الله . يعني غيرة عليه من أهل الغفلة وذكرهم.

والعجب أن هذا يعد من مناقبه ومحاسنه .

وغاية هذا : أن يعذر لكونه مغلوبا على عقله . وهو من أقبح الشطحات" [(١)] .

ويبين ابن القيم أن الفناء ليس بكمال ــ كما يظن أهله من الصوفية ــ بل يرى أنه (هضم للعبودية) ؛ ذلك أن الفناء يعني أن يغيب المرء بالمعبود عن العبودية . ويؤكد وجوب التحاكم في هذه المسألة إلى الله ورسوله فيقول : " والواجب أن يقع التحاكم في ذلك إلى الله ورسوله ، وإلى حقائق الإيمان دون الذوق . فإننا لا ننكر ذوق هذه الحال ، وإنما ننكر كونها أكمل من غيرها . فأين الإشارة في القرآن أو في السنة أو في كلام سادات العارفين من الصحابة ومن تبعهم إلى هذا الفناء ؟ " [(٢)].

---

(٢)مدارج، جـ٣، ص٤٤،٤٥.

(٢) مدارج، ج١، ص٢٧٠

المطلب الثاني

عقيدة الجبر عند الصوفية وما ارتبط بها من إسقاط التكاليف .

القول بالجبر عقيدة حملتها بعض الطوائف التي ضلت في القدر ، وقد تسربت هذه العقيدة إلى صفوف الصوفية من خلال الفناء في الحكم الكوني القدري ، حيث يشهد الصوفي في هذا الفناء الأمور كلها بيد الله وتحت قدره وحكمه ، ويغيبه هذا الفناء عن رؤية الجانب الأخر في الموضوع وهو جانب الشرع والأمر . بل يصل الحال بهم أحيانا إلى إسقاط الشرع كليا والعياذ بالله.

وعن سلوك هؤلاء يقول ابن القيم : "وبالجملة : فلهذا السلوك لوازم عظيمة البطلان منافية للإيمان، جالبة للخسران .. أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل وأخر أمر صاحبه : الفناء في شهود الحقيقة العامة المشتركة بين الأبرار والفجار، وبين الملائكة والشياطين، وبين الرسل وأعدائهم، وهي الحقيقة الكونية القدرية، ومن وقف معها ولم يصعد الى الفرق الثاني - وهو الحقيقة الدينية النبوية - فهو زنديق كافر ..."[1]

ثم قال : "ومنهم من يرى القيام بالأوامر والنواهي واجبا إذا لم تفرق جمعيته فإذا فرقت جمعيته رأى الجمعية أوجب منها، فيزعم أنه يترك واجبا لما هو أوجب منه، وهذا أيضا جهل وضلال.

فإن رأى أن الأمر لم يتوجه إليه في حال الجمعية فهو كافر، وإن علم توجهه إليه وأقدم على تركه فله حكم أمثاله من العصاة والفساق"[2] .

ولنستمع إلى ابن القيم وهو يحدثنا عن الجبرية ومن تلاها من جبرية المتصوفة.

---

(١) مدارج جـ١ ص ٢٤٧.

(٢) مدارج جـ١ ص ٢٤٨.

يقول: (ثم تلاهم على آثارهم محققوهم من العباد ، فقالوا : ليس في الكون معصية البتة إذ الفاعل مطيع للإرادة موافق للمراد كما قيل :

أصبحت منفعلا لما تختاره ... مني ففعلي كله طاعات

ولاموا بعض هؤلاء على فعله ، قال : إن كنت عصيت أمره فقد أطعت إرادته ، ومطيع الإرادة غير ملسوم ، وهو في الحقيقة غير مذموم .

وأخبرني شيخ الاسلام أنه لام بعض هذه الطائفة على محبة ما يبغضه الله ورسوله . قال له الملوم : المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب ، وجميع ما في الكون مراده فأي شيء أبغض منه ؟ قال الشيخ : فقلت له : إذا كان قد سخط القرآن الكريم على أقوام فلعنهم وغضب عليهم وذمهم ، فواليتهم انت وأحببتهم واحببت افعالهم ورضيت بها أتكون مواليا له أو معاديا ؟ قال ، فبهت الجبري ولم ينطق بكلمة)[١] .

والعبارة السابقة تشير إلى الارتباط بين عقيدة الجبر عند الصوفية وبين اسقاط التكاليف ، واستباحة السيئات عندهم .

وأوضح منها ما ذكره ابن القيم عنهم في مسلكهم في حديث ادم وموسى عليهما السلام[٢] .

فهؤلاء قالوا : إنما حج آدم موسى (لأن آدم شهد الحكم وجريانه على الخليقة وتفرد الرب سبحانه وربوبيته ، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بمشيئته وعلمه وانه لا راد لقضائه وقدره ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ يكن ، قالوا ومشاهدة العبد الحكم لا يدع له استقباح سيئة ، لأنه شهد نفسه عدما محضا والأحكام جارية عليه ...وهو مقهور مربوب مدبر لا حيلة له ولا قوة له ، قالوا ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اللوم"[٣] .

وقال ابن القيم : "وهذا المسلك أبطل مسلك سلك في هذا الحديث ، وهو شر من مسلك القدرية في رده..."[٤]

---

(١) شفاء العليل ص٧ .

(٢)رواه البخاري : الأنبياء ، ب٣١ ، ومسلم : القدر ،حديث١٣

(٣)، (٤) شفاء العليل ص٢٧

وقد سمى بعض الصوفية مشهدهم السابق : مشاهدة الحكم الكوني القدري والفناء فيه سموه (اليقين) واعتبروه المقام الذي يسقط عنده التكليف عنهم .

وفيما يلي راي ابن القيم في هذه المسألة حيث قال :" فصل : لزوم " إياك نعبد" لكل عبد إلى الموت.

قال الله تعالى: " واعبد ربك حتى يأتيك اليقين"(١)(الحجر ٩٩). وقال أهل النار : " وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين"(٢)(المدثر ٤٦-٤٧) و اليقين هنا : هو الموت بإجماع أهل التفسير . وفي الصحيح في قصة موت عثمان بن مظغون رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم و قال : أما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه.[٣] أي الموت و ما فيه ...

ومن زعم أنه يصل الى مقام يسقط عنه فيه التعبد فهو زنديق كافر بالله وبرسوله . وإنما وصل الى مقام الكفر بالله ، و الانسلاخ من دينه. بل كلما تمكن العبد في منازل العبودية كانت عبوديته أعظم ، والواجب عليها منها أكبر و أكثر من الواجب على من دونه ....) [٤] .

المطلب الثالث

القول بالحلول وما ارتبط به من انحرافات

وأعني بالقول بالحلول :الاعتقاد القائل بحلول الإله- *تعالى عن ذلك*- في الذوات البشرية وهو اعتقاد ما عرف إلا عند غلاة الشيعة، وفرق الباطنية، التي اتفق المسلمون على تكفيرها[٥]. ويبدو أن هذه الفكرة الضالة قد تسربت إلى طائفة من الصوفية بتأثير من تلك الفرق الخارجة عن الإسلام أو بتأثير مباشر من منبع هذه الفكرة: النصرانية المحرفة [٦] .ومن الصوفية من تولدت عندهم هذه الفكرة حيث اشتبه عليهم ما يحل بالقلوب من أنوار

---

(١) الحجر، ٩٩.

(٢) المدثر، ٤٦-٤٧.

(٣) أخرجه البخاري برقم ١٢٤٣، ٢٦٨٧، من حديث أم العلاء الأنصارية.

(٤) مدارج جـ١ ص١٠٤.

(١) أنظر : د. عرفان بن عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ط١، مؤسسة الرسالةبيروت، ١٩٨٤، ص٧٦، ٧٧.

(٢)أنظر: ص٨٨ من هذه الرسالة

معرفة الله تعالى، فظنوا أن شيئا من الألوهية قد حل بقلوبهم . كما سترى بعد قليل .

أما الطائفة التي دخلت إليها هذه العقيدة من غلاة الشيعة وفرق الباطنية أو من النصرانية المحرفة فقد كانوا في غالبهم أهل عبادة وزهد، وكذلك الطائفة الثانية الذين تولدت عندهم هذه الفكرة عندما ظنوا أن أنوار معرفة الله تعالى التي تحل بالقلب نتيجة العبادة والمجاهدة هي شيء من الألوهية!

وربما كان من أشهر الضالين من أهل هذه الفكرة : الحسين بن منصور الحلاج (ت٣٠٩هـ) . وقد ذكرت ظهور هذه العقيدة عنده في الفصل التمهيدي الثاني . وقد بين ابن كثير صاحب ابن القيم ارتباط هذه الفكرة بالحلاج فأجد أنه :"كان في ابتداء أمره فيه تعبد وتأله وسلوك . ولكن لم يكن له علم، ولا بنى أمره وحاله على تقوى من الله ورضوان؛ فلهذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه. وقال سفيان بن عيينة: "من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى . ولهذا دخل على الحلاج الحلول والاتحاد، فصار من أهل الانحلال والانحراف"[١].

وهاهو ابن القيم يؤكد لنا التشابه بين عقيدة النصارى القائلة بحلول الألوهية في عيسى عليه السلام وبين اعتقاد الصوفية بحلول الألوهية فيهم أو في مشايخهم، فإنه لما تكلم عن هذه العقيدة عند النصارى - في كتابه(هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)[٢]- استطرد قائلا:

"أما فتنة أتباع الهوى والشهوة الذين تستروا بفكرة (الحلول) فقالوا : أن الله يحل في الصورة الجميلة ــ وإنما أرادوا بهذا استباحة النظر إلى الصور المحرمة من النساء الأجنبيات والمردان ــ فقد كانت فتنة كبيرة ، وخطيرة ، وجنايتها على التصوف الإسلامي أعظم من جنايتها على أصحابها ، فإن مثل هذه المفاسد الأخلاقية ما كان ينبغي لها أن تظهر في عالم التصوف القائم على الصفاء و مجاهدة النفس ومخالفة الهوى" .

---

(١) انظر البداية والنهاية، ج١١، ص١٣٣.

(٢) هداية الحيارى، ص١٩٣.

وعن هؤلاء يقول ابن القيم : "وإنما تسترت هذه الطائفة لهواها و شهواتها ، وأوهمت أنها تنظر عبرة واستدلالا ،حتى آل ببعضهم الأمر أن ظنوا أن نظرهم عبادة لأنهم ينظرون إلى مظاهر الجمال الإلهي ، و يزعمون أن الله ـ سبحانه وتعالى عن قول إخوان النصارى ـ يظهر في تلك الصورة الجميلة، ويجعلون هذا طريقا الى الله كما وقع فيه طوائف كثيرة ممن يدعي المعرفة و السلوك"[١] .

وأما سماع الغناء المصاحب لاجتماعات هؤلاء وخلطتهم بالمردان فان له عند القوم شأنا عظيما كما ذكر ابن القيم [٢] .

وإنما كان سبب ميلهم الى هذا السماع إعراضهم عن سماع القرآن الكريم ولو أن هؤلاء طهرت قلوبهم لوجدناهم برزوا في حفظ القرآن لا في سماع الألحان [٣] .والله أعلم.

والكلام في هذا الموضوع طويل ، ولكن الإشارة تغني عن العبارة ، لذلك فإنني أكتفي بهذه الإشارة الموجزة ، تاركا لمن أراد الاستزادة مراجعة (مدارج السالكين) [٤] و (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) [٥] لابن القيم. والله ولي التوفيق .

٦

---

(١) روضة المحبين ص١٢٧ .

(٢) مدارج جـ ١ ص ٥٠٠ .

(٣) انظر : (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) لابن القيم ص٧٧ .

(٤) انظر منه جـ ١ ص ٤٨١، ٥٠٤ .

(٥) انظر منه جـ١ ص ٢٥٢ ، ٢٨٥.

الفصل الثاني

موقف ابن القيم من أبرز الشخصيات الصوفية

ويشمل

المبحث الأول : موقفه من أهل الاستقامة.

المبحث الثاني : موقفه من متفلسفة الصوفية وأهل وحدة الوجود.

المبحث الثالث : موقفه ممن خلط من الصوفية بين صلاح العمل والشطحات.

الفصل الثاني

موقف ابن القيم من أبرز الشخصيات الصوفية

تكلم ابن القيم - أثناء حديثة عن التصوف - عن شخصيات صوفية كبيرة ، من أهل الاستقامة -خصوصا المتقدمين - ومن المنحرفين، وهم اغلب المتأخرين.

ولأن كلامه ذلك كان غاية في الموضوعية و الإنصاف رأيت أن أفرد له هذا الفصل، وإن كان صغير الحجم ، إلا أنه يستحق أن يفرد مستقلا ، والله أعلم.

وبعد استقصاء مشاهير الصوفية الذين تكلم فيهم ابن القيم وجدتهم عنده ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : من أثنى عليهم ابن القيم مطلقا،واعتبرهم أئمة في الخير والهدى و الاستقامة .

الصنف الثاني : من اعتبرهم أهل بدعة و انحراف وضلال مطلقا وأهمهم: متفلسفة الصوفية .

الصنف الثالث : من جمع بين الصلاح في العلم والعمل وحسن السيرة وبين شطحات كبيرة بينها ابن القيم و أنكرها . ورجا لأصحابها العذر و المغفرة.

و سأبين موقفه من كل من هذه الأصناف من خلال ثلاثة مباحث.

المبحـــث الأول

موقفه من أهل الاستقامة من الصوفية

وهـم أئمـة الصوفيـة المتقدميـن المشـاهير الأعـلام و مـن تبعـهم بإحسـان ، الذيـن اتخـذوا التصـوف سـبيلا إلـى رضـا الله عـز وجـل مقرونـا بـالعلم و المتابعـة ، وهـم أصحـاب المنـهج الأول مـن منـاهج التصـوف التـي ذكرتـها فـي نهاية الفصل الثاني مـن هـذه الرسـالة .

وقد أكثر ابن القيـم مـن نقـل آرائـهم ووصايـاهم ، فـلا تكـاد تخلـو منزلـة مـن المنازل في (مدارج السالكين) إلا ويسـرد شـيئا مـن أقوالـهم فيـها بعـد الآيـات و الأحاديث[١] وكذلك فـي غـيره مـن كتبـه[٢] .

وفي كتابه (اجتمـاع الجيـوش الإسـلامية) ذكـر أقـوال طائفـة كبـيرة منـهم فـي إثبـات صفـة العلـو لله تعـالى. وقـد عنـون لـها بقولـه : "أقـوال الزهـاد والصوفيـة أهل الاتبـاع وسـلفهم"[٣].

ومن أشهر هـؤلاء الذيـن أثنـى عليـهم ابـن القيـّم الإمـام الجنيـد و الشـيخ عبـد القـادر الكيلانـي . وغـيرهم كثـير . وسـأكتفي بموقفـه مـن الأمـام الجنيـد و الشـيخ عبد القادر كعلمين مـن أعـلام أهـل الاسـتقامة .

المطلـب الأول

موقفه من الجنيد

وقبل بيان موقف ابن القيم أعـرف بـالجنيد تعريفـا مختصـر مـا أمكـن :

هو الجنيـد بـن محمـد بـن الجنيـد[٤] ، نشـأ بيـن يـدي خالـه سـري السـقطي[٥] الصوفي المعروف، أخذ الفقه عـن أبـي ثـور الكلبـي ولازم حلقتـه وأفتـى

(١)انظـر علـى سـبيل المثـال : جـ١ ص ٥١٢ ، ٥١٤ و جـ٢ ص ٩٢،١١٥وجـ٣ ص١٢،١٣.

(٢)انظـر مثـلا: عـدة الصـابرين ص٤٨،٥٠ ، وطريـق الـهجرتين ص ٥٤،٥٥

(٣) اجتمـاع الجيـوش الاسـلامية علـى غـزو المعطلـة والجهميـة، ط١، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، ١٩٨٤م، ص١٦٩.

(٤) أبـو نعيـم الأصفـهاني : حليـة الأوليـاء جـ١ ص ٢٥٥ .

(٥)انظـر الذهبـي : سـير أعـلام النبـلاء ١٤/٦٨ و ابـن خلكـان : وفيـات الأعيـان ١/٣٧٣ .

بحضرته [١] وعمره عشرون سنة[٢].

وهو ممن برز في العلم والعمل [٣] .قيل إن ورده كان كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحه [٤].

وكان نقش خاتمه:إن كنت تأمله فلا تأمنه[٥].يشير بذلك إلى وجوب الموازنة بين الخوف والرجاء .

ومنهجه في التصوف معروف ، يلخصه بقوله : " علمنا هذا مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به"[٦] . توفي سنة ٢٨٩هـ، على مارجحه الذهبي [٧] .

أما موقف ابن القيم من الجنيد فهو الثناء الحسن المطلق[٨] ، يظهر ذلك من وصفه إياه دائما بشيخ الطائفة [٩] من ذلك قوله بعد ذكر (الفرق الثاني) و (البقاء): "وهو الذي كان ينادي عليه شيخ الطائفة على الإطلاق الجنيد بن محمد رحمه الله . ووقع بينه وبين أصحاب هذا الجمع والفناء ما وقع لأجله ، فهجرهم وحذر منهم . وقال عليكم بالفرق الثاني" [١٠] يعني بذلك: الفرق بين الحقيقة والشريعة والفرق بين العبد والرب ، حتى يبعدهم عن وهم الاتحاد.

---

(١) السلمي : طبقات الصوفية ص١٥٥ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم جـ١٣ ص١١٨.

(٣)الذهبي تاريخ الإسلام ، مجلد، وفيات ٢٩١-٣٠٠هـ، ص١١٩.

(٤)ابن الجوزي: المنتظم جـ١٣ ص ١١٨.

(٥) الذهبي :سير أعلام النبلاء ١٤ /٦٨

(٦) أبو نعيم ، الحلية جـ١٠ ص٢٥٥ .

(٧) الذهبي ، تاريخ الإسلام، مجلد وفيات ٢٩١-٣٠٠هـ، ص١٢٢.

(٨) وهو في هذا موافق لشيخه، شيخ الإسلام، ابن تيمية ــ رحمه الله ــ فإنه أثنى على الجنيد عقيدة وحالا. أنظر : ابن تيمية، الاستقامة، تحقيق محمد رشاد سالم، جـ٢، ط٢، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٨٢.

(٩) انظر :مدارج ، جـ ٢ ص٢٧٤،٢٧٦،٣٤٨،٣٦٦.

(١٠)مدارج جـ١ ص ٢٤٩ .

وقد وجد ابن القيم بعض عبارات للجنيد يمكن إساءة فهمها فشرحها احسن شرح وبين قصده الصحيح منها ، و من ذلك شرحه لقول الجنيد في المحبة:" دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب ". قال : "وهو للجنيد و فيه غموض و مراده أن استيلاء ذكر المحبوب وصفاته وأسمائه على قلب المحب حتى لا يكون الغالب عليه الا ذلك ... وقد يحتمل معنى أشرف من هذا وهو تبدل صفات المحب الذميمه ـ التي لا توافق صفات المحبوب ـ بالصفات الجميلة المحبوبة التي توافق صفاته . والله أعلم "[١] .

المطلب الثاني

موقفه من الشيخ عبدالقادر الكيلاني

أما الرجل الثاني من أهل هذه الطائفة فهو الشيخ عبد القادر الكيلاني .

ولد الشيخ عبد القادر سنة ٤٧٠هـ في كيلان. ودخل بغداد سنة ٤٨٨هـ . حيث قرأ العلوم السائدة على أساتذتها الكبار و أخذ التصوف عن الشيخ أبي الخير حماد بن مسلم الدباس .

ثم أقبل على الوعظ فلاقى قبولا منقطع النظير ، واشتغل بالعلم و نصرة السنة . توفي سنة ٥٦١هـ [٢].

ومع أن كلام ابن القيم فيه كان قليلا إلا أن إعجابه به كان واضحا.

يظهر ذلك من خلال قوله: " وراكب هذا البحر [يعني التصوف] في سفينة الأمر وظيفته : مصادمة أمواج القدر ومعارضتها بعضها ببعض . و إلا هلك . فيرد القدر بالقدر .

وهذا سير أرباب العزائم من العارفين .

وهو معنى قول الشيخ العارف القدوة عبد القادر الكيلاني : "الناس إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، إلا أنا فانفتحت لي روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ، و الرجل من يكون منازعا للقدر لا مستسلما مع القدر" ولا تتم مصالح العباد في معاشهم إلا بدفع الأقدار بعضها ببعض فكيف في معادهم "[٣].

---

(١) مدارج جـ٣ ص١٢ .

(٢) انظر ترجمته في : أبو الحسن الندوي ، **رجال الفكر والدعوة** ص٢٤٨،٢٦٦ .

(٣) مدارج جـ١ ص١٩٩ .

إضافة إلى هذا الثناء على عقيدته في القدر وموقفه تجاهه فقد وافقه ابن القيم في رأيه في أنواع الصبر حيث قال :

"الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام : صبر على الأوامر والطاعات، حتى يؤديها، وصبر عن المناهي والمخالفات، حتى لا يقع فيها، وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها.

وهذه الأنواع الثلاثة هي التي قال فيها الشيخ عبد القادر في (فتوح الغيب) : لا بد للعبد من أمر يفعله، ونهي يجتنبه وقدر يصبر عليه"[١].

كما أنه أثنى عليه ثناء حسنا في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية)حيث وصفه بأنه : (الشيخ الإمام العارف قدوة العارفين الشيخ عبد القادر الجيلاني قدّس الله روحه)[٢].

وهو في هذا موافق لشيخه ابن تيمية الذي وصف الشيخ عبد القادر بقطب العارفين. وذلك في كتابه(الاستقامة)[٣].

---

(١) عدة الصابرين ص٢٨.

(٢)ص ١٧٥.

(٣) ابن تيمية، **الاستقامة**،ج٢، ص٨٥.

المبحث الثـــاني

متفلسفة الصوفية وأهل وحدة الوجود

وهــؤلاء لــم يجــد ابــن القيــم بــدأ مــن الأنكارعليــهم وبيــان ضــلال عقــــائدهم ومخالفتها للكتاب والسنة. وفيما يلي موقفــــه مــن أشــهر أئمتــهم فــي ثلاثــة مطــالب.

المطلــب الأول

موقفه من ابن سينا

أشهر هؤلاء ابن ســـينا الــذي يســميه ابــن القيــم (شــيخ الملحديــن) حيــث قــال: بعــد بيــان مســلك الجبريــة -وابــن ســنيا عنــده منــهم-فــي حديــث احتجـــاج آدم و موسى : "فإن هـــذا المســلك لــو صــح لبطلــت الديانــات جملــة ... ولــهذا قــال شــيخ الملحديــن ابــن ســينا فــي إشــاراته : العــارف لاينكــر منكــراً لاســتبصاره بســـر الله في القدر .وهذا كــلام منســلخ مــن الملــل و متابعــة الرســل"[١] .

وقد بين ابن القيم انــــه لا يتحــامل علــى هــؤلاء وإنمــا هــو يحاكمــهم الــى أقوالــهم ويزنــها بالكتــاب و الســنة . قــال:" ولعــل الجــاهل يقــول : إنّــا تحاملنــا عليــهم فــي نسبة الكفــر بــالله و ملائكتــه وكتبــه ورســله إليــهم وليــس هــذا مــن جهلــه بمقــالات القوم ، وجهلــه بحقــائق الإســلام ببعيــد"[٢] .

ثــم قــال- مبينــاً عقيــدة ابــن ســينا فــي الله تعــالى وصفاتـــــه-: " فـــاعلم أن الله – سبحانه وتعـــالى عمــا يقولــون – عندهــم كمــا قــرره افضــل متــأخر يــهم و لســانهم وقدوتهم الذي يقدمونـــه علــى الرســل : أبــو علــي بــن ســينا : هــو الوجــود المطلــق بشرط الإطلاق وليس لـــه عندهــم صفــة ثبوتيــة تقــوم بــه، ولا يفعــل شــيئاً باختيــاره ألبتة، ولا يعلم شـــيئاً مــن الموجــودات أصــلاً: لا يعلــم عــدد الأفــلاك، ولا شــيئاً مــن المغيبات، ولا له كـــلام يقــوم بــه، ولا صفــة".[٣] .

---

(١) شــفاء العليـــل ص٢٧.

(٢) إغاثــة اللــهفان جـــ ٢ ص ٢٤٢

(٣) المرجع الســابق بنفــس الجــزء والصفحــة . .

المطلب الثـــاني

موقفه من ابن سبعين

ومنــهم أيضــا(ابــن ســبعين) الــذي بيــن ابــن القيــم أنــه طلـــــب النبـــوة لأن خصائصها عنــده وعنــد أســاتذته تحصـــل بالإكتســاب.

وفي ذلـــك يقــول: " ولــهذا طلــب النبــوة مــن تصــوف علــى مذهــب هــؤلاء كــابن ســـبعين ... "[١]

وابن ســبعين هــذا مــن القــائلين بإســقاط التكــاليف الشــرعية، قــال ابــن القيــم : "وقــد أخــبرني مــن رأى ابــن ســبعين قــاعداً فــي طــرف المســجد الحــرام وهـــو يسخر مـــن الطــائفين ويذمــهم، ويقــول : كأنــهم حُمُــر المــدار، ونحــو هــذا، وكــان يقول : إقبالهم على الجمعيـــة أفــل لـــهم"[٢]

ثم يبين ابن القيــم حــال هــذا الرجــل ومــن قــال بقولــه مــن الصوفيــة فيقــول : "ولا ريــب أن هــؤلاء مؤثــرون لحظوظــهم علــى حقــوق ربــــهم، واقفـــون مـــع أذواقهم ومواجيدهم فــانين بــها عــن حــق الله ومــراده.

وســمعت شــيخ الإســلام ابــن تيميــة - قــدّس الله روحــه - يحكــي عــن بعــض العارفين أنه قـــال: العامــة يعبــدون الله، وهــؤلاء يعبــدون نفوســـهم"[٣].

المطلب الثـــالث

موقفه من العفيف التلمساني

ومن أهل وحـــدة الوجــود (العفيــف التلمســاني)[٤] الــذي نقــل ابــن القيــم فــي حقــه قولــه: "وســئل أفضــل متأخريــهم العفيــف التلمســاني فقيــل لـــــه : إذا كـــان الوجود واحداً فما الفـــرق بيـــن الأخــت و البنــت ولأجنبيــة حتــى تحــلّ هــذه وتحــرم هــذه ؟ فقــال : الجميــع عندنــا ســواء . ولكــن هــؤلاء المحجوبــون قــالوا : حــرام . فقلنا : حـــرام عليكــم "[٥] .

---

(٢)إغاثــة اللــهفان جــــ٢ ص٢٤٣.

(٢)، (٣) مــدارج جـــــ١ ص٢٦٠.

(٤) هو ســـليمان بــن علــي بــن عبــد الله، عفيــف الديــن التلمســـاني، وكـــان يتصــوف ويتكلــم فــي التصــوف علــى طريقــة ابــن عربــي. وقــد اتــهم برقــة الديــن والميــل إلــى مذهــب النصيريـــــة. ت٦٩٠ هــــ. انظــر ترجمتــه فــي البدايــة و النهايــة ج١٣ص٣٢٦، والأعــلام جــــ٣ ص ١٣٠.

(٥) روضـــة المحبيـــــن ص١٢٦،١٢٧.

المبحث الثالث

من خلط من الصوفية بين صلاح السيرة والشطحات الكبيرة التي لا تليق

فهؤلاء قوم اشتهروا بالصلاح ، والعبادة ، والدعوة إلى السنة ، لكنهم غلبت عليهم بعض الواردات فأذهلتهم ، أو أنهم تحققوا بالفناء الذي بيّنا رتبته؛ فصدرت عنهم نتيجة لذلك وهم في ذلك الحال من غياب الوعي: شطحات كبيرة لا تليق .

ولو أنهم كانوا في حال الصحو والرشد لما تكلموا بشيء من ذلك . والله أعلم . وأبرز هؤلاء الذين أثنى ابن القيم على صلاحهم وأنكر شطحاتهم في نفس الوقت ثلاثة وهم : أبو بكر الشبلي ، وأبو يزيد البسطامي ، وأبو إسماعيل الهروي . وسأتحدث عن موقف ابن القيم من كل منهم في مطلب مستقل.

المطلب الأول

موقفه من أبي بكر الشبلي

أبو بكر الشبلي هو أحد مشايخ الصوفية . قال الجنيد : الشبلي تاج هؤلاء . وقد ذكر له أحوال وكرامات . ولما حضرته الوفاة أمر خادمه أن يوضئه ، فوضأه وترك تخليل لحيته، فرفع الشبلي يده ــ وقد كان اعتقل لسانه ــ فجعل يخلل لحيته . توفي سنة ٣٣٤ هـ [١] .

وموقف ابن القيم من الشبلي – رحمه الله - موقف الاحترام والتقدير، وتصويب ما كان عليه من صواب في القول والفعل، و في نفس الوقت إنكار ما يخالف الشرع من أقواله وأفعاله، مع رجاء العذر والمغفرة له؛ لغلبة الحال عليه ولصحة عقيدته وسيرته.

فمن المواضع التي أثنى فيها ابن القيم على الشبلي وكلامه الحسن قوله - ضمن شرحه لمعنى (المشاهدة) عند الصوفية واختلافهم فيه – : "ولله درّ الشبلي حيث سئل عن المشاهدة؟ فقال: من أين لنا مشاهدة الحق؟ لنا شاهد الحق.

---

(١)انظر ترجمته في صفة الصفوة جـ ١ ص ٤٦٣ والبداية والنهاية جـ ١١ص٢١٥.

هذا وهو صاحب الشطحات المعروفة. وهذا من أحسن كلامه وأبينه.

وأراد بشاهد الحق : ما يغلب على القلوب الصادقة العارفة الصافية من ذكره ومحبته وإجلاله وتعظيمه وتوقيره، بحيث يكون ذلك حاضرا فيها، مشهودا لها، غير غائب عنها".[1]

و قد ذكر ابن القيم بعض شطحاته في منزلة الغيرة - عندما بين خطأ القائلين بالغيرة على الله- حيث قال:" ومن هذا ما يحكى عن الشبلي : أنه لما مات ابنه دخل الحمام ونور لحيته ، حتى أذهب شعرها كله. فكل من أتاه معزيا قال : إيش هذا يا أبا بكر ؟ قال : وافقت أهلي في قطع شعورهم .فقال له بعض أصحابه : أخبرني لم فعلت هذا ؟ فقال : علمت أنهم يعزونني على الغفلة . ويقولون : أجرك الله .ففديت ذكرهم لله على الغفلة بلحيتي .

فانظر الى هذه الغيرة المحرمة القبيحة التي تضمنت أنواعا من المحرمات : حلق الشعر عند المصيبة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من حلق وسلق وخرق)[1] أي حلق شعره ورفع صوته بالندب وخرق ثيابه . ومنها حلق اللحية وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعفائها وتوفيرها[2] . ومنها منع إخوانه من تعزيته ونيل ثوابها . ومنها كراهته لجريان ذكر الله على ألسنتهم بالغفلة . وذلك خير بلا شك من ترك ذكره .

فغاية صاحب هذا أن تغفر له هذه الذنوب ويعفى عنه . وأما أن يعد ذلك في مناقبه ، وفي الغيرة المحمودة : فسبحانك هذا بهتان عظيم"[3].

وقال ابن القيم معقبا على هذه القصة وغيرها في موضع أخر:" ويا عجبا ممن يعد هذا في مناقب رجل ويجعله قدوة ويزين به كتابه . وهل شئ أشد على قلب المؤمن وأمر عليه من أن لا يرى لربه ذاكرا؟ "[4].

(١) مدارج، جـ٣ ص٦٦.

(٢) أخرجه مسلم برقم ١٠٤ من حديث أبي موسى الأشعري.

(٣) جاء ذلك في أحاديث كثيرة، أنظر : البخاري برقم ٥٨٨٨، ومسلم برقم ٢٥٩، والترمذي برقم ٣٧٦٣، ثلاثتهم عن ابن عمرو انظر كذلك مسلم:٢٦١، والترمذي:٢٧٥٧، والنسائي : ٥٠٤٠، ثلاثتهم عن عائشة.

(٤) مذارج جـ٣ ص ٤٥ وما بعدها.

(٥) إشارة إلى قول الشبلي عندما سئل متى تستريح ؟ قال : عندما لا أرى لله ذاكرا. انظر: روضة المحبين، ص٢٨٧.

ثم قال :" وهل شيئ أقر لعينه من أن يرى ذاكرين الله بكل مكان . وعذر هذا القائل أنه لا يرى ذاكرا لله بحق الذكر بل لا يرى ذاكرا إلا والغفلة و السهوة مستولية على قلبه ، فيذكر ربه بلسان فارغ من القلب وحضور في الذكر ، وذلك ذكر لا يليق به فيغار محبة أن يذكر بهذا الذكر ، فلا يحسب أن يسمع أحدا يذكره هذا الذكر .

ولما اشترك الناس في هذا الذكر اخبر أن راحته أن لا يرى له ذاكرا . هذا أحسن ما يحمل عليه كلامه ، وإلا فظاهره الى العداوة أقرب منه الى المحبة .

وليس هذا حال الشبلي رحمه الله تعالى فإن المحبة كانت تغلب عليه ، ومع ذلك فهو من شطحاته التي يرجى أن تغفر له بصدقه ومحبته وتوحيده ، لا أنها مما يحمد عليه و يقتدي به فيه" [(١)].

المطلب الثاني

موقفه من أبي يزيد البسطامي

والاختلاف في أبي يزيد البسطامي أكبر من الاختلاف في الشلبي فمن الناس من يعتبرونه أحد الأقطاب ومنهم من يكفرونه . ومنهم كابن القيم من ينصفونه .

ولنعرف به قبل أن نبين موقف ابن القيم منه ومن شطحاته :

هو طيفور بن عيسى أحد مشايخ الصوفية وله مقامات ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهره . وهو القائل : إذا رأيتم الرجل قد أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود والوقوف عند الشريعة. توفي سنة ٢٦١هـ.

قال ابن كثير: "وقد حكي عنه شطحات ناقصات . وقد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية وحملوها على محامل بعيدة ، وقد قال بعضهم إنه قال ذلك في حال الاصطلام و الغيبة . ومن العلماء من بدعه وخطأه وجعل ذلك من أكبر البدع وأنها تدل على اعتقاد فاسد كامن ظهر في أوقاته . والله أعلم)[(٢)] .

---

(١) انظر ترجمته في صفة الصفوة ج٢ ص٧٦١ والبداية و النهاية جـ١١ ص٣٥ .

(٢) البداية و النهاية ج١١ ص٣٥ .

أما ابن القيم فقد أنصف الرجل ، بل تساهل في إنكار شطحاته وبالغ في التأول لها ورجا له العذر والمغفرة. وقبل ذلك كان يستشهد بكلامه الصحيح في مواضعه المناسبة .

فمن ذلك تعريف أبى يزيد للمحبة قال ابن القيم في التعريف السابع الذي أورده من تعريفات المحبة :" استقلال الكثير من نفسك ، و استكثار القليل من حبيبك .وهو قول أبى يزيد . وهو أيضا من أحكامها وموجباتها وشواهدها "[١] .ثم يؤكد صحة قول أبى يزيد فيقول [٢]: "والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله و استحقره منه ، ولو ناله من محبوبه أيسر شيء لاستكثره واستعظمه ".

ومن ذلك أيضا استشهاده بقول غريب من أقوال أبي يزيد ضمن كلامه عن النفس وأنهاحجاب بين العبد وربه، يقول : "... من قواعد القوم المجمع عليها بينهم، التي اتفقت كلمة أولهم وآخرهم، ومحققهم ومبطلهم عليها : أن النفس حجاب بين العبد وبين الله، وأنه لا يصل إلى الله حتى يقطع هذا الحجاب، كما قال أبو يزيد: رأيت رب العزة في المنام، فقلت يا رب، كيف الطريق إليك؟ فقال : خل نفسك وتعال.

فالنفس جبل عظيم شاق في طريق السير إلى الله عز وجل، وكل سائر لا طريق له إلا على ذلك الجبل، فلا بد أن ينتهي إليه، ولكن منهم من هو شاق عليه، ومنهم من هو سهل عليه، وإنه ليسير على من يسره الله عليه"[١].

ويظهر لنا تقدير ابن القيم لأبي يزيد عندما يصفه ويحيى بن معاذ بالعارفان ثم يقول مكبرا لشأنهما : "وهما هما" وذلك في كتابه طريق الهجرتين- ضمن كلام له عن المفاضلة بين كتمان المحبة وإظهارها- حيث يقول : "كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد : سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته. فكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السماوات والأرض ما روي بعد، ولسانه خارج وهو يقول: هل من مزيد؟

---

(١) مدارج جـ ٣ص١٢.

(٢) المرجع ذاته بالجزء والصفحة .

(٣) مدارج جـ ٢ ص٧.

فلم ير هذان العارفان التكتم بها وإخفاءها وجدها، وهما هما"[١].

ومن تقديره له أيضا استشهاده بكلامه الصحيح في المواضع الشريفة.

فقد تكلم ابن القيم عن مشقة العبادة والسلوك إلى الله على النفس في مبدأ الأمر ثم حلاوة ذلك واستراحة النفس إليه بعد المجاهدة، فاستشهد لهذا الموضوع بقول لأبي يزيد فقال : "قال أبو يزيد : سقت نفسي إلى الله وهي تبكي، فما زلت أسوقها حتى انساقت إليه وهي تضحك"[٢].

ففي استشهاده بهذا القول لأبي يزيد شهادة منه له بأنه جاهد نفسه في الله حتى استقامت وسارت مطمئنة فرحة بفضل الله ورحمته. والله أعلم.

وقد خالف ابن القيم أبا يزيد في منزلة الإرادة حيث قال: " والقسم الرابع[٣] -وهو محال-: أن يريد الله ولا يريد منه . فهذا هوا الذي يزعم هؤلاء أنه مطلوبهم ، وأن من لم يصل اليه ففي سيره علة وأن العارف ينتهي الى هذا المقام وهو أن يكون الله مراده ولا يريد منه شيئا. كما يحكى عن أبي يزيد أنه قال : قيل لي : ماتريد ؟ فقلت أريد أن لا أريد .

وهذا في التحقيق عين المحال الممتنع عقلا وفطرة وحسا وشرعا . فإن الإرادة من لوازم الحي . وإنما يعرض له التجرد عنها بالغيبة عن عقله وحسه كالسكر والإغماء والنوم . فنحن لا ننكر التجريد عن إرادة ما سواه من المخلوقات التي تزاحم إرادتها إرادته . أفليس صاحب هذا المقام مريدا لقربه ورضاه ...؟ وأي إرادة فوق هذه الإرادة ؟ .

وإن حاكمنا في ذلك محاكم إلى ذوق مصطلم مأخوذ عن نفسه ، فإن عن عوالمها : لم ننكر ذلك. لكن هذه حال عارضة غير دائمة ولا هي غاية مطلوبة للسالكين...ولا مأمور بها"[٤] .

---

(١) طريق الهجرتين ص٣٣٩.

(٢) طريق الهجرتين ص ٣٤٩.

(٣) يعني القسم الرابع من أقسام الناس في إرادتهم لله تعالى وإرادتهم لثوابه.

(٤) مدارج، ج٢، ص٨٨ .

أما شطحات أبي يزيد التي أشار إليها ابن كثيرفي عبارته التي نقلتها آنفا ــ وهي مشهورة ــ [١] فقد أشار إليها ابن القيم في غير موضع ، أشهرها قول أبي يزيد: "سبحاني" حيث اعتبر ابن القيم هذا من باب الشطح الذي يعذر صاحبه لغلبة الحال عليه ووصف هذه الشطحات بأنها [٢] : " من الشطحات المعروفة المخرجة عن أدب العبودية التي نهاية صاحبها أن يعذر بزوال عقله وغلبة سكر الحال عليه . فلا بد من مقارنة التعظيم والإجلال لبسط المشاهدة وإلا وقع في الجرأة ولا بد . فالمراقبة تصونه عن ذلك" .

المطلب الثالث

موقفه من أبي إسماعيل الهروي

أبو إسماعيل الهروي إمام كبير أثنى عليه ابن القيم في مواضع كثيرة ، وبرأه مما نسب إليه من العقائد الباطلة ، لكنه مع ذلك بين أخطاءه المتكررة في المنازل . وقبل أن ننقل كلام ابن القيم في الهروي نعرف به في سطور قليلة تفي بالغرض :

هو عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري ،كان على مذهب السلف في العقيدة، وعلى مذهب الإمام أحمد في الفروع . وهو إمام في الحديث والتصوف والتفسير.

وكان يدخل على الأمراء والجبابرة فما يبالي بهم، ويرى الغريب من المحدثين فيبالغ في إكرامه.

أخذت عليه عباراته المتكررة المتقاربة في الدرجة الثالثة من كل منزلة من منازله التي شرحها ابن القيم في مدارج السالكين وبين ما فيها وبرأه من الاتحادية الذين ينسبونه ــ بسبب تلك العبارات ــ إليهم [٣] .

أما ثناء ابن القيم على الهروي فمنه ما كان بعد شيء من كلامه الحسن ومنه ما كان بعد شيء من كلامه المعبر عن الفناء ولوازمه التي شطحت بعباراته بعيدا عن الصواب .

---

(١) أنظر : ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ص٣٦٤.

(٢) انظر ترجمته في مقدمة رسالة الغربة لابن القيم ، إعداد المحقق عمر بن محمود ابو عمر ،(وموقف أئمة الحركة السلفية).لعبد الحفيظ المكي ص٢٦ .

(٣) مدارج، جـ ٢ ص٨٧،٨٨.

فمن الأول ما قاله ابن القيم بعد شرحه للدرجة الثانية من منزلة "تعظيم حرمات الله" مشيرا إلى قول الهروي : (الدرجة الثانية : إجراء الخبر على ظاهره ...) قال : " وهذا الكلام من شيخ الإسلام يبين مرتبته من السنة ومقداره في العلم ، وأنه بريء مما رماه به أعداؤه الجهمية من التشبيه والتمثيل على عادتهم في رمي أهل الحديث والسنة كذلك، ... " [(١)] .

ومن الثاني تعليقه على قول الهروي : "إن مشاهدة العبد الحكم لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة، لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم" [(٢)] ــ بعد أن بين ما فيه ــ حيث قال: "فهذا الكلام الأخير ظاهرا يبطل استحسان الحسن واستقباح القبيح. والشرائع كلها مبناها على استحسان هذا واستقباح هذا. بل مشاهدة الحكم تزيد البصير استحسانا للحسن واستقباحا للقبح. وكلما ازدادت معرفته بالله وأسماءه وصفاته وأمره قوي استحسانه واستقباحه، فإنه يوافق في ذلك ربه ورسوله ومقتضى الأسماء الحسنى والصفات العلى.

وقد كان شيخ الإسلام [يعني الهروي] في ذلك موافقا للأمر، وغضبه لله ولحدوده ومحارمه ومقاماته في ذلك شهيرة عند الخاصة والعامة." [(٣)]

أما المواضع التي اعترض فيها ابن القيم على الهروي فكثيرة منها :

قول ابن القيم مبينا خطأ الهروي المتكرر في الدرجة الثالثة في معظم أبواب كتابه : (والشيخ ممن يبالغ في إنكار الأسباب ولا يرى وراء الفناء في توحيد الربوبية غاية . وكلامه في الدرجة الثالثة في معظم الأبواب يرجع الى هذين الأصلين . وقد عرفت ما فيهما و أن الصواب خلافهما . وهو إثبات الأسباب و القوى . وأن الفناء في توحيد الربوبية ليس هو غاية الطريق . بل فوقه ما هو أجل منه وأعلى وأشرف .

ومن هاتين القاعدتين عرض في كتابه من الأمور التي أنكرت عليه ما عرض.) [(٤)]

---

(١) مدارج جـ٢ ص٥٢.

(٢)،(٣) شفاء العليل، ص٢٩،٣٠.

(٤) مدارج جـ١ ص ٥١٩،٥٢٠.

وقريب من هذا الكلام قوله: " و الذي أوجب للشيخ هذا القدر:[١] الاسترسال في القدر .

و الفناء في شهود الحقيقة الكونية . فإنه من الراسخين فيه الذين لا تأخذهم فيه لومة لائم .وهو شديد في إنكار الأسباب .

وهذا موضع زلت فيه أقدام أئمة أعلام . ولولا ان حق الحق أوجب من حق الخلق لكان في الإمساك فسحة ومتسع"[٢] .

وقبل هذا الكلام بقليل قال[٣] معقبا على قول الهروي " الرجاء أضعف منازل المريدين " : (هذا ونحوه من الشطحات التي ترجى مغفرتها بكثرة الحسنات ويستغرقها كمال الصدق ، وصحة المعاملة ، وقوة الإخلاص ، وتجريد التوحيد ، ولم تضمن العصمة لبشر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .)

ومن أشد عبارات ابن القيم في اعتراضه على الهروي وإنكار كلامه : قولهفي منزلة الفكرة : "وقد خبط صاحب المنازل في هذا الموضع . وجاء بما يرغب عنه الكمل من سادات السالكين والواصلين إلى الله . فقال : " الفكرة في عين التوحيد : اقتحام بحر الجحود " "[٤] .

ثم قام بشرح هذا الكلام بناء على أصل (الفناء) الذي بنى الهروي عليه كتابه . وبين كلام الإتحادية في شرحهم لذلك الكلام على عقيدتهم . ثم قال: "فرحمة الله على أبي اسماعيل . فتح للزنادقة باب الكفر والإلحاد . فدخلوا منه وأقسموا بالله جهد أيمانهم إنه لمنهم . وما هو منهم . وغره سراب الفناء

---

(١) يعني خطاه في منزلة الرجاء بانتقاصه إياها.

(٢) مدارج جـ٢ ص٤٤ .

(٣) مدارج جـ٢ ص٣٩ .

(٤) مدارج جـ١ ص١٤٧ .

فظن أنه لجة بحر المعرفة ، وغاية العارفين . وبالغ في تحقيقه وإثباته . فقاده قسرا إلى ما ترى"[١] .

ومن أجمل مواضع الإنصاف للهروي ما قاله ابن القيم[٢] بعد شرح قول الهروي في حقائق التوبة أن منها : " طلب أعذار الخليقة ". حيث قال مبينا مقصود الهروي بهذه العبارة : "أن تطلب أعذارهم نظرا إلى الحكم القدري وجريانه عليهم شاءوا أم أبوا ، فتعذرهم بالقدر وهذا القدر ينتهي إليه الكثير من السالكين ، الناظرين إلى القدر الفانين في شهوده .

وهو كما تقدم درب خطير جدا ، قليل المنفعة ، لا ينجي وحده .

وأظن هذا مراد صاحب المنازل ؛ لأنه قال بعد ذلك : "مشاهدة العبد الحكم لم يدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة ؛ لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم " .

وهذا الشهود شهود ناقص مذموم"[٣] . فإن صاحبه يعتبر إن عذر أعداء الله وأهل مخالفته: عاذرا من لم يعذره الله.

ثم قال بعد ذلك : "ولا توجب هذه الزلة من شيخ الإسلام إهدار محاسنه ، وإساءة الظن به. فمحله من العلم والإمامة والمعرفة والتقدم في طريق السلوك المحل الذي لا يجهل"[٤] .

وقال أيضا في إنصاف الهروي غاية الإنصاف : "وصاحب المنازل ــ رحمه الله ــ كان شديد الإثبات للأسماء والصفات ، مضادا للجهمية من كل وجه .وله كتاب (الفاروق) استوعب فيه أحاديث الصفات وآثارها ، ولم يسبق إلى مثله . وكتاب (ذم الكلام وأهله) طريقته فيه أحسن طريقة . وكتاب لطيف في أصول الدين يسلك فيه طريقة أهل الإثبات ويقررها . وله مع الجهمية المقامات المشهودة . وسعوا بقتله إلى السلطان مرارا عديدة . والله يعصمه منهم .

---

(١) مدارج جـ١ ص١٤٨ .

(٢) مدارج جـ١ ص١٨٨ .

(٣) مدارج جـ١ ص١٩٨ .

(٤) المرجع ذاته بنفس الجزء والصفحة.

ولكنه ـ رحمه الله ـ كانت طريقته في السلوك مضادة لطريقته في الأسماء والصفات . فإنه لا يقدم على الفناء شيئا . ويراه الغاية التي يشمر إليها السالكون والعلم الذي يؤمه السائرون .

واستولى عليه ذوق الفناء وشهود الجمع وعظم موقعه عنده . واتسعت إشاراته إليه . وتنوعت به الطرق الموصلة إليه علما وحالا وذوقا؛ فتضمن ذلك تعطيلا من العبودية باديا على صفحات كلامه . وزان تعطيل الجهمية لما اقتضته أصولهم من نفي الصفات .

ولما اجتمع التعطيلان لمن اجتمعا له ـ من السالكين ـ تولد منهما القول بوحدة الوجود، المتضمن لإنكار الصانع وصفاته وعبوديته. وعصم الله أبا إسماعيل؛ باعتصامه بطريقة السلف في إثبات الصفات. فأشرف من عقبة الفناء على وادي الاتحاد بأرض الحلول . فلم يسلك فيها"[(١)] .

وبعد : فلا تستطل استقصائي لعبارات ابن القيم التي قالها في الهروي ، نقدا وثناء ؛ فإنها خلاصة موقفه من التصوف والصوفية . كما أنها مدرسة في الإنصاف لمن أراد أن يتعلمه ويتحقق به .

ومن هذا المنطلق يجدر بي قبل الختام أن أعتذر لشيخ الإسلام الهروي عما بيلته هاهنا من كلامه الذي قد يحمل البعض على انتقاص قدره، فأقول مع ابن القيم : "والله يشكر لشيخ الإسلام سعيه ويعلي درجته ويجزيه أفضل جزائه و يجمع بيننا وبينه في محل كرامته .فلو وجد مريده[(٢)] سعة وفسحة في ترك الاعتراض عليه واعتراض كلامه لما فعل . كيف وقد نفعه الله بكلامه ؟ وجلس بين يديه مجلس التلميذ من أستاذه . وهو أحد من كان على يديه فتحه يقظة و مناما ؟

---

(١) مدارج جـ١ ص٢٦٣،٢٦٤.

(٢) يعني ابن القيم نفسه. وإني لأرجو أن أكون معه مريدا لشيخ الإسلام الهروي ـ رحمه الله ـ.

وهذا غاية جهد المقل في هذا الموضع .فمن كان عنده علم فليجد به، أو فليحذر ولا يبادر إلى الإنكار .

فكم بين الهدهد و نبي الله سليمان ؟ وهو يقول له : " أحطت بما لم تحط به "[١] وليس شيخ الإسلام أعلم من نبي الله . ولا المعترض عليه بأجهل من هدهد . والله المستعان"[٢].

واحب أن أختم هذا المبحث بعبارتين من أروع عبارات ابن القيم في الإنصاف ، أجلتهما إلى النهاية لعمومهما وبلاغتهما ، وشديد حاجة الناس في زماننا ــ عامة ، وأهل العلم خاصة ــ إلى معانيهما : يقول ابن القيم: "وكل فمأخوذ من قوله ومتروك إلا المعصوم صلوات الله وسلامه عليه . والكامل من عد خطؤه"[٣] .

ويقول: "ولكن من عدا المعصوم صلى الله عليه وسلم فمأخوذ من قوله ومتروك . ومن ذا الذي لم تزل به القدم ، ولم يكب به الجواد؟"[٤] .

---

(١) النمل، ٢٢.

(٢) مدارج، جـ٢، ص٥٢.

(٣) مدارج جـ١ ص١٩٨ .

(٤) مدارج جـ١ ص٢٢٧ .

الخاتمة

أختم بحثي المتواضع هذا بتلخيص أهم نتائجه على شكل نقاط:

١-بدأ ابن القيم بالميل إلى التصوف، ومحبة الصوفية الصالحين منذ صغره.

٢-شيخ ابن القيم في التصوف بشكل خاص هو الشيخ أبو العباس عماد الدين، أحمد بن إبراهيم، الواسطي. المتوفى سنة ٧١١ هـ.

٣-بنى ابن القيم موقفه من التصوف والصوفية بعد التحقق بالتصوف علما وحالا، والاطلاع على كتب الصوفية وسيرهم على اختلاف مناهجهم.

٤-أنصف ابن القيم صوفية عصره، ولم ينصفوه.

٥-للتصوف الإسلامي منهجين متميزين : منهج التصوف الإسلامي الأصيل، ومنهج التصوف المنحرف المشوب بالفلسفات الغريبة والانحرافات السلوكية.

٦-لم ينكر ابن القيم التصوف، بل دعا إلى إقامته على أصول إسلامية صافية : القرآن الكريم، السنة النبوية الشريفة، تحكيم العلم على الحال، العبادة، والهداية الإلهية.

٧-كان لابن القيم آراؤه المتميزة في الأحوال والمقامات الصوفية.

٨-بين ابن القيم مزالق الصوفية، ولم يجاملهم، رغم حبه وتقديره لكبار أئمتهم. وحدد هذه المزالق في أمور أهمها : الفناء وما أوصل إليه من وحدة وجود، عقيدة الجبر وما ارتبط بها من إسقاط التكاليف، وأخيرا القول بالحلول وما ارتبط به من انحرافات.

٩-كان ابن القيم منصفا في موقفه من الشخصيات الصوفية التي تحدث عنها. وقد ميزتها في ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : أهل الاستقامة، الذي أثنى عليهم ابن القيم، عقيدة وعلم وسلوكا.

الصنف الثاني : أهل الانحراف، والفلسفات الغريبة. وقد بين ابن القيم ضلالهم وكفر بعضهم في بعض المواضع.

الصنف الثالث : الذين خلطوا بين صالح عملهم وسيء شطحاتهم. وهؤلاء تميز ابن القيم بإنصافهم غاية الإنصاف: حيث بين أخطائهم وخطورة شطحاتهم. لكنه في نفس الوقت التمس لهم العذر قدر

المستطاع، وأثنى على حسن سيرتهم وعقيدتهم راجيا بذلك العفو والمغفرة وحسن المآب.

وبهذا ينتهي هذا البحث المتواضع.

فما كان فيه من خير وصواب فمن الله وحده. وما كان فيه من خطأ ونقص فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله منه، وأرجو من القارئ الكريم العذر والسماح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أولا: القــرآن الكريــم.

ثانيا: المراجــع:

١- أبــو الحســن النــدوي، رجــال الفكــر والدعــوة فــي الإســـلام، ط٦، ج١، دار القلــم، الكويــت، ١٩٨٢م.

٢- أبــو العــلا عفيفــي، التصــوف الثــورة الروحيـــة فـــي الإســـلام، ط١، دار المعــارف، مصــر، ١٩٨٢م.

٣- أحمــد شــلبي، الحــروب الصليبيــة، ط: بــدون، المجلــس الأعلـــى للشـــؤون الإســـلامية، القـــاهرة، ١٩٦٦م.

٤- أحمــد عطيــة، القـــاموس الإســـلامي، ط١، مكتبـــة النهضـــة المصريـــة، القـــاهرة،١٩٧٩م.

٥- أحمــد مــاهر البقــري، ابــن القيــم مــن أثــاره العلميــة، ط:بــدون، مؤسســـة شــباب الجامعــة، الإســـكندرية، ١٩٨٦م.

٦- أنــور الجنــدي، الإســلام فــي أربعــة عشــر قرنــا، ط: بــدون، دار الاعتصــام، القاهرة، سـنة بـدون.

٧- أنــور الجنــدي، نوابــغ الفكــر الإســلامي، دار الرائـــد العربـــي، بـــيروت، ١٩٨٣م.

٨- أنــور فــؤاد أبــو خــزام، معجــم المصطلحــات الصوفيــة، مراجعــة د.جـــورج مــتري، ط١، مكتبــة لبنـــان ناشــرون، بـــيروت، ١٩٩٣م.

٩- بكر بــن عبــد الله أبــو زيــد، ابــن قيــم الجوزيــة حياتــه وآثــاره، ط٢، مكتبــة المعــارف، الريـــاض ، ١٩٨٥م.

١٠- بكــر بــن عبــد الله أبــو زيــد، مــوارد ابــن القيــم فــي كتبــه، ط٢، مكتبـــة المعــارف، الريـــاض، ١٩٨٥م.

١١- جميــل صليبــا، المعجــم الفلســفي، ط بــدون، دار الكتــاب اللبنــاني، بـــيروت، ١٩٧٩م.

١٢- حســن البنـــا، مجموعـــة الرســـائل، ط بـــدون، دار التوزيـــع والنشـــر الإســلامية، القـــاهرة، ١٩٩٢م.

١٣- حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية، ط٢، مؤسسة مختار، القاهرة، ١٩٩٢م.
١٤- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط١٠، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.
١٥- زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق،ج١، ط١، مطبعة الرسالة، ١٩٣٨م.
١٦- زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج٢، ط٢، دار الكتاب العربي، ١٩٥٤م.
١٧- زهير ظاظا، ترتيب الأعلام على الأعوام، دار الأرقم، بيروت، ط وسنة بدون.
١٨- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط١٧، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٢م.
١٩- عبد الحفيظ المكي، موقف أئمة الحركة السلفية من الصوف والصوفية، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٨م.
٢٠- عبد الرحمن الشرقاوي، ابن تيمية الفقيه المعذب، ط بدون، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٠م.
٢١- عبد العظيم عبد السلام شرف الدين، ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه وآرائه في الفقه والعقيدة والتصوف، ط١، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٩٥٦م.
٢٢- عبد القادر محمود، الفلسفة الصوفية في الإسلام: مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة، ط بدون، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
٢٣- عبد المنعم الجداوي، كنت قبوريا، هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمملكة العربية السعودية، ط وسنة بدون .
٢٤- عبد المنعم الحفني، معجنم مصطلحات الصوفية، ط١، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٥- عبد المنعم الهاشمي، من أعلام السلف، ط٢، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٦- عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٧- عزمي طه السيد، التصوف الإسلامي في حقيقته ودوره الحضاري، ط١، دار الشباب، قبرص، ١٩٩٣م.
٢٨- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين،ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٩- عوض الله حجازي، ابن قيم وموقفه من التفكير الإسلامي، ط٣، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٩م.
٣٠- محمد أبو زهرة، ابن تيمية حياته وعصره وآرائه وفكره،ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨م.
٣١- محمد أحمد الراشد، العوائق، ط١٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.
٣٢- محمد بن ربيع المدخلي، حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة، ط بدون، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.
٣٣- محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م.
٣٤- محمد مسلم الغنيمي، حياة ابن قيم الجوزية، ط بدون، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٧٧م.
٣٥- مراد شكري، دفع الشبه الغوية عن شيخ الإسلام ابن تيمية، ط١، دار النشر بدون، ١٩٩٤م.
٣٦- مصطفى حلمي، التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث، ط بدون، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٣م.
٣٧- المنجد في اللغة والأعلام، ط٣٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢م، (المؤلف غير مذكور).

ثالثا: المصادر

٣٦-إبراهيم بن محمد، ابن مفلح، ت ٨٨٤هـ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، سنة بدون.
٣٨- أحمد بن الحسين البيهقي، ت ٤٥٨هـ، السنن الصغرى، تحقيق د. محمد الأعظم، ط١، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٩٨٩م.

٣٩- أحمد بن حنبل الشيباني، ت ٢٤١هـ، المسند، ط بدون، مؤسسة قرطبة بمصر ، سنة بدون.

٤٠- أحمد بن شعيب النسائي، ت ٣١٣هـ، السنن الصغرى، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م.

٤١- أحمد بن علي، أبو يعلى، ت٣٠٧هـ، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم اسد،ط١، دار المامون للتراث، دمشق، ١٩٨٤م.

٤٢- أحمد بن عمر البزّار، ت٢٩٣هـ، مسند البزّار، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، ط١، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٩٨٩م.

٤٣- علي بن محمد، ابن الأثير، ت ٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ، ط بدون، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.

٤٤- أحمد بن محمد، ابن خلكان، ت ٦٨١هـ، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، ط بدون، دار صادر، ١٩٧٨م.

٤٥- محمد بن الحسين، أبو عبد الرحمن السلمي، ت٤١٢هـ،طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، ط بدون، الناشر: جماعة الأزهر للنشر والتأليف، سنة بدون.

٤٦- أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصفهاني، ت٤٣٠هـ، حلية الأولياء ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

٤٧- احمد بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط٢، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٨٦٦م.

٤٨- أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية،ت ٧٢٨هـ، الاستقامة، تحقيق محمد رشاد سالم، ط٢، مؤسسة قرطبة، شارع الخليفة، مدينة الأندلس- الهرم، ارّخ المحقق لمقدمته بسنة ١٩٨٢م.

٤٩- إسماعيل بن عمرو، ابن كثير، ت٧٧٤هـ، البداية والنهاية، ط٧، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨م.

٥٠- خليل بن أيبك الصفدي، ت٧٦٤هـ،الوافي بالوفيات، باعتناء س ديدر بنج، ط٢، الناشر: فرانز شتايز شتوتغارت، ١٩٧٤م.

٥١- سليمان بن أحمد الطبراني، ت٣٦٠هـ، المعجم الكبير،تحقيق حمدي بن عبد الحميد السلفي، ط٢،مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣م.
٥٢- سليمان بن احمد الطبراني، المعجم الصغير، تحقيق محمد مشكور، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
٥٣- عبد الرؤوف بن علي المناوي، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية أو طبقات المناوي الكبرى، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط وسنة بدون.
٥٤- عبد الحي بن أحمد،ابن العماد، ت١٠٨٩هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط١، دار ابن كثير، ١٩٩٢م.
٥٥- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت٩١١هـ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٥٦- عبد الرحمن بن احمد، ابن رجب الحنبلي، ت٧٩٥هـ، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق أبو حازم أسامة بن حسن وأبو الزهراء حازم علي بهجت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
٥٧- عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون، ت٨٠٨هـ، المقدمة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
٥٨- عبد الرحمن بن علي، ابن الجوزي، ت٥٩٧هـ، تلبيس ابليس، تحقيق السيد العربي، ط بدون، مكتبة الإيمان بالمنصورة، سنة بدون.
٥٩- عبد الرحمن بن علي، ابن الجوزي، صفة الصفوة، دار بن خلدون، الإسكندرية، ط وسنة بدون.
٦٠- عبد الرحمن بن علي، ابن الجوزي، المنتظم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
٦١- عبد الرزاق الكاشاني، ت٧٣٦هـ، رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال، تحقيق سعيد عبد الفتاح، ط بدون، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٥م.
٦٢- عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ط بدون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٨م.

٦٣- عبد الكريم بن هوازن القشيري، ت٤٦٥ هـ، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط وسنة بدون.

٦٤- عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت ٢٥٥ هـ، سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زملي وخالد السبع العلمي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

٦٥- عبد الله بن علي، أبو نصر، السرّاج، ت ٣٧٨ هـ، اللمع، تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، ط بدون، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٦٠م.

٦٦- عمر بن محمد السهروردي، ت ٦٣٠ هـ، عوارف المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط وسنة بدون.

٦٧- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.

٦٨- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١ هـ، أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، ط بدون، رمادي للنشر، الدمام، ١٩٩٧م.

٦٩- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، أسماء مؤلفات ابن تيمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط بدون، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦م.

٧٠- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، اعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق عصام الدين الصبابطي، ط٣، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٧م.

٧١- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط وسنة بدون.

٧٢- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق كمال علي الجمل، مكتبة الإيمان، بالمنصورة، ط وسنة بدون.

٧٣- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تهذيب مختصر أبي داوود، مع مختصر سنن أبي داوود، للمنذري، ومعالم السنن، للخطابي، تحقيق محمد حامد الفقي، ط بدون، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م.

٧٤- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، عالم الكتب، بيروت، ط وسنة بدون.

٧٥- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط وسنة بدون.

٧٦- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط وسنة بدون.

٧٧- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، الروح، تحقيق كمال علي الجمل، ط بدون، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٤م.

٧٨- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط وسنة بدون.

٧٩- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م.

٨٠- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط١، المكتبة القيمة، القاهرة، ١٩٨٩م.

٨١- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، شرح سنن أبي داوود، مع عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

٨٢- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق صلاح عويضة، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٦م.

٨٣- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، شرح ومراجعة إبراهيم رمضان، ط بدون، دار الفكر اللبناني، ١٩٩١م.

٨٤- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق أبي علي مسلم الحسيني، ط١، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٦م.

٨٥- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق يوسف علي بديوي، ط١، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٩٩٣م.

٨٦- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، عالم الكتب، بيروت، ط وسنة بدون.

٨٧- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، الغربة، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، ط١، دار الكتب الأثرية، الزرقاء، ١٩٨٩م.

٨٨- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، الفروسية، تحقيق عزت العطار الحسيني، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.

٨٩- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، الفوائد، المكتبة القيمة، القاهرة، ط وسنة بدون.

٩٠- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، كتاب الصلاة وحكم تاركها، ط١، دار ابن كثير، دمشق، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ١٩٨٩م.

٩١- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، اختصره محمد الموصلي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط وسنة بدون.

٩٢- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، ط بدون، مكتبة السنة المحمدية، ١٩٥٦م.

٩٣- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق محمد بيومي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط وسنة بدون.

٩٤- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق محمد علي أبي العباس، ط بدون، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٩٠م.

٩٥- محمد بن أبي بكر، ابن ناصر الدين الدمشقي، ت ٨٤٢ هـ، الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، تحقيق زهير الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.

٩٦- محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائر الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.

٩٧- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨ هـ، تاريخ الإسلام، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩١م.

٩٨- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد وابن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

٩٩- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

١٠٠-محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، معجم محدثي الذهبي، تحقيق د. روحية عبد الرحمن السويفي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

١٠١-محمد بن إسماعيل البخاري، ت ٢٥٦ هـ، الجامع الصحيح، تحقيق د. مصطفى البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ١٩٨٧م.

١٠٢-محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت ٩٠٢ هـ، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق د. بشار عواد معروف وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٩٥م.

١٠٣-محمد بن عبد الله الحاكم، ت ٤٠٥هـ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق د.مصطفى البغا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

١٠٤-محمد بن عبد المنعم الحميري، ت ٧٢٧هـ(على الأرجح)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

١٠٥-محمد بن علي الحسيني، ت ٧٦٥ هـ، ذيول العبر في خبر من غبر، (الذيل الثاني)، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد وابن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

١٠٦-محمد بن علي الداوودي، ت٩٤٥ هـ، طبقات المفسرين، تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط وسنة بدون.

١٠٧-محمد بن علي الشوكاني، ت ١٢٥٠ هـ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، ط وسنة بدون.

١٠٨-محمد بن عيسى الترمذي، ت٢٧٩ هـ، الجامع الصحيح، تحقيق أحمد شاكر وأخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط وسنة بدون.

١٠٩-محمد بن إبراهيم الكلاباذي، ت ٣٨٠ هـ، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين النواوي، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٠م.

١١٠-محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي، ت ٥٠٥ هـ، إحياء علوم الدين، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط وسنة بدون.

١١١-محمد بن محمد، أبو حامد الغزالي، أيها الولد، ط١، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ١٩٩٣م.

١١٢-مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

١١٣-ياقوت بن عبد الله الحموي، ت ٦٢٦ هـ، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط و سنة بدون.

١١٤-يوسف جمال الدين بن تغري بردي، ت ٨٧٤ هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.

رابعاً : المقالات

١١٥- ماسينيون، "التصوف"، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس، دار المعرفة، بيروت، ط وسنة بدون .

١١٦- كامل الشيبي، "التصوف الإسلامي وتطوره"، مجلة كلية التربية بالجامعة الليبية، العدد الثاني، طرابلس، ١٩٧١م.

٣-With the passage of the days, the enlargement of the regions of Islam, and interlocking of cultures, suffesim started to appear in out side theories about Islam which are prevailed through christnity and other eastren religions.

Therefore, two special approaches were uprising in suffism the first, the original Islamic suffism, which care about meaning and other out side philosophies. The second, the illegal approach and out side philosophies that was unfamiliar with Islamic sources; Qoran and Sunah, which was clear in the strange vocabulary and unpractical behavior.

When have been acknowledged Ibn Qayyim and Islamic suffism, we can understand his attitude toward saffism and suffist in a rightful manner, we will star from his a abstract which clarifies his attitude in both (approach and the procedures) and this summarized in two points.

The first: The roots of truthful Islam in Ibn Al Qayyim point of view are:

١) Holy Quran.

٢) Mohammed's life and deed (prophet sunah and seerah).

٣) To take or govern religious sanction instead of suffism reactions.

٤) Worships.

٥) Allah's Dominating from ALLAH.

The second, suffism most important mistakes are,

١- Deep thinking which led to a false idea that ALLAH and people are one (one empty universe).

٢- To say that every thing was written and will happen, then, why we will be punished.

٣- To say that ALLAH is personified in people especially women and boyish rejoin boys. Then it is not mercury when we look at women an never boys.

His attitude toward the most important characters of suffism could be revealed in three kinds,

١- The must The straight and good people, the most prestigious, he was in deeply than full manner.

٢- Suffism philosophies and the people who believe that ALLAH and the spectrum are one.

٣- The people who are known of good deeps and believes. They uttered words that leave untruthfulness behind.

(Al shathat)

Those who Ibn Al Qayyim justified and thanked for them deeps and believes and at the same time he revealed their mistakes and hopes for them pardon and for ALLAH absolves them.

مُقدِّمة

تمـــهيد :

الحمـد لله ، والصـلاة والسـلام علـى رسـول الله، وآلـه وصحبـه ومـن والاه، أما بعـد :

فـهذا بحـث تكميلـي لمتطلبـات نيـل درجـة الماجسـتير فـي تخصـص العقيـدة والدعوة، وهـو بعنـوان :

موقف الإمام ابن قيم الجوزية
(شمس الدين، محمد بن أبي بكر، المتوفى سنة ٧٥١هـ - ١٣٥٠م)
من التصوف والصوفية

وأعتقـد أن هـذا الموضـوع مـن الأهميـة بمكـان، إذ أنـه يقـدم دراسـة لمشـكلة علمية في جـانب هـام مـن جوانـب الشـخصية العلميـة والسـلوكية والتربويـة للإمـام ابـن القيـم رحمـه الله، ألا وهـو الجـانب الصوفـي فـي شـخصيته، ومنهجُـهُ فـي التصوف، وموقفُـهُ مـن الصوفيـة .

ولقد وجدت فـي نفسـي رغبـة ملحـة للكتابـة فـي هـذا الموضـوع ؛ حيـث إنـه ـ حسب اطلاعي ـ لـم ينـل مـن البـاحثين قبلـي اهتمامـا يذكـر، فـأردت أن أسـلط الضـوء علـى هـذا الموضـوع، وأجمـع شـتاته، وأضـم متفرقـه ، وأقدمـه بصـورة واضحة متكاملـة .

ولقد رأيت أن عـدم القيـام بـهذا البحـث يعنـي اسـتمرار بعـض جوانـب النقـص فـي المـادة المكتوبـة عـن الإمـام ابـن القيـم مـن ناحيـة، وعـن منـهج التصـوف ورجاله مـن ناحيـة أخـرى، ويعنـي أيضـا بقـاء كثـير مـن الغمـوض يكتنـف هـذا الجانب الهام مـن شـخصية الإمـام ابـن القيـم، وموقفـه مـن موضـوع هـام وكبـير ألا وهـو موضـوع (التصـوف والصوفيـة) .

مبررات اختيار الموضوع :

أما الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، فهي عديدة، أهمها:

١- قناعتي الشخصية بأننا - طلاب قسم العقيدة والدعوة - ينبغي لنا أن نغطي في أبحاثنا مجالات المساقات الرئيسة التي درسناها. وقد علمت أن معظم زملائي قد اتجهوا للكتابة في مجالات : العقائد، والفرق، والأديان . أما التصوف فلم أعلم أحداً منهم قد التفت إلى الكتابة فيه؛ فدفعني ذلك إلى الكتابة في هذا المجال، لا سيما أنني قد وجدت في نفسي ميلاً نحوه وشغفاً للبحث فيه .

٢- من خلال قراءاتي في مجال التصوف وجدت أنه لا يزال هناك فراغ في هذا المجال : حيث إننا لا زلنا نفتقر إلى دراسة علمية موضوعية لموضوع التصوف، بحيث تضبطه بضوابط الشرع، وتُحكّم فيه نصوص الكتاب والسنة، وفقه سلف الأمة ـ رضي الله عنهم ـ، وقد رأيت أنني بهذا البحث أغطي شيئا من ذلك الفراغ .إن شاء الله تعالى .

٣- من خلال اطلاعي على كتابات الإمام ابن القيم وجدت أنه قد كتب في التصوف، بل إن له موقفا متميزاً من التصوف، وله أراء هامة في الصوفية، لكن موقفه ذلك وآراءه تلك تحتاج إلى جمع وترتيب، وقد حاولت في بحثي هذا أن أقدمها في صورة موقف متكامل، واضح المعالم، في بحثٍ مستوعبٍ لجزئيات الموضوع جامع لمفرداته وأطرافه .

٤- وحسب اطلاعي فإن هذا الموضوع لم يُبحث من قبل بصورة متخصصة متكاملة ، وهذا ما سأحاول تقديمه في هذه الرسالة إن شاء الله.

وإنني أعتقد أن لهذه الدراسة أهمية كبيرة في مجال الدراسات الصوفية، وفي مجال معرفة شخصية الإمام ابن القيم، لا سيما وأنها تسلط الضوء على هذه الشخصية من زاوية منهجها الصوفي، ونظرتها إلى التصوف والصوفية، تلك الزاوية الهامة التي أهملها دارسوا هذه الشخصية الفذة .

أدبيات الدراسة :

من خلال اطلاعي لم أجد أحداً قد كتب في هذا الموضوع بتخصص واستيعاب، ولكنني وجدت شذرات متفرقة في بعض الكتب وأهمها :

١- **ابن قيم الجوزية : عصره ومنهجه وآراؤه في الفقه والعقائد والتصوف.** للدكتور عبد العظيم عبد السلام شرف الدين. وأصل الكتاب رسالة ماجستير مقدمة بدار العلوم بجامعة القاهرة ، وقد تكلم المؤلف في هذا الكتاب عن (ابن القيم والتصوف) في جزء يسير من كتابه، وهو الفصل الثاني من الباب الثالث من الكتاب .

وقد كان كلامه مختصرا إلى حد كبير، كما أنه أكثر من المقارنة بين كلام ابن القيم وغيره من الأئمة، مما أفقد بحثه التركيز والعمق في آراء ابن القيم وموقفه . وقد لاحظت أيضا أن المؤلف قد اقتصر على جزئيات متفرقة من آراء ابن القيم في التصوف، كما أنه لم يتطرق لموقفه من أبرز الشخصيات الصوفية والتي تمثل مناهج الصوفية المتباينة .

أما البحث الذي أقدمه فهو – إن شاء الله – بحث متخصص مستوعب – قدر الإمكان – لموقف ابن القيم من التصوف والصوفية، بحيث يتدارك النقص الحاصل في ذلك الكتاب، الناتج عن عدم تخصيص البحث له من ناحية، وعن الاقتطاف الجزئي من ناحية أخرى.

٢- **ابن القيم من آثاره العلمية** . للدكتور: أحمد ماهر البقري، وهو عبارة عن رسالة دكتوراه مقدمة بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٧٨م .

ولم يتعرض صاحب هذا الكتاب إلى جانب التصوف عند الإمام ابن القيم وموقفه فيه إلا في وريقات قليلة تَعَرَّض في بعضها لموقف ابن القيم مع أبي إسماعيل الهروي الصوفي، ثم تعرض في بعضها الآخر إلى مؤلفات الإمام ابن القيم في مجال التصوف .

ولا يخفى أن هذا الموضوع أكبر من أن يبحث في بضع ورقات كجزء يسير من دراسة لم تخصص له، كما أن هناك جوانب أخرى للموضوع لم يتطرق إليها المؤلف، وذلك لعدم تخصيص رسالته في هذه الناحية من شخصية ابن القيم، الأمر الذي أنوي تداركه واستكمال جوانبه، وإعطاءه حقه من البحث، قدر استطاعتي.إن شاء الله .

هذا ما تحصّل لديّ من دراسات تَمَسُّ هذا الموضوع ولو بشيء يسير .

وهناك كتب أخرى اطلعت عليها كتبت عن ابن القيم، لكنها كانت بعيدة عن موضوع بحثي، إلا أنني استفدت منها . لا سيما في الفصل الأول من الرسالة . وأهم تلك الكتب:

١- **ابن قيم الجوزية : حياته آثاره** ، لبكر بن عبد الله أبو زيد . وهو يتحدث عن حياة ابن القيم بشيء من التفصيل، وعن مؤلفاته : المطبوعة والمخطوطة والمفقودة.

٢- **موارد ابن القيم في كتبه** : لبكر بن عبد الله أبو زيد أيضا وهو أشبه ما يكون بفهرس للكتب التي ذكرها ابن القيم أو أشار إليها في مؤلفاته وقد أفدت منه معرفة كتب التصوف والصوفية التي اطلع عليها ابن القيّم.

٣-**حياة ابن قيم الجوزية** : لمحمد مسلم الغنيمي. وأبرز ما تميز به التفصيل عن عصر ابن القيم.

المشكلة التي تعالجها الدراسة :

تعالج هذه الدراسة مشكلة تحديد موقف الإمام ابن القيم من التصوف والصوفية، من خلال تقديم الإجابة على كل من التساؤلات التالية :

ــ من هو الإمام ابن القيم ؟ وما أهم معالم نشأته وحياته ؟ وما مكانته العلمية؟

ــ ما أبرز معالم عصر هذا الإمام ؟ وما موقف صوفية عصره منه ؟

ــ ما التصوف ؟ وما أهم مناهجه ؟ ومن أبرز رجاله ؟

ــ هل كان الإمام ابن القيم ــ بالإضافة إلى كونه فقيها ومفسرا ــ سالكا للتصوف وعالما فيه ؟

ــ هل كان لابن القيم موقف متميز في التصوف ؟ وما أهم معالم هذا الموقف؟

ــ ما رأي ابن القيم في أهم الموضوعات والقضايا التي بحثها المتصوفون ؟

ــ ما أصول التصوف عند الإمام ابن القيم ؟

ــ ما أخطر مزالق الصوفية في نظر ابن القيم ؟

ــ ما رأي ابن القيم في الصوفية الأوائل، وأئمة التصوف الثقات ؟

ــ ما رأي ابن القيم في الصوفية المتأخرين، ومتفلسفة الصوفية ؟

حدود المشـــكلة :

هـذه الدراسـة سـتقتصر علـى تحديـد موقـف الإمـام ابـن القيـم مـن التصـوف والصوفية، معتبرةً شخصية الإمـام ابـن القيـم شـخصية علميـة مسـتقلة .

ذلـك أن ذكـر الإمـام ابـن القيـم قـد اقـترن بذكـر أسـتاذه شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة(١) رحمـه الله ... وممـا لا يُنكـر أن ابـن القيـم قـد تـأثر بأسـتاذه الإمـام ابـن تيمية، لكنني في هـذه الدراسـة لـن أفصّـل فـي مـدى تـأثر ابـن القيـم بأسـتاذه فـي موقفـه مـن التصـوف، وسـوف لـن أتعـرض لموقـف الإمـام ابـن تيميـة مـن التصوف، وذلك لأن موقـف الإمـام ابـن تيميـة مـن التصـوف قـد كتـب فيـه بعـض الباحثين بشكل جيد، ولا نحتـاج إلـى تكـرار مـا كتبـوه .

ثم إن قضيـة تـأثر ابـن القيـم بشـيخه ابـن تيميـة، ومـدى هـذا التـأثر، وأوجـه الاتفاق والاختلاف بيـن الشـخصيتين موضـوع يطـول بحثـه، وليـس لـه متسـع فـي هذه الدراسة، لا سيما وأنـها لـم تخصـص لـهذا الجـانب .

فـهذه الرسـالة إذن محـدودة متخصصـة، تركـز علـى موقـف شـخصية محـدّدة، هي شخصية الإمام ابن القيـم، مـن قضيـة محـدّدة هـي (التصـوف والصوفيـة) .

---

(١) هو الإمام العلامة شـيخ الإسـلام أحمـد بـن عبـد الحليـم بـن عبـد السـلام النمـيري الحرانـي، أبو العباس، تقي الدين، ابن تيميـة، ولـد فـي حـران وتحـول بـه أبـوه إلـى دمشـق فنبـغ واشـتهر. وسجن بسبب بعض فتـاواه التـي خـالف بـها علمـاء السـلطان فـي عصـره، ومـات معتقـلا بقلعـة دمشق سنة ٧٢٨ هـ فخرجـت دمشـق كلـها فـي جنازتـه. كـان داعيـة إصـلاح فـي الديـن. وقيـل أنـه أفتـى ودرّس وهـو دون العشـرين. أمـا تصانيفـه فقيـل أنـها بلغـت ثـلاث مائـة مجلـد. انظـر:خـير الديـن الزركلـي، **الأعـلام**،ط١٠ ، دار العلـم للملاييـن، بـيروت، ١٩٩٢م، ج١، ص١٤٤. وتراجم شـيخ الإسـلام بـن تيميـة فـي المكتبـة الإسـلامية كثـيرة، انظـر ترجمتـه علـى سـبيل المثـال فـي : إسـماعيل بـن كثـير الدمشـقي ،ت٧٧٤ ه ،**البدايـة والنهايـة**،ط٧،مكتبـة المعـارف،بـيروت ،١٩٨٨م ، ج١٤ ، ص ص١٣٥-١٤١ . وانظـر أيضـا أخبـاره المتفرقـة المبثوثة في هـذا الجـزء مـن **البدايـة والنهايـة** (أعنـي الجـزء الرابـع عشـر) . وانظـر أيضـا: ابراهيـم محمـد بـن مفلـح،ت٨٨٤هـ ، **المقصـد الأرشـد فـي ذكـر أصحـاب الإمـام احمـد**، تحقيـق د.عبـد الرحمـن العثيميـن، ط١،مكتبـة الرشـد، الريـاض، ١٩٩٠م، ج١، ص ص١٣٢-١٣٩. وانظر من الكتـب التـي اسـتقلت بترجمتـه وتحدثـت عـن حياتـه وشـخصيته علـى سـبيل المثـال : محمـد أبـو زهـرة، **ابـن تيميـة : حياتـه وعصـره وآراؤه وفقهـه**، القـاهرة ، دار الفكـر العربـي ، ط٢ ، ١٩٥٨م . وعبـد الرحمـن الشـرقاوي، **ابـن تيميـة : الفقيـه المعـذب**، القـاهرة ، دار الشـروق ، ط بـدون ، سـنة ١٩٩٠م.

الفرضيات :

١ـ كان ابن القيم سالكا للتصوف وعالما فيه .

٢ـ كان لابن القيم موقف متميز من التصوف . أهم معالمه الالتزام بالكتاب والسنة .

٣ـ أنصف ابن القيم الصوفية على اختلاف مناهجهم .

المنهجية :

تتمثل منهجية الدراسة في هذا البحث في أسلوب الاستقراء والتقصي لجزئيات موضوع (التصوف والصوفية) في كتب الإمام ابن القيم، ثم جمعها وترتيبها وعرضها بالشكل المناسب، ملتزما في ذلك كله نزاهة البحث، والموضوعية في الكتابة، والأمانة في النقل والتوثيق.

أما خطتي في معالجة مشكلة البحث فإنها تتكون من مقدمة، وبابين في كل باب منهما فصلين، ثم الخاتمة.

أما المقدمة فقد جعلتها لبيان أهمية البحث، والمشكلة التي يعالجها، وخلاصة الدراسات السابقة في الموضوع، مع عرض مجمل لخطة البحث .

وأما الباب الأول فهو يتكون من فصلين تمهيديين :

الفصل الأول وقد جعلته للتعريف بالإمام ابن القيم من حيث : اسمه، ونشأته، ومكانته، وعصره .

والفصل الثاني وفيه لمحة موجزة عن التصوف الإسلامي من حيث : تعريفه، نشأته وتطوره، أهم مدارسه ومناهجه.

وأما الباب الثاني فهو يتكون من فصلين أعالج فيهما جوهر مشكلة البحث، ولب موضوعه :

فالفصل الأول منهما خصصته لمعالجة الجزء الأول من جوهر البحث وهو : موقف الإمام ابن القيم من التصوف، حيث أبين فيه أصول التصوف الصحيح عند الإمام ابن القيم، ومنازل التصوف أو الأحوال والمقامات عنده وأهم مزالق التصوف في نظره رحمه الله .

والفصل الثاني منهما خصصته لمعالجة الجزء الثاني من مشكلة البحث وهو : موقف الإمام ابن القيم من أبرز الشخصيات الصوفية : حيث أبحث فيه موقفه من أئمة التصوف ، أهل الاستقامة ، وموقفه من متفلسفة الصوفية،

وموقفه من شخصيات صوفية أخرى جمعت بين صلاح السيرة و(الشطحات)[١] المنكرة.

وأما الخاتمة فالخص فيها أبرز نتائج البحث على شكل نقاط محددة واضحة إن شاء الله.

الهيكل التنظيمي للبحث :

وهو على النحو التالي :

مقدمة

الباب الأول : التعريف بالإمام ابن القيم والتعريف بالتصوف الاسلامي

الفصل التمهيدي الأول : التعريف بالإمام ابن القيم .

المبحث الأول : عصره.

المبحث الثاني : اسمه ونسبه.

المبحث الثالث : مولده ونشأته.

المبحث الرابع : حياته العلمية (شيوخه ، تلاميذه ، ...).

الفصل التمهيدي الثاني : لمحة موجزة عن التصوف الإسلامي .

المبحث الأول : تعريف التصوف لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني : نبذة عن نشأة التصوف الإسلامي وتطوره.

المبحث الثالث : أهم مناهج التصوف عند المسلمين.

الباب الثاني : موقف الإمام ابن القيم من التصوف والصوفية.

الفصل الأول : موقف الإمام ابن القيم من التصوف.

المبحث الأول : أصول التصوف الإسلامي عند الإمام ابن القيم :

- القرآن الكريم .
- السنة النبوية الشريفة .

---

(١) الشطح باللغة العربية : التباعد والاسترسال (في السير أو القول). وفي الاصطلاح الصوفي : الشطح – وجمعه شطحات – كلام ينطق به الصوفي، وتبدو فيه رعونة وانحراف عن القصد، وهو من زلات الصوفية. انظر : أحمد عطية الله، **القاموس الإسلامي**، ج٤، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

- تحكيم (العلم)[١] على (الحال)[٢] .
- العبادة .
- الهداية الإلهية.

المبحث الثاني : منازل التصوف (الأحوال والمقامات) عند ابن القيم.

المبحث الثالث : أهم مزالق التصوف في نظر الإمام ابن القيم .

الفصل الثاني : موقف الإمام ابن القيم من أبرز الشخصيات الصوفية .

المبحث الأول : موقفه من أئمة التصوف ، أهل الاستقامة .

المبحث الثاني : موقفه من متفلسفة الصوفية . وأهل (وحدة الوجود)[٣].

المبحث الثالث : موقفه من شخصيات صوفية أخرى .

---

(١)المقصود العلم الشرعي المستنبط من الكتاب والسنة.

(٢)(الحال) مصطلح صوفي يراد به ما يرد على القلب الآخذ في السير الى الله من معان من غير تعمد من الصوفي ولا اجتلاب ولا اكتساب. انظر: عبد الكريم بن هوازن القشيري، **الرسالة القشيرية**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط وسنة بدون، ص٣٢ . وعبد الرزاق الكاشاني، **رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال**، تحقيق سعيد عبد الفتاح، ط بدون، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٤٥.

(٣) مذهب (وحدة الوجود): مذهب الذين يزعمون أن كل شئ هو الله... ومن المتصوفين من يتأول هذا المذهب فيقول : إن الله هو الحق وليس هناك إلا موجود واحد وهو الموجود المطلق، أما العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الالهية، وليس له وجود في ذاته، لأنه صادر عن الله (أي موجود بإيجاده). وعند بعض الفلاسفة : هي القول ان العالم هو الموجود الحق، وليس الله سوى مجموع الأشياء الموجودة في العالم. انظر : جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ج٢، ط بدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٥٦٩.

تحليل المراجع والمصادر

أولا: المراجـــع :

١. أبـو العـلا عفيفـي، التصـــوف : **الثـــورة الروحيـــة فـــي الإســـلام**، ط١، دار المعارف، مكـــان النشـــر :بـــدون، ١٩٦٣.

يقع هـــذا الكتـاب فـي ٣٣٥ صفحـــة . تحـدث فيـه عـن أصـل كلمتـي صوفـي ومتصـــوف وتعريفـهما، وعـن نشـأة التصـوف الإسـلامي وتطـــوره، ثـــم عـــن مـــدارس التصـوف الإسـلامي، ثـم تحـدث عـن ثـورة الصوفيـة علـى علـم الكـــلام والفلسـفة، وثورتـهم فـي مجـال التوحيـد، ثـم بيـن بعـــض النظريـــات الفلســـفية الصوفية . وغـــير ذلـك .

٢. بكـر بـن عبـد الله أبـو زيـد، **ابـن قيـم الجوزيـة : حياتـه وآثـاره**، ط٢، مكتبـة المعـارف، الريـــاض، ١٩٨٥م .

يقع الكتاب فـي ١٩٩ صفحـة . حقـق فيـه اسـم ابـن القيـم وجـر نسـبه وسـبب شهرته بـابن قيـم الجوزيـة، ثـم ترجـم لآل ابـن القيـم: والـده وأخيـه وأبنائـه . ثـم تحدث عـن عبادتـه وزهـده وطلبـه للعلـم، ثـم عـن عملـه فـي التدريـس والإفتـاء والتأليف . ثـم أخـذ ببيـان خصـائص تأليفـه، ثـم تكلـم عـن ملازمتـه لابـن تيميـة ومدى تأثره به والمسـائل التـي خالفـه فيـها . ثـم وضـع ثلاثـة أثبـات هامـة : ثبـت شـيوخه، وثبـت تلامذتـه، وثبـت تفصيلـي محقـق لمؤلفاتـه . وختـم الكتـاب بذكـر وفاته وما رؤي لـه مـن المرائـي .

٣. عبـد الحفيـظ بـن ملـك المكـي، **موقـف أئمـة الحركـة السـلفية مـن التصـوف والصوفيـة**، ط١، دار السـلام، القـــاهرة، ١٩٨٨م .

كتاب متوسـط تحـدث فيـه عـن موقـف أئمـة الحركـة السـلفيه: الإمـام أحمـد، ابن تيمية، الذهبـي، ابـن القيـم، ابـن رجـب، ومحمـد بـن عبـد الوهـابمن التصـوف والصوفيـة . وقـد اقتصـر علـى نقـل تراجـم مختصـرة لـهؤلاء الأعـلام ثـم إيـراد مقتطفـات مـن مؤلفاتـهم بمـا فيـه ذكـر للتصـوف والصوفيـة بشـيء مـن الإقـرار والثناء الحسن علـى التصـوف الصحيـح والصوفيـة الصـالحين أهـل الإسـتقامة .

٤. أحمـد شـلبي، **الحـروب الصليبيـة**، ط بـدون، المجلـس الأعلـى للشـؤون الإسـلامية، القـاهرة، ١٩٦٦ .

كتاب من القطع المتوسط تحدث فيه عن مرحلة الحروب الصليبية في تاريخ الأمة الإسلامية، والتي نشأ ابن القيم في أواخرها، وهو كتاب يعطي فكرة مختصرة شاملة عن ذلك العصر، والوضع السياسي، ـ لا سيما من الناحية الخارجية ـ عن عصر ابن القيم وما كان فيه من أخطار خارجية تهدد المسلمين .

٥. عوض الله حجازي، **ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي**، ط٣، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٩ .

كتاب متوسط هام في موضوعه، وهو عبارة عن بحث مقدم لنيل درجة الأستاذية . ركز فيه على استقلال شخصية ابن القيم والموضوعات التي كان له فيها رأي مستقل متميز .

٦. محمد مسلم الغنيمي، **حياة ابن قيم الجوزية**، ط بدون، المكتب الإسلامي، دمشق، ١٩٧٧م .

كتاب مفصل عن حياة ابن القيم وعصره، وقد بدأ بالحديث عن عصر ابن القيم من مرحلة مبكرة جدا، من أوائل الحروب الصليبية (حوالي سنة ٥٠٠هـ) وفصل في ذلك كثيرا حتى وصل إلى الفترة التي عاشها ابن القيم ثم تحدث عن ابن القيم : اسمه، مولده، نشأته، حياته العلمية، ٠٠٠٠ الخ .

٧. محمد بن ربيع هادي المدخلي، **حقيقة الصوفية في ضوء الكتاب والسنة**، ط بدون، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م .

رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة، ركز فيها على سلبيات الصوفية وانحرافاتهم وقد كان متحاملا في مواضع كثيرة . يغفر الله لا .

٨. أنور الجندي، **نوابغ الفكر الإسلامي**، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٣م.

وهو عبارة عن موسوعة متوسطة الحجم شملت مجموعة من أعلام الفكر الإسلامي النوابغ ذوي الإنجازات الكبيرة ، ومنهم ابن القيم . تحدث فيه عن أبرز إنجازاته ومؤلفاته وآرائه، ودعوته الإصلاحية .

٩. عبد المنعم الهاشمي، **من أعلام السلف**، ط٢، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٣م .

كتاب متوسط الحجم، تحدث فيه عن أربع شخصيات كبيرة : ابن الجوزي، ابن القيم، الذهبي، ابن رجب . حيث ترجم لكل منهم وذكر أبرز معالم منهجهم وآرائهم ومميزات كل منهم . وقد تحدث عن ابن القيم وفصل في منهجه في التأليف، وحياته العلمية، وعلاقته بابن تيمية وأوجه الاختلاف بين شخصيته وشخصية ابن تيمية . وغير ذلك .

ثانيا : المصادر :

١. إسماعيل بن عمرو، ابن كثير، ت٧٧٤ هـ، **البداية والنهاية**، ط٧، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨م .

كتاب كبير في التاريخ والتراجم، يقع في سبعة مجلدات ومجلد ثامن للفهارس، مرتب على ترتيب السنين . منهجه في الكتابة : يبدأ بذكر السنة التي يتحدث عنها ثم يذكر الخليفة والسلطان والأمراء اللذين كانوا في تلك السنة ثم بيان ما وقع فيها من حوادث ثم ذكر من توفي فيها من الأعيان، ويترجم لبعضهم .

وقد اعتمدت عليه كثيرا في معرفة عصر ابن القيم، وأخذت عنه كثيرا من تراجم الأعلام الذين ورد ذكرهم في رسالتي .

٢. عبد الرحمن بن أحمد، ابن رجب الحنبلي، ت ٧٩٥هـ، **الذيل على طبقات الحنابلة**، تحقيق ابو حازم أسامة بن حسن وأبو الزهراء حازم علي بهجت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م .

كتاب هام من كتب تراجم الحنابلة، يقع في مجلدين، وقد استفدت منه كثيرا في معرفة جوانب مضيئة من حياة ابن القيم رحمه الله .

٣. عبد الرحمن بن علي الجوزي، ت٥٩٧ هـ، **تلبيس إبليس**، تحقيق السيد العربي، ط بدون، مكتبة الإيمان، المنصورة، سنة بدون .

من أشهر كتب ابن الجوزي وأهمها، يقع في مجلد متوسط (٤٣٠ صفحة) بدأه بأمر بلزوم السنة والجماعة ثم ذكر تلبيس إبليس على طوائف الناس، وقد فصل في تلبيسه على الصوفية في أكثر من مائتي صفحة . وقد هاجم الصوفية وجمع شيئا كثيرا مما يروى عن انحرافاتهم وبدعهم . وقل أن تجد فيه ثناء حتى على أئمة الهدى من الصوفية المتقدمين.

٨. محمد ابن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار إحياء الكتب العربية، ط وسنة بدون. وهو كتاب كبير من جزأين، في مجلد واحد. تحدث في الجزء الأول منه عن أنواع القلوب وأمراضها وأدويتها. وبين أن أحسن دواء للقلب محبته لله سبحانه وتعالى وفصل في هذه المحبة، ثم تحدث عن كيد الشيطان في الوسوسة في الطهارة والصلاة. ثم عن كيده في سماع الغناء وكيده في الطلاق والمحلل والمحلل له وغير ذلك. وفي الجزء الثاني تحدث عن كيد الشيطان وتلاعبه بالنصارى واليهود وغيرهم.

٩. محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، تحقيق أبي علي مسلم الحسيني، ط٢، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٦م. وهو من كتبه في التصوف الإسلامي الصحيح ـ إذا جاز لنا التعبير ـ. بدأه ببيان ضرورة هجرة القلب المؤمن إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، إشارة إلى أ، التصوف لا بد فيه من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تحدث عن مقام (الفقر) ومقام (الغنى) ثم تكلم على مقامات أخرى كثيرة من مقامات السير إلى الله تعالى شارحا ومعلقا على أقوال أبي العباس، ابن العريف في كتابه (**محاسن المجالس**) في علل المقامات.

١٠- محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، عالم الكتب، بيروت، ط وسنة بدون. وهو مجلد متوسط، خصصه لمقام الصبر، فتحدث عن الصبر في اللغة والاصطلاح وأقسام الصبر، وما ورد فيه من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وحقق مسألة : اختلاق الناس في الغنى الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل وغير ذلك من الفوائد الجليلة في هذا الموضوع.